مواعظ إسلاميّة

تأليف الدكتور

عبدالجبار فتحي زيدان الحمداني

توزيع

الكتاب : مواعظ إسلاميّة

المؤلف : الدكتور عبدالجبار فتحي زيدان الحمداني

مطبعة الأخوة

نشر وتوزيع

مكتبة الجيل العربي

لصاحبها ذاكر خليل العلي

الموصل شارع النجفي

الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

الإهداء

إلى روح والِدَيَّ وروح والِدَيْ والِديَّ .

وإلى زوجتي ، مَنْ شاركتني في السَرّاء وفي كلِّ بَلِيَّهْ .

وإلى أولادي وأولاد أولادي ، منَحَهم اللهُ نفوسًا زكِيَّهْ .

وإلى جَدِّي صوفي علي وَذُرِّيَّتِهِ ونَسْلِ ذُرِّيَّتِهِ حتى تقومَ البَرِيَّهْ

وإلى مَنْ ناسَبهُمْ أو صاهَرَهُمْ أو أسدى لهم تحِيَّهْ .

وإلى كلّ مَنْ أسَأْتُ إليه عَمْدًا أو بحُسْنِ نِيَّهْ .

وإلى كلِّ مَنْ ، ولو بِقِطْمِيرٍ، قد أحسنَ إليَّ .

أهدي إليهم جميعًا كتابي : مواعظَ إسلاميَّهْ .

الدكتور

عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني

٨ /جُمادَى الأولى/ ١٤٢٨هـ = ٢٤/ أيار /٢٠٠٧م

كنت كثيرًا ما أسمع عن والدتي (وهي بنت عمّ والدي) رحمهما الله تذكر لي أنّ أباها كان يعمل ندّافًا أي : يندف الصوف بآلة المِندَف ، وأنّه تعلّم هذه المهنة من عمِّه ذنون ، فيظهر أنّ ذنون ورث هذه المهنة عن والده عليّ الذي اشتهر بين الناس بهذا العمل الذي يتعلّق بالصوف حتى نسبوه إليه ، وسمّوه : صوفي علي ، وكان الأَولى والأصحّ أن يسمّوه : علي الصوّاف

مقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، وخاتَمِ النَّبيين ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعِين ، من الأنصارِ والمهاجرين ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين ، وبعد

فمواضيع هذا الكتاب أكثرها في الأصل خطبي المنبرية التي ألقيتها في خمسة عشر جامعًا من جوامع الموصل ، وأول خطبة لي كانت في جامع يحيى الطالب/ الرفاعي، وكانت في الأسابيع الأولى من افتتاحه سنة ١٩٨٧م .

وألقيت أكثرها في الجامع المعروف بجامع شيخ الشط / الشهوان ، وجامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م.

فهذا الكتاب إذن ليس كتابًا في العقائد ، أو في الفقه ، أو في الأصول ، أو في الأحكام ، وإنَّما هو مجرد مواعظ ، توخيتُ منها أن تكون للوعظ والإرشاد ، وتبصير المسلم بعظم دينه ومقام نبيه ، وتذكيره بيوم المعاد .

أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفع به المسلمين ، وأسأله سبحانه ، أن يتقبَّله منِّي عملًا خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين .

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّي في هذه المواعظ ذكرتُ شيئًا من السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين الأربعة ، لكنّي لم أتبع في سيرهم الترتيب التاريخي ، بل بدأتُ بعليّ فعثمان فعمر فأبي بكر رضي الله عنهم جميعًا ، ثم ذكرتُ مناقب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلّم ؛ لأنّي راعيتُ في هذه القضية الحالة النفسية للقارئ ، وهي حبّه واشتياقه لِأن يسمع ما هو أجمل وأفضل مما سمع ؛ لذلك أردتُ أن أرتقي به من سامٍ إلى أسمى ، ومن درجة

عالية إلى درجة أعلى ، حتى أوصله إلى القِمّة ، وهي ذكر ولادة سيِّد الرسل والأنبياء وذكر معجزاته صلى الله عليه وسلَّم .

الموعظة الأولى : ميزان التقوى لا ميزان النسب

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(اللهم أنزلنا منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين)

(ربنا اغفر وارحم وأنت خير الغافرين)

(ربنا أدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]

يخبرنا تعالى أنَّه خلقنا جميعًا من ذكر وأنثى وهما : آدم وحواء، وجعلنا شعوبا وقبائل ، والشعوب أعم من القبائل ، وبعد القبائل مراتب أُخَر كالفصائل والعشائر والعمائم والأفخاذ ، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب.

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وإنَّما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله (ﷺ)

والغاية من جعلنا شعوبًا وقبائل التعارف فيما بيننا، ليقال مثلًا : فلان بن فلان من قبيلة كذا وكذا.

وقد أمرنا الله سبحانه أن نتعرف إلى أنسابنا لنتخذها مقياسًا نقيس بها الناس ، ولنتخذها وسيلة لنعرف بها أرحامنا لنعين منهم من يحتاج إلى

معونتنا ، وقد أوصانا الله بصلة الرحم ، فعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم). [رواه الترمذي].

أما التفاضل بين الناس فإنَّما يكون بتقوى الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وقد سئل رسول الله (ﷺ) : أي الناس أكرم؟ قال: (أكرمهم عند الله أتقاهم) رواه البخاري عن أبي هريرة (ﷺ).

وروى الإمام أحمد عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت : قام رجل إلى النبي (ﷺ) وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله ، أيُّ الناس خير؟ قال (ﷺ) : خير الناس أقرأهم ، وأتقاهم ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم ، أي : خير الناس عند الله ، أكثرهم قراءة للقرآن ، وأكثرهم تقوى لله ، عز وجل ، وأكثرهم أمرًا بالمعروف ، وأكثرهم نهيًا عن المنكر ، وأكثرهم صلة للرحم .

وجاء في تفسير ابن كثير: وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر (ﷺ) قال : إنَّ النبي (ﷺ) قال له : أي : قال للصحابي الجليل أبي ذر: انظر فإنَّك لست بخير من أحمر ولا أسود ، إلّا أن تفضله بتقوى . رواه أحمد ورواته ثقات مشهورون ، إلّا أنَّ ابن بكر عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذر[1].

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، رواه ابن ماجه.

وروى الطبراني أنَّ الرسول (ﷺ) قال: المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى.

---

(١) تفسير ابن كثير.

وعن جابر بن عبد الله (ﷺ) قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: يا أيّها الناس إنَّ ربكم واحد ، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلّا بالتقوى : إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد الغائب. رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ما مضمونه : إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ، ألا إنِّي جعلت نسبًا (ونسب الله هو التقوى والعمل الصالح) وجعلتم (أيها الناس) نسبًا (وهو الفخر بالأجداد لا بالإيمان) فجعلت النسب الذي أزن به عبادي أنَّ أكرمكم أتقاكم ، فأبيتم إلّا أن تقولوا : فلان بن فلان (لأنَّه من قوم كذا وعشيرة كذا) خير من فلان بن فلان (لأنَّ قومه وعشيرته دونه بالشهرة والسمعة) فاليوم أرفع نسبي ، وهو التقوى ، وهو الذي أعمل به وأزن به اليوم الناس ، وأضع نسبكم ، الذي هو وزن الناس لمن ينتسبون إليه ، فأسقط هذا النسب وألغيه فأنادي ، أين المتقون . رواه الطبراني في الأوسط والصغير.

وفي الحديث المشهور عن أبي هريرة قول الرسول (ﷺ) : من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، والمعنى: أنَّ من انحط بسوء عمله ، لم يرتفع بعلو نسبه.

فالله يوم القيامة يسألنا عن إيماننا وأعمالنا ولا يسألنا عن أنسابنا وأحسابنا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

فيوم القيامة لا يسأل الوالد عن ولده ، ولا الولد عن والده ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]. وصاحبته: أي: زوجته. وقال ابن مسعود: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين (للحساب) ثم نادى مناد : ألا مَن كان له مظلمة (أحد قد ظلمه) فليجئ (به) فليأخذ حقه (منه) قال : فيفرح المرء (المظلوم) أن يكون له الحق على والده (لأنَّ والده قد ظلمه في شيء) أو (يكون له الحق على) ولده (لأنَّ ولده قد ظلمه في شيء) أو (يكون له الحق على) زوجته (لأنَّ زوجته قد ظلمته في شيء ، وإن كانت هذه المظلمة صغيرة) وإن كان (هذا الحق) صغيرًا ، ومصداق ذلك في كتاب الله ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾ فعند نفخ الصور للحساب تنقطع بين الناس الأنساب والاحساب ، فلا يتساءلون عنها ، وقال الله تعالى: ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) [المعارج: ١٠] أي : لا يسأل القريب عن قريبه ، عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال ؛ لأنَّه مشغول بنفسه عن غيره ،وقال تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨].

فكل إنسان مثقل بأوزاره (وسيئاته)، يدعو يوم القيامة غيره من الناس ؛ ليحمل عنه أوزاره ، أو شيئًا منها ليخفف عنه العذاب ، فلا يجد أحدًا حتى أقرب الناس إليه يستجيب لدعوته.

يقول ابن كثير في تفسيره : قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا ﴾ ،الآية قال:... وإنَّ الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني ، أيُّ والد (حنون) كنت لك (وكنت سببًا لوجودك في الحياة ، وقمت بتربيتك حتى بلغت أشدك) فيثني (الولد على والده) خيرًا، ويعترف بفضله

عليه، فيقول له: يا بني ، إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى ، فيقول له ولده : يا أبت ما أيسر (وأسهل) ما طلبت! ولكني أتخوف مثل ما تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا من حسناتي ، ثم يتعلق بزوجته، فيقول: يا فلانة ، أو يا هذه ، أيُّ زوج (مخلص) كنت لكِ ، فتثني (الزوجة على زوجها) خيرًا (وتعترف بفضله عليها) فيقول لها إني أطلب منك حسنة واحدة تهبينها لي ؛ لعلي أنجو بها مما ترين (بي من الكرب والعذاب) قال: فتقول : ما أيسر (وأسهل) ما طلبت ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا (من حسناتي) إني أتخوف مثل الذي تتخوف ، فإني أخشى أن احتاج إلى هذه الحسنة ، فلا أجد من يجود بها علي في هذا اليوم الصعب.

والأمر الذي يتخوفه كل إنسان أنَّه يمر في مواقف عصيبة يوم القيامة لا يشفع له فيها أحد ، ففي الحديث الصحيح أنَّه إذا طُلِب إلى كل رسول من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي لا أسالك إلّا نفسي، حتى إنَّ عيسى بن مريم يقول : لا أسألك اليوم إلّا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني ؛ ولهذا قال الله تعالى:(فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ {٣٣} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ {٣٤} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ {٣٥} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {٣٦} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ){عبس :٣٣-٣٧} وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله (ﷺ) : ما يبكيكِ؟ قلت : ذكرتُ النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم (فهل تتذكرون زوجاتكم وتشفعون لهن) يوم القيامة؟ فقال : أمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدُ أحدًا. (الموطن الأول) عند الميزان (عندما توزن أعمال الناس فلا يتذكر الإنسان إلّا نفسه ولا يفكر في أمر غيره) حتى يعلم أيخفّ ميزانه (فيكون من أهل النار) أم يثقل (فيكون من

أهل الجنة والموطن الثاني عند تسلم النتائج) وعند تطاير الصحف ، حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه (فيكون من الناجين) أم في شماله (فيكون من الساقطين) أم وراء ظهره (فيكون من الهالكين) و (الموطن الثالث) عند عبور الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز (ويعبر الصراط).

ففي هذه المواطن الثلاثة لا يتذكر أحد أحدًا حتى الرسل يكونون مشغولين بأنفسهم ولا يشفع للمرء فيها إلّا عمله الصالح عند الله ، اللهم ثقل موازيننا ووفقنا لكل عمل صالح اللهم آمين.

الموعظة الثانية : من إنسانيات هذا الدين

الإسلام الذي هو دين الله ، ما أنزلة الله إلّا من أجل سعادة الإنسان في الدارين ، لذلك لم تكن تشريعاته وتعليماته لمصلحة الذين آمنوا به فحسب ، بل كانت لمصلحة الناس جميعًا ، ولمراعاة خيرهم وحقوقهم ، مسلمين كانوا أم غير مسلمين ، بل تجاوزت هذه التعليمات حدود الناس لتشمل حتى الطير والبهائم ، ومن الأمثلة التي تتضح فيها هذه الحقيقة ما جاء في الكتاب والسنة من التوجيهات والأوامر والنواهي في الأبواب الآتية

تعريف الإسلام والإيمان : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن من أمنه الناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء ، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جارُه بوائقَه . رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، ولأبي هريرة رفعه : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم . رواه الترمذي والنسائي ، فخصص تعريف الإسلام بالمسلمين ، وأعم تعريف الإيمان بالناس ، بل جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : إنَّ المسلم من سلم الناس

من لسانه ويده . رواه أحمد والطبراني في الكبير ، فهناك إذن إسلام خاص يخصُّ المسلمين ، وإسلام عام يعمُّ الناس

التخلِّي في طرق الناس : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا اللَّعانين ، قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال : الذي يتخلَّى في طرق الناس أو في ظلِّهم . رواه مسلم وأبو داود وغيرهما

يعني الذي يبول ويتغوَّط في الطريق الذي يمرُّ منه الناس ، أو في المكان الذي يستظلون به من حرِّ الشمس ، وليس المراد كلّ ظلٍّ يُحرَم قضاء الحاجة تحته ، وإنَّما المراد الظلّ الذي اتخذه الناس مقيلًا ومنزلًا ينزلونه ، وقوله (اللعانان) يريد الأمرين الجالبين اللعن ، وذلك أنَّ من فعلهما لُعِنَ وشُتِمَ ، فلما كانا سببًا في ذلك أضيف الفعل إليهما فكانا كأنَّهما اللاعنان

وروي عن أبن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتقوا الملاعن الثلاث . قيل : ما الملاعن الثلاث يا رسول الله ؟ قال أن يقعد أحدكم في ظلٍّ يُستظَلُّ به ، أو في طريق ، أو نقع ماء . رواه أحمد . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد ، وقارعة الطريق ، والظلّ . رواه أبو داود وابن ماجه . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّه نهى أن يبال في الماء الراكد. رواه مسلم وابن ماجه والنسائي

حقوق الجار : جعل الإسلام للجار حقوقًا كائنًا من يكون ، مسلمًا أو غير مسلم ، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنَّه سيورثه رواه الشيخان وأبو داود والترمذي ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : والله لا

يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جارُه بوائقَه . رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وعن مجاهد أنَّ عبد الله بن عمرو ذُبحت له شاة في أهله فلمَّا جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودي ؟ أهديتم لجارنا اليهودي ؟ سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنَّه سيورثه رواه الترمذي

ما ينجي من النار : روى البيهقي عن أبي ذرّ قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينجي العبدَ من النار ؟ قال : الإيمان بالله ، قلتُ : يا نبيَّ الله مع الإيمان عمل ؟ قال : أن ترضخ مما خوَّلك الله ، وترضخ مما رزقك الله (أي : أن تعطي وتتصدق قليلًا مما ملّكك الله ورزقك إيّاه) قلتُ : يا نبي الله ، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ ؟ قال : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، قلتُ : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ قال : فليُعِنْ الأخرق (أي : الجاهل الذي لا يحسن عمله) قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟ قال : فليُعِنْ مظلومًا ، قلتُ : يا نبيَّ الله ، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا ؟ قال : ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ، لِيُمسكْ أذاه عن الناس ، قلتُ : يا رسول الله ، أرأيت إن فعل هذا يدخله الله الجنة ؟ قال : ما من عبد مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلّا أخذتْ بيده حتى تدخله الجنة

فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أذى الناس خصلة من الخصال التي تنجي صاحبها من النار ، وتمسك بيده يوم القيامة حتى تدخله الجنة

أشكر الناس لله وخيارهم : عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّ أشكر الناس لله تبارك وتعالى

أشكرهم للناس . رواه أحمد ورواته ثقات ، وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناسَ . رواه أبو داود والترمذي ، وقال : صحيح ، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب . رواه عبد الله بن أحمد في زوائده بإسناد لا بأس به ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب اصطناع المعروف باختصار [١]

وروي عن وائلة عن أبي هريرة رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن ورعًا تكن أعبد الناس ، وكن قنعًا تكن أشكر الناس ، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مؤمنًا ، وأقلَّ الضحك فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب . رواه ابن ماجه والبيهقي في الزهد الكبير .

التسامح مع الناس في البيع والشراء : عن حذيفة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقَّت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، فقالوا (له) : أعملتَ من الخير شيئًا ؟ قال : لا ، قالوا : تذكَّرْ ، قال : كنتُ أداين الناس ، فآمرُ فتياني أن ينظروا المعسر (يعني الفقير) ويتجوزوا عن الموسر (أي : الغني) قال : قال الله عز وجل : تجاوزوا عنه صحيح[٢]

وعن حذيفة رضي الله قال : أتى اللهُ بعبد من عباده آتاه الله مالًا ، فقال له : ماذا عملتَ في الدنيا قال : (وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا){النساء : ٢٤} قال : يا ربّ ، آتيتني مالًا ، فكنت أبايع الناس (أي : أبيع لهم) وكان من خلقي الجَواز (أتجاوز عنهم) فكنتُ أيَسِّر على الموسر (أي : يتسامح معه في العملة وتبديل السلعة) وأنظر المعسر (في أن يضع شيئًا عن الدَّين أو

---

(١) جامع الترمذي رقم الحديث ٤٥٢ و١٩٣٤

(٢) صحيح مسلم رقم الحديث ٣٩٩٣

تأخير سداده) فقال الله تعالى : أنا أحق بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي ، فقال عقبة بن عامر ، وأبو مسعود الأنصاري : هكذا سمعناه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم

أموال الناس : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله الله عليه وسلم : من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه ، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله . رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما .

من أراد أن يرحمه اللهُ فليرحم الناس : عن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لا يرحم الناسَ لا يرحمه اللهُ . رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وعن ابن مسعود ، قال : سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : من لم يرحم الناسَ لم يرحمه اللهُ . رواه الطبراني بإسناد حسن ، وعن جرير رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء . رواه الطبراني بإسناد جيد قوي ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . رواه أبو داود والترمذي بزيادة ، وقال : حديث حسن صحيح

دعوة المظلوم : عن ابن عباس رصي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن ، فقال : اتق دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ، وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الربُّ : وعزتي لأنصرنَّك ولو بعد حين . رواه أحمد في حديث ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجرًا ، ففجوره على نفسه . رواه أحمد بإسناد حسن ، وعن أبي عبد الله الأسدي ، قال ، سمعتُ أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : دعوة المظلوم ، وإن كان كافرًا ، ليس دونها حجاب . رواه أحمد ، ورواته إلى عبد الله محتج بهم في الصحيح

باب الإحسان إلى البهائم والرفق بهم : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أنزع في حوضي حتى إذا ملأته لإبلي ورد عليَّ البعير لغيري فسقيته فهل في ذلك أجر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ في كلِّ ذات كَبِدٍ أجرًا . رواه أحمد ورواته ثقات مشهورون

وعن محمود بن الربيع أنَّ سراقة بن جُعشُم ، قال : يا رسول الله ، الضالة ترد على حوضي فهل لي فيها من أجر إن سقيتُها ؟ قال : اسْقها ، فإنَّ في كلِّ ذات كَبِدٍ حرَّى أجرًا . رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه ابن ماجه والبيهقي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه الحرّ فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ، ثمَّ خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان منِّي ، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماء ثمَّ أمسكه بفيه حتى رقيَ فسقى الكلبَ فشكر اللهُ له ، فغفر له . قالوا يا رسول الله : إنَّ لنا في البهائم أجرًا ؟ فقال : في كلِّ كَبِد رطبة أجرٌ رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود وابن حبَّان في صحيحه إلّا أنَّه قال : فشكر اللهُ له فأدخله الجنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ امرأة بغيًّا (تمتهن الزنا من بغايا بني إسرائيل) رأت كلبًا في يوم حارّ يطيف

ببئر قد أدلع لسانه من العطش ، (فنزلت البئر) فنزعت له (الماء) (بخفها فسقته) فغُفِرَ لها [1]

وعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَن حفر ماء لم تشرب منه كَبِدٌ حرَّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا طائر إلّا آجره الله يوم القيامة . رواه البخاري في تاريخه وابن خزيمة في صحيحه

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة ، ولْيُحِدْ أحدُكم شفرته ، ولْيُرِحْ ذبيحته . رواه مسلم ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رَجل واضع رِجله على صفحة شاة ، وهو يحدُّ شفرته ، وهي تلحظ إليه ببصرها ، قال : أفلا قبل هذا ؟ أوَ تريد أن تميتها موتتين . رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحاح ، ورواه الحاكم إلّا أنَّه قال : أتريد أن تميتها موتات ، هلّا أحددت شفرتك ، هلّا أحددتَ شفرتك قبل أن تضجعها ، وقال صحيح على شرط البخاري ، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحَدِّ الشفار ، وأن تُوارى عن البهائم ، (أي : وأن تُخفى عن بصرهم) وقال : إذا ذبح أحدُكم فَلْيُجْهِزْ . رواه ابن ماجه ، والشفار جمع شفرة ، وهي السكين ، وقوله (فَلْيُجْهِزْ) أي : فَلْيُسْرِعْ ذبحها ويتمه .

وعن أبي عمرو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلّا سأله الله عز وجل عنها ، قيل : يا رسول الله وما حقها ؟ قال : أن يذبحها فيأكلها ، ولا يقطع رأسها ويرمي بها . رواه النسائي والحاكم وصححه

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ٥٨٦٠ و ٥٨٦١

الموعظة الثالثة : (وإذا ما غضبوا هم يغفرون)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

اللهم يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

الغضب: هو ثوران دم القلب، وإرادة الانتقام ولا يكون محمودًا إلّا إذا كان انتصارًا لدين الله.

إذا تبين لك أنَّ رجلًا ما ، أقبل إليك يريد قتلك أو سرقة مالك أو الاعتداء على عرضك أو إهانة دينك ، فإنَّ الإسلام حينئذ يأمرك أن تجابه هذا الرجل بقوة ، وأن ترد عليه الصاع صاعين ، وأن تكون أكثر منه عنفًا وشدة ، ولا سيما إذا أصرّ على عدوانه وتمادى في غيه ، وجاز لك قتله إذا تبين لك أنَّه عازم على قتلك وإذا قُتِلْتَ قُتِلتَ شهيدًا.

فقد جعل الإسلام الذي يُقتَلُ دفاعًا عن دينه أو عرضِهِ أو ماله أو نفسه شهيدًا ، لكن الإسلام في الجانب الآخر أمر المسلم في غير هذه الحالات (الأربع) أن يعفو عمن أساء إليه ، عن أبي هريرة (ﷺ) أنَّ رجلًا قال للنبي (ﷺ) : أوصني قال: لا تغضب ، فردد مرارًا لا تغضب. رواه البخاري.

فالرجل كرر طلب الوصية من النبي (ﷺ) والنبي (ﷺ) يقول له في كل مرة: لا تغضب ، وعن أبي الدرداء (ﷺ) قال: قال رجل لرسول الله(ﷺ) : دلني على عمل يدخلني الجنة؟ قال رسول الله (ﷺ) : لا تغضب ولك الجنة . رواه الطبراني باسنادين أحدهما صحيح ، وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ) قال : صلى بنا رسول الله (ﷺ) يوما صلاة العصر، ثم قام خطيبا فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة (من الفتن) إلّا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وكان فيما قال: إنَّ الدنيا خضرة حلوة ، وإنَّ الله مستخلفكم فيها فناظر

كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، وكان فيما قال : "لا لا يمنعن رجلًا هيبة الناس (والخوف منهم من) أن يقول الحق إذا علمه ، فبكى أبو سعيد ، وقال: والله رأينا أشياء فهبنا (وخفنا أن نتكلم فيها حتى لا نتعرض للقتل أو الأذى) وكان فيما قال: ألا إنَّه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، ولا غدرة أعظم من غدرة إمام عامة ، يركز لواؤه عند أُسته (أسفل ظهره) وكان فيما حفظناه يومئذ : ألا إنَّ بني آدم خلقوا على طبقات ، ألا وإنَّ منهم البطيء الغضب السريع الفيء (أي: الذي لا يغضب بسرعة وإذا غضب رجع عن غضبه بسرعة) وإنَّ منهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك (لأنَّ سرعة الغضب صفة مذمومة ، ولكن سرعة الرجوع عنه صفة ممدوحة لذلك قال رسول الله (ﷺ) فتلك بتلك، أي : أنَّ إثم سرعة الغضب يكفره وتغفره سرعة الرجوع) ألا وإنَّ منهم سريع الغضب بطيء الفيء (وكلاهما صفة مذمومة) ، ألا وخيرهم بطيء الغضب (لا يغضب بسرعة) سريع الفيء (وكلاهما صفة ممدوحة ، لذلك جعله رسول الله(ﷺ) خير الناس) وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء (وكلاهما صفة مذمومة ؛ لذلك جعله رسول الله (ﷺ) شر الناس) ألا وإنَّ الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه وعروق عنقه من شدة غضبه فمن أحس بشيء من ذلك فليلتصق بالأرض ، (يعني : فليقعد إذا كان واقفًا فإن لم يذهب غضبه فليضطجع) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنّ رسول الله (ﷺ) أوصى رجلًا غضب من رجل سابَّه في حضرته ليذهب غضبه بأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وفسَّر ابن عباس قوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت: ٣٤] بأنَّ معناه : الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا (وتحلوا بهاتين الصفتين) عصمهم الله وخضع لهم عدوهم . ذكره البخاري تعليقًا.

وعن ابن عباس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ثلاث من كن فيه أواه الله في كنفه (ستر عليه برحمته وأدخله في محبته) من إذا أُعْطِيَ شكر (أي : اذا انعم الله عليه شكر الله) وإذا قدر غفر (أي : إذا قدر على الانتقام ممن آذاه صفح عنه وغفر له إساءته) وإذا غضب فتر (وهدأ بسرعة وسكن) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، وعن ابن عمر (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ (غضب) كظمها (حبسها) عبد (في نفسه) ابتغاء وجه الله . رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم ، وهذا هو عين الحلم ، والحلم هو العفو عن المسيء مع المقدرة على الرد عليه ، والحلم من أسمى ما يتصف به المرء.

وقد روى صحابة عن رسول (ﷺ) قوله: من كظم غيظًا (أي حبس غضبه ولم ينتقم ممن أغضبه) وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء الله.

يجمع النحاة والمفسرون على ان (ما) زائدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧].

أي: أنّه لا فائدة من ذكر (ما) أو أنّه يمكن الاستغناء عنها فالمعنى عندهم واحد بين قوله تعالى وقولنا: وإذا غضبوا هم يغفرون، حتى شاع عند دارسي قواعد اللغة العربية قول الناظم النحوي :

إخوتي أفيدكم فائدة كل (ما) بعد (إذا) زائدة

والحقيقة أنّ الفرق بين ذكر (ما) وعدم ذكرها فرق أساسي وكبير، فالناس بصفة عامة يمكن أن يوصفوا وأن يقال عنهم إذا غضبوا هم يغفرون ، أما عند ذكر (ما) كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ فإنّه لا يمكن أن يوصف بالمعنى الذي جلبته (ما) في هذه الآية إلّا القلة القليلة ، ومن المؤمنين الذين بلغوا أسمى درجات الصبر والحلم ، والذين قال الله عنهم: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥] إذ أغلب الناس يعفون عمن أساء إليهم وأغضبهم بعد أن تهدأ

ثورة غضبهم بزمن يطول أو يقصر، فلو قال جل شأنه ، وإذا غضبوا هم يغفرون ، لاحتمل وصف المؤمنين بهذه الصفة التي يتصف بها الأكثرون، وهو خلاف المراد من سياق الآية التي كانت لبيان ثناء الله سبحانه على صفوة مختارة خاصة تحلت بأسمى الخلق الذي قلّما يتحلّى به الناس ، لذلك كان المراد من الآية أن يصفهم الله بأنهم يغفرون ويعفون عن الناس ساعة وقوع الإساءة منهم ، والمعنى إذا غضبوا في أي وقت كان ، فهم وقت غضبهم يغفرون.

أي أن الله سبحانه أراد أن يثني على المؤمنين الذين يعفون عمن أساء إليهم وقت وقوع الإساءة لا بعدها ؛ يؤيد ذلك قول الرسول (ﷺ) : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب . رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

قال الحافظ (الصُرَعة) بضم الصاد وفتح الراء هو الذي كثيرا ما يصرع الناس بقوته ، وأما الصُرْعة (بضم الصاد وسكون الراء) فهو الضعيف الذي يصرعه الناس ، ومثل الصرعة : الخُدَعة ، بضم الخاء وفتح الدال : الذي كثيراً ما يخدع الناس ، أما الخُدْعة (بضم الخاء وسكون الدال) : فهو الذي كثيرًا ما يخدعه الناس ، وكذلك الضُحَكة بضم الضاد وفتح الحاء نعني الذي يضحك على الناس ، أما الضُحْكة بضم الضاد وسكون الحاء ، فهو الذي كثيرًا ما يضحك عليه الناس ، وما أشبه ذلك.

ففي هذا الحديث يبين لنا رسول الله (ﷺ) أنّه ليس الشديد الذي يصرع الناس وينتصر عليهم بقوته ، وإنّما الشديد هو الذي يتنصر على نفسه بحبس غضبها ومنعها من الانتقام ، ويوضح ذلك قوله (ﷺ) في حديث آخر: ليس الشديد من غلب الناس ، إنما الشديد من غلب نفسه . رواه ابن حبان في صحيحه مختصراً.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بال أعرابي في المسجد (وفي رواية في طائفة المسجد أي ناحية منه) فقام الناس إليه ليقعوا فيه (ليضربوه ويمنعوه

من إتمام بوله) فقال النبي (ﷺ) : دعوه (اتركوه يتم بولته ولا تقطعوها عليه) وأريقوا (وصبوا) على بوله سجلًا أو ذنوبًا (دلوًا مملوءًا ماءً) فإنّما بعثتم ميسرين (فدينكم دين السماحة واليسر) ولم تبعثوا معسرين (متشددين مضيقين). رواه البخاري.

وفي رواية أُخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم مع الأعرابي بكل رفق ولين وذكر له أنَّ المسجد بُنِي لطاعة الله لا للذي فعلت ، فقال الأعرابي : اللهم ارحمني وارحم محمدًا ولا ترحم غيرنا أحدًا ، فقال صلى الله عليه وسلم : فقد حجَّرْتَ واسعًا ، أي : كان ينبغي لك أن تدعو لكل المسلمين،

وعن ابن المسيب (رضي الله عنه) قال : بينما رسول الله (ﷺ) جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر (رضي الله عنه) فأذاه (فراح يذمّ أبا بكر ويعيبه ويسبّه) فصمت (وسكت) عنه (ولم يرد عليه (رضي الله عنه)) ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر (ولم يرد عليه أيضًا (رضي الله عنه)) ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر (وردّ عليه) فقام رسول الله (ﷺ) فقال ابو بكر (رضي الله عنه) : أَوَجَدْتَ عَلَيَّ (أَغَضِبْتَ عَلَيَّ) يا رسول الله؟ فقال رسول الله (ﷺ) : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك (كلما قال لك شيئًا قال له الملك كذبت) فلمّا انتصرت (لنفسك ورددت عليه) ذهب الملك وقعد (وحضر) الشيطان فلم أكن لأجلس إذن مع الشيطان. رواه أبو داود هكذا مرسلًا ومتصلًا.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ... وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه في شيء إلّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى . رواه البخاري ومسلم.

فمن عظم أخلاقه (ﷺ) أنه لم يغضب قط من أجل نفسه ، إلّا إذا أهين دين الله فكان يغضب لله تعالى.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: كأنّي أنظر إلى رسول الله (ﷺ) يحكي نبيا من الأنبياء (ويعني بذلك رسول الله (ﷺ)) ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون . رواه البخاري ومسلم.

وإذا كان عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يردّ بيده على قومه الذين اعتدوا عليه حتى أسالوا دم وجهه لأنّهم أكثر منه أنصارًا وعددًا ، إلّا أنّه كان يعلم أن الله معه ، وأن دعاءه عنده مستجاب ، فكان بوسعه أن يدعو الله على قومه ، ولكن من عظم حلمه أنه بدلًا من أن يدعو الله بأن ينتقم منهم ، دعا الله ليهديهم ويغفر لهم ويعتذر لهم عند ربه بأنّهم قوم لا يعلمون.

أي إنسان في الدنيا سما إلى هذه الدرجة من الحلم! لقد عظمت أخلاقه (ﷺ) حتى قال الله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) وعليه بُرْد (نوع من الثياب) نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرتُ إلى صفحة رسول الله (ﷺ) وقد أثَّر بها (وفي رواية أثر فيها) حاشية الرداء من شدة جذبته (فقد أحدثت جذبة الأعرابي في عنق رسول الله (ﷺ) أثرًا من شدتها) ثم قال (الأعرابي): يا محمد ، مُرْ لي من مال الله الذي عندك (أي : اعطني من مال الله ، وفي رواية : فإنك لا تأمر لي (ولا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك) فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) فضحك ثم أمر له بعطاء . رواه البخاري ومسلم، وسأله أعرابي فأعطاه ما سأل فقال له صلى الله عليه وسلم : أَأَحسنتُ إليك؟ قال :لا، ولا أجملتَ فاغتاظ الصحابة منه، فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته وأعطاه كل ما سأل ، فقال له :أَأَحسنتُ إليك الآن؟ قال : بلى ، فأثنى الأعرابي على الرسول صلى الله عليه وسلم خيرًا ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : إنك أحدثتَ وأثرتَ في قلوب أصحابي غضبهم منك ؛ فاثْنِ علَيَّ مثل ذلك أمامهم ؛ ليذهب عنهم كرههم لك ، ففعل

فما أعظم حلمه (ﷺ) فأيّ ملك في الدنيا يملك السلطة كلّها يفعل به مثل هذا رجل من السوقة والعامة ولا ينتقم منه؟ ولو بضربه ، أو بتعزيره أو بسجنه ، فضلًا عن قتله وإعدامه؟.

روى القسطلاني أنّ زيدًا بن سعنة ، وقد كان من أحبار اليهود ومن علمائها ولم يكن قد أسلم بعد قال : بعتُ رسول الله (ﷺ) تمرًا إلى أجل (محدد) فأعطيته التمر ، فلمّا كان قبل محل الأجل (أي: قبل موعد الأجل الذي أتفقنا عليه) أتيتُ إليه وهو جالس بين أصحابه ، فأخذتُ (وأمسكتُ بقوة) بمجامع قميصه وردائه ونظرتُ إليه بوجه غليظ (فأغلظتُ له القول) ثم قلتُ له : ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فو الله إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، لا تؤدون الدين في وقته ، فقال عمر (رضي الله عنه) أي عدو الله (يا عدو الله) أتقول لرسول الله (ﷺ) ما أسمع فوالله لو ما أحاذر (كذا) لضربتُ بسيفي عنقك ، وفي رواية : فقام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهز سيفه ، وقال يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنقه ، ورسول الله (ﷺ) ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ، ثم قال : ما لهذا يا عمر دعوناك لقد كنتُ أنا وهو (لقد كنتُ أنا وهذا اليهودي) أحوج إلى غير هذا منك (كان عليك يا عمر) أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الطلب ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا مكان ما روعته (وأخفته) ففعل ذلك ، فأعطاه دينه وزاده عطاء ، ثم قال اليهودي لرسول الله (ﷺ) : والذي بعثك بالحق يا محمد ما جئت لأطلب منك دينًا ، إنما جئتُ لاختبر أخلاقك ، فأنا أعلم أن موعد الدين لم يحن وقته ، ولكنني قرأتُ أوصافك في التوراة فرأيتُها كلّها متحققة فيك إلّا صفة واحدة لم أُجربها معك ، وهي أنّك حليم عند الغضب ، وأنّ شدة الجهالة لا تزيدك إلّا حلمًا ، ولقد رأيتها اليوم فيك فأشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنك يا محمد رسول الله ، أمَّا الدين الذي عندك (وقبضتُه) فقد جعلتُه صدقة على فقراء المسلمين.

اللهم انصرنا على هوى أنفسنا ، وصبِّرنا على أذى إخواننا ، وارزقنا الحلم ، وكظم الغيظ ؛ ليثقل ميزاننا يوم الدين ، اللهم آمين.

الموعظة الرابعة : من فضل الصلاة في السنة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

(فاطر السموات والأرض أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين)

اللهم نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

أين فرضت الصلاة؟ : لفضل الصلاة عند الله، فقد فرضها على محمد(ﷺ) وعلى أمته عندما كان في السماء، ليلة الإسراء والمعراج، في الوقت الذي فرض ما عداها عندما كان(ﷺ) في الأرض. فعن أنس(رضي الله عنه) قال : فرضت على النبي(ﷺ) ليلة أسري به الصلوات خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمسًا، ثم نودي يا محمد أنّه لا يبدل القول لديَّ ، وأنّ لك بهذه الخمس خمسين . رواه الخمسة إلّا أبا داود.

فقد فرضت الصلاة على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج خمسين مرة في اليوم، وقد رجا رسول الله (ﷺ) من الله التخفيف. فنقصت مرة بعد أخرى حتى جعلت خمسًا.

وفي هذا المعنى حديث أخرجه البخاري في الإسراء والمعراج... قال ابن شهاب ، فاخبرني ابن حزم، أنّ ابن عباس وأبا حية الأنصاري كانا يقولان: قال النبي (ﷺ) ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، قال ابن حزم ، وأنس بن مالك : قال النبي (ﷺ) : ففرض الله ، عز وجل، على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك ، حتى مررت بموسى عليه السلام، فقال : ما فرض الله على أمتك؟ قلت : خمسين صلاة، قال : فارجع إلى ربك فإنّ أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت فوضع عني شطرها وفي رواية أخرى : فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحطَّ عني خمسًا ، فرجعت إلى موسى، قلت : وضع عني شطرها فقال : راجع ربك فإنّ أمتك

لا تطيق ، فراجعت ، فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لديَّ، فرجعت إلى موسى، فقال : راجع ربك فقلت: قد استحيتُ من ربي...

لقد فرضت الصلاة لسمو قدرها في السماء خمس مرات في اليوم، وقد تمنى رسول الله (ﷺ) أن تكون أقلّ من ذلك ، رحمة بأمته ، لكن الله كان أرحم عندما نادى نبيه محمدًا (ﷺ) أنّه لا يبدل القول لديَّ ، ومن صلى خمسًا، فإنّها عندي تحسب في الميزان خمسين.

الصلاة عمود الإسلام وأساسه : الصلاة للإسلام كالأساس للبناء بدونها لا يبني الإسلام، يعبّر عن هذا حديث رسول الله (ﷺ) الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن غير واحد من الصحابة، إذ يقول عليه الصلاة والسلام : بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله إلّا الله، وأنّ محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت.

والصلاة للإسلام كالعمود للفسطاط (الخيمة) بدونها لا يقوم الإسلام، كما أنّه بدون العمود لا يقوم الفسطاط ، قال عليه الصلاة والسلام : الصلاة عمود الإسلام، الَسْتَ تَعْلَمُ أنّ الفِسْطاطَ إذا سقط عموده سقط الفسطاط، ولم ينتفع بالاطناب ولا بالأوتاد، وإذا قام عمود الفسطاط ، انتفعت بالاطناب والأوتاد. فكذلك الصلاة من الإسلام . أخرجه البيهقي.

فقد شبه رسول الله (ﷺ) الصلاة بعمود الخيمة بعد أن شبه بقية العبادات بأجزائها الأخرى ، كالأطناب ، وهي الحبال التي تربط أطراف الفسطاط بالأوتاد، وهي الخشب التي تثبت على الأرض، فالخيمة لا توقفها الحبال ولا الأوتاد، ولن تتنفع بهما إلّا عند وجود العمود، فكل مسلم لن يقيم إسلامه إلّا بإقامة الصلاة.

فإذا كان الإسلام رأس الأمر، فإنّ الصلاة عموده ، كما روى أحمد في سنده ، والترمذي والحاكم عن معاذ ، أنّ النبي (ﷺ) قال : رأس الأمر الإسلام... وعموده الصلاة . فإنّ رأس الأمر يسقط، إذا سقط عموده.

الصلاة أهم أسهم الإسلام : عن عائشة رضي الله عنها ، أنّ رسول الله (ﷺ) قال: ثلاثة أحلف عليهنّ لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة ، والصوم، والزكاة . رواه أحمد بإسناد جيد.

أحلف عليهن، أي: أحلف على أنهنّ أمور ثابتة لا شك فيها.

أسهم الإسلام كثيرة ؛ لأنّ كل فريضة وعمل صالح أمر به الله ، أو رسوله يعد سهمًا يحتل حيزًا من الإسلام ، يثاب فاعله على قدر ما يحمل هذا السهم من فضل ، لكن رسول الله (ﷺ) ذكر أنهنّ ثلاثة وهنّ المذكورات في الحديث.

ورسول الله (ﷺ) ذكر في هذا الحديث أنّ الله سبحانه لن يساوي بين من يملك هذه الأمور الثلاثة ممن لا يملكها، وهذا يعني أنّه بهنّ ، لا بغيرهنّ يُبَتُّ الأمر، ويُفرَّقُ بين المؤمن المسلم، والكافر الفاسق.

وقد وردت أحاديث أخرى بهذا المعنى، ومنها الحديث الذي روي عن أبي هريرة ، عن النبي (ﷺ) أنّه قال: لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له . رواه الطبراني في الأوسط الصغير.

هذا الحديث قد أفرد الصلاة بالذكر، وجعلها وحدها تحمل سهم الإسلام.

الصلاة وصية كل نبي : لفضل الصلاة في الإسلام ، فقد وصى بها رسول الله (ﷺ) وهو في سكرات الموت، في آخر ساعة في حياته قائلًا : الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم . رواه احمد والنسائي.

وروى ابن ماجه وغيره عن أم سلمة، رضي الله عنها، قالت: إنّ رسول الله (ﷺ) كان يقول في مرضه الذي توفي فيه : الصلاة وما ملكت أيمانكم . فما زال يقولها حتى ما يَفيضُ لسانه.

ومعنى الحديث. أن رسول الله (ﷺ) ظل يوصي بالصلاة حتى اقترب من الوفاة، ولم يستطع أن يحرك شفتيه ولسانه بهذه الوصية، أي : أنّها كانت آخر ما تلفظ به.

وقد جاء عن علي (رضي الله عنه) أنّه قال : كان آخر كلام النبي (ﷺ) : الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) رواه أبو داود وابن ماجه إلّا أنه قال: الصلاة وما ملكت أيمانكم.

وتكرار كلمة (الصلاة) يفيد الاهتمام بها ، وجاء في حديث آخر، أنّها آخر وصية كل نبي لأمته، وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا .

الصلاة أول ما يحاسب عنها : عن جابر (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة عن عمله صلاته... رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

إنّ جعل الصلاة أول ما يحاسب عنها يعني أنّ الله جعلها طليعة الأعمال ، ما يقبل ما عداها إن لم تقبل ، كأنّها قد صارت روح الصالحات بموتها تموت ، فقد احتلت الجاه الأول بعد الشهادة بين الأعمال والفرائض، كما يوضح ذلك الحديث الذي أخرجه الحاكم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أول ما افترض على أمتي الصلوات الخمس، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأول ما يسألون من أعمالهم الصلوات الخمس.

الصلاة نور لصاحبها : عن أبي مالك الأشعري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : الطهور شطر الإيمان ... والصلاة نور... رواه مسلم والترمذي، وروى ما في معناه ابن ماجه والنسائي.

الصلاة نور يستنير بها صاحبها في دنياه ، وفي قبره، ويوم يبعث، ويحشر، ويحاسب، ويوم يعبر الصراط.

بركة الصلاة : لكون الصلاة قد عمّ خيرها، فقد رغَّب رسول الله (ﷺ) المسلمين أن يصلوا السنن في البيوت لتحلّ فيها منها البركة ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : إذا قضى أحدكم الصلاة (المراد بها الصلاة الفريضة) في مسجده ، فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته ، فإنّ الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا . رواه مسلم وغيره.

ولعلّ الخير المقصود والحاصل من الصلاة في البيت هو البركة ، ونزول الرحمة ، ودخول الملائكة فيه، وانصراف الشيطان عنه، وتعوّد الأولاد على الصلاة.

الصلاة أعظم مقام وأجر وربح : يخون الناس بعضهم بعضًا، بل يقتل بعضهم بعضًا من أجل متاع الدنيا ، من أجل أجر تافه ويزول ويترك الصلاة التي لا أحد يعلم أجرها إلّا الله.

روى البيهقي عن عائشة ، رضي الله عنها أنّ النبي (ﷺ) قال: لو يعلم الناس ما في صلاة العشاء وصلاة الفجر لأتوهما ولو حبوا (أي: ولو زحفًا) حديث صحيح.

فالنبي (ﷺ) يخبرنا أنّ الناس لو علموا ما أعدّ الله لحاضر صلاة العشاء والفجر من أجر، لأتوهما في هذين الوقتين ولو زحفًا، ولو مشيًا على بطونهم، إن أعياهم المشي على أرجلهم.

وقد ذكر النبي (ﷺ) وقتي الفجر والعشاء دون غيرهما ؛ لأنّ أجر الصلاة فيهما أعظم من بقية الأوقات.

وعن أبي امامة، (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما ، وأنّ البر ليُذرّ على رأس العبد ما دام في صلاته... رواه الترمذي، بسند غريب.

فقد جعل الله، سبحانه، إقامة ركعتين أحبّ ما أمر به عباده حتى جعل البرّ، يعني به الإحسان الالهي، يذرّ على رأس المصلي ما دام في صلاته.

وعن عبد الله بن سلمان، عن رجل من أصحاب النبي (ﷺ) قال: جاء رجل يوم خيبر، إلى النبي (ﷺ)، فقال يارسول الله ، لقد ربحتُ اليوم ربحًا ما ربحه أحد من أهل هذا الوادي.

قال: ويحك وما ربحتَ؟ قال : ما زلتُ أبيع حتى ربحتُ ثلاثمائة أوقية ، فقال له (ﷺ) أفلا أنبئك (أي: أخبرك) بخير ربح؟ فقال: ما هو يا رسول الله؟ قال: ركعتين بعد الصلاة. أخرجه أبو داود.

وعن سعد بن ابي وقاص (رضي الله عنه) قال: كان رجلان أخوان فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة ، فذكرت فضيلة الأول منهما (أي: الذي مات قبل أخيه) عند رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ) ألم يكن الآخر مسلمًا (يعني يؤدي الصلوات الخمس وغيرها من فرائض الإسلام) قالوا : بلى ، وكان لا بأس به ، فقال رسول الله (ﷺ) : وما يدريكم ما بلغت به صلاته (أي: ما يدريكم ما رفعته صلاته من درجات في هذه المدة التي عاشها بعد أخيه). إنّما مثل الصلوات كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه (أي : يستحم فيه) كل يوم خمس مرات ، فما ترون في ذلك يبقى من درنه (أي : وسخه وعرقه) فإنّكم لا تدرون ما بلغت به صلاته" رواه مالك.

فقصة الحديث هي أنّ اخوين كان أحدهما مجتهدًا في العبادة أكثر من الثاني ، كما كان يرى ذلك الصحابة ، توفي قبل الثاني ، ثم تلاه بعد ذلك أخوه بأربعين ليلة ، فراح الصحابة ، رضي الله عنهم يذكرون فضيلة المتوفى الأول، أي : كانوا يقولون مثلًا : إنّ الذي مات أولا كان أفضل في تقواه وصلاته ، فردّ عليهم رسول الله (ﷺ) بما معناه ألم يكن الثاني مسلمًا يصلي؟ قالوا: بلى، قال: فلعلّ الصلوات التي صلاها خلال أربعين ليلة زيادة عن الأول قد رفعته إلى درجة أخيه وأكثر ، هذا إن صح أنّ الأول كان كما تقولون أفضل من الثاني.

فالحديث يشير إلى أنّ الصلاة تظل ترفع صاحبها درجات في كل يوم وليلة، فكلما صلى أكثر ، أو عاش أطول ، زادت حسناته وارتفع أكثر مقامه ، فقد عد الحديث الصلاة كنزًا لا ينضب معين درجاته.

الصلاة تنافس بفضلها فضل الجهاد والاستشهاد : لا ترفع الصلاة صاحبها الى ما سبق ذكره حسب ، بل قد ترفعه الى درجة الاستشهاد أو اكثر.

عن أبي هريرة، (ﷺ)، قال : كان رجلان من قُضَاعَةَ ، أسلما مع رسول الله (ﷺ) فاستشهد أحدهما وأُخِّرَ الآخر سنة ، قال طلحة بن عبيد الله : فرأيت المؤخر منهما (يعني رأى الذي مات بعد أخيه الشهيد في رؤيا صادقة) أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجب لذلك ، فذكرت ذلك للنبي (ﷺ) أو ذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال رسول الله، (ﷺ) : أليس (الذي تأخّر سنة) قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة ، وكذا وكذا ركعة صلاة سنة؟ رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

فرسول الله (ﷺ) في هذا الحديث أشار أنّ الزيادة في الصلوات التي أداها المتأخر لمدة سنة قد رفعته الى درجة أعلى من درجة استشهاد أخيه. وهذا الفضل للصلاة ليس فيه عجب ؛ لأنّها جهاد ضد هوى النفس.

فقد ذكر الحديث النبوي الشريف أنّ أبواب السماء تفتح لاستجابة الدعاء عند قيام الصلاة وعند اصطفاف المسلمين في الحرب لإعلاء كلمة الله.

فعن سهل بن سعد، (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) ساعتان لا تُردُّ على داعٍ دعوته ، حين تقام الصلاة، وفي الصف في سبيل الله ، رواه ابن حبان في صحيحه.

وعنه أيضًا أنّ رسول الله (ﷺ) قال : ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء ، وقلّما تردّ على داعٍ دعوته ، ثنتان لا تردّان، أو قال: ما يردّان: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعض بعضًا رواه ابو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما إلّا أنّه قال : عند حضور الصلاة.

ومعنى (حين يلحم بعض بعضًا) حين يتشابك المسلمون والمشركون بالسيف والأيدي ، أي: عند شدة الحرب.

إنّ جعل أبواب السماء تفتح لاستجابة الدعاء عند قيام الصلاة دليل على عظم فضل هذه الفريضة، عند الله، سبحانه.

كما أنّ اقتران وقت حضورها بوقت حضور الالتحام وتشابك السيوف في ساحة المعركة ، وهي أشد ساعات الجهاد ، وتقديمها في هذا الاقتران دليل على أنّ فضل الصلاة قد نافس فضل الاستشهاد في سبيل الله.

وقضية تفضيل الصلاة على الجهاد صرحت بها الأحاديث النبوية فعن ابن عمر، (ﷺ) أنّ رجلًا أتى النبي (ﷺ) فسأله عن فضل الأعمال ، قال النبي (ﷺ) : "الصلاة ، قال ثم مه؟ قال : الصلاة ، قال: ثم مه؟ قال : ثم الصلاة. ثلاث مرات: قال ثم مه؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فقد أكد رسول الله (ﷺ) فضل الصلاة ثلاث مرات قبل أن يذكر فضل الجهاد أي : كأنّما قد فضلها على الجهاد ثلاثة أضعاف ، ذلك أنّها تعد جهادًا مستمرًّا.

فجهاد النفس، أي: صرفها عن الشهوات، والصبر على طاعة الله تحتاج إلى ثبات أعظم مما يحتاج إليه المرء في الحرب ؛ فالحرب جهاد لوقت قصير، أمّا إقامة الصلاة فهي جهاد ضد النفس طوال الحياة.

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال : منتظر الصلاة كفارس اشتد به فرسه في سبيل الله ، على كشحه وهو في الرباط الأكبر. رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وإسناد أحمد صحيح.

جعل هذا الحديث ، من ينتظر بعد الصلاة صلاة أخرى ، كأنْ يصلي المغرب مثلًا في مسجد ، ثم يجلس حتى يحين العشاء ، جعل الحديث هذا الانتظار مقامه عند الله كمقام المجاهد في سبيل الله على فرس قد أتعبها من كثرة ما طاف فوقها ، فلعظم فضل الصلاة عند الله رفعت درجة الانتظار من أجلها إلى أكبر درجات الجهاد في سبيل الله.

الصلاة أفضل وسائل التقرب إلى الله : الصلاة من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه . عن جابر (ﷺ) أنّه سمع رسول الله (ﷺ) يقول لكعب بن عُجرة (بضم العين وسكون الجيم) يا كعب، الصلاة قربان، والصيام جنة... رواه أبو يعلى بإسناد صحيح ، والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى.

فبالصلاة تتقرب الى الله ، بل هي أفضل ما تقرب بها عبد إلى ربه عن أبي هريرة، (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال : يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحبّ مما افترضته عليه. رواه البخاري.

ويعني (مما أفترضته) الأركان الخمسة التي أولها فريضة الصلاة بعد الشهادة.

وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: وما تقرّب إلي عبد بمثل أداء الفرائض.

وقال الله تعالى : وما تقرب إليّ العبد بمثل أداء فرائضي. رواه ابن السني عن ميمونة.

فبالصلاة يتقرب العبد إلى ربه أكثر من أي فريضة أخرى ؛ لذلك قال رسول الله (ﷺ) : أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد . رواه مسلم عن أبي هريرة، (ﷺ).

فأقرب حالة يصل إليها الإنسان بينه وبين ربه ، هي حالة سجوده في أثناء صلاته.

وعن أنس عن النبي (ﷺ) قال : إذا كان أحدكم في الصلاة فإنّه يناجي ربه... رواه الخمسة ، وفي رواية إذا كان أحدكم يصلي فإنّما يناجي ربه ، وربه بينه وبين قلبه.

وعن أبي الأحوص ، عن أبي ذر (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : لا يزال الله مقبلًا على العبد في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه انصرف عنه . رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه

والحاكم في صحيحه ، ومن حديث طويل ، قال الرسول (ﷺ) : فإنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت رواه الترمذي وغيره ، ويؤيد معنى الأحاديث السابقة قوله تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ فالسجود يعني به الصلاة ؛ لأنّه جزء منها، فذكر الجزء وأريد منه الكلّ ، ومعنى الآية : صلِّ أيها العبد ، فإنّك كلّما صليت ، اقتربت من الله ، وكلّما زدت من الركوع والسجود ، زدت اقترابًا من الباري عز وجل.

اللهم إنا نسألك من الخير كلّه عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم. اللهم آمين.

الموعظة الخامسة : وقال ربكم ادعوني استجب لكم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين)

اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

من آداب الدعاء : استقبال القبلة وأن يبدأ دعاءه بتحميد الله والثناء عليه ثم بالصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ثم بعد ذلك يدعو وبعد الفراغ من دعائه يستغفر الله ويسأل الله أن يستجيب له.

وروى أبو داود عن ابن عباس قال : المسألة (ويعني بها إذا سألت الله حاجة) أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة والابتهال (ويعني به الاجتهاد في الدعاء) أن تمدّ يديك جميعًا.

وروي عن مالك بن يسار أنّ النبي (ﷺ) قال : إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها.

وروي عن سلمان أنّ النبي (ﷺ) قال : إنّ ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا.

والأوقات المفضلة لاستجابة الدعاء : يوم عرفة، وشهر رمضان، وعند الإفطار ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل، ووقت السحر، وأثناء السجود، وعند نزول الغيث، وبين الأذان والإقامة، وعند الصف للصلاة، وفي ساحة الجهاد والتقاء الجيوش، وعند رقة القلوب والخوف من الله. ودبر الصلوات المكتوبات.

روى أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إنّ الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ النبي (ﷺ) قال: ليس شيء أكرم على الله من الدعاء.

فعلى المسلم أن يجعل الدعاء عبادة فيدعو الله في كل حين في الرخاء وفي الشدة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ النبي (ﷺ) قال : من سره أن يستجيب الله تعالى له فليكثر الدعاء في الرخاء. رواه الترمذي.

ومن رحمة الله ولطفه بعباده أنّه يستجيب لهم دعاء الخير ولا يستجيب لهم دعاء الشر قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس:١١].

يقول ابن كثير : يخبر الله تعالى عن حلمه ولطفه بعباده أنّه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم وأموالهم وأولادهم في حال ضجرهم وغضبهم وأنّه يعلم منهم عدم القصد بالشر ويستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم وأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

والمعنى أنّه لو استجاب الله لهم كلما دعوا لأهلكهم. ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك كما جاء في الحديث عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ) : لا تدعوا على أنفسكم، لا تدعوا على أولادكم، لا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة فيها استجابة فيستجيب لكم.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : من لم يدع الله عز وجل غضب الله عليه . تفرد به الإمام أحمد.

ومن فضل الله تعالى وكرمه على عباده أنه حث عباده إلى أن يدعوه وتكفل لهم بالإجابة، فأحبّ العباد عند الله من سأل الله فأكثر سؤاله، وأبغض العباد عند الله من لم يسأل الله وليس أحد كذلك إلّا الله كما قال سفيان الثوري وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب ان تركت سؤاله وبنو آدم حين يُسأل يغضب

قال ابن كثير في تفسيره : عن القشيري عن أبيه عن جده أنّ أعرابيًّا سأل رسول الله (ﷺ): أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت النبي (ﷺ) فانزل الله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي. أخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ البخاري وقال مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنّه قال: لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، فقيل: يا رسول الله، وكيف يستعجل؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عن ذلك ويدع الدعاء (أي: ويترك الدعاء).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تعجل له في الدنيا أو تؤخر له في الآخرة إذا لم يعجل أو يقنط قال عروة: قلت: يا أماه: كيف عجلته وقنوطه قالت: يقول سألت فلم أُعطَ ودعوت فلم أُجَب.

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسالة إلّا أعطاها إيّاه ، إمَّا أن يجعلها له (في الدنيا) واما أن يدخرها له في الآخرة). رواه أحمد بإسناد لا باس به.

وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ) أنّ النبي (ﷺ) قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلّا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمّا أن يعجل له دعوته (في الدنيا) وإمّا أن يدخرها في الآخرة (فيجازيه عليها يوم القيامة) وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها. قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر. رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وقوله (ﷺ) وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها أي: بدلًا من أن يستجيب له دعاءه يصرف عنه شرًّا وبلاء ومن المؤكد أنّ صرف هذا الشر والبلاء خير لهذا العبد الداعي من الأمنية التي دعا الله أن يحققها له، والله أعلم بما هو الخير لعبده.

وقد يكون خير من هذا وذاك أن يدخر له هذا الدعاء ليجازى عليه في الآخرة بدلًا من أن يجازى عليه في الدنيا بجلب الخير أو بصرف الشر، فعن جابر بن عبد الله (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: يدعو الله المؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول (الله يا) عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن استجيب لك فهل كنت تدعوني. فيقول: نعم يا رب، فيقول (الله عز وجل) أما إنّك لم تدعني بدعوة إلّا استجيب لك، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم (وكرب) نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول (الله تبارك وتعالى إنّي عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم (وكرب)

نزل بك فلم تر فرجا قال: نعم يا رب، فيقول (الله سبحانه) إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا، ودعوتني في حاجة اقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يارب فيقول الله سبحانه إني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة اقضيها لك فلم تر قضاءها؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول (سبحانه) إنّي ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا، قال رسول الله (ﷺ) فلا يدع (أي: فلا يترك) الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلّا بيَّن له ، إمَّا ان يكون عجل له في الدنيا ، وإمّا أن يكون ادخر له في الآخرة، قال: فيقول المؤمن في ذلك المقلم: يا ليته لم يكن عجل له شيئًا، من دعاته. رواه الحاكم.

والمعنى: أنّ المؤمن يتمنى في ذلك المقام أن يكون كل ما دعا به من أجل حاجة في الدنيا قد ادخر له في الآخرة.

وقد كان رسول الله (ﷺ) مستجاب الدعاء ، وقد تسليت كثيرًا بقصة دعائه له (ﷺ) على كسرى. فأحببت أن أرويها مفصلة في هذه الموعظة.

بعث رسول الله (ﷺ) كتبًا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، من بينها كتاب كتبه رسول الله (ﷺ) إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس بعثه مع عبد الله بن حذافة ؛ لأنّه كان يتردد على كسرى كثيرًا وهذا لفظ الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلّا الله وأنّي رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًّا، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس، فجاء عبد الله بن حذافة إلى كسرى وسلمه كتاب رسول الله (ﷺ) فدعا من يقرأ له الكتاب، فإذا فيه: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، فلما سمع هذا أثارت حفيظته وصاح من فوره فتناول الكتاب ومزقه قبل أن يعلم ما فيه واستخف به وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه ويبدأ باسمه قبل اسمي أيكتب إلي بهذا وهو عبدي؟ وأمر بإخراج حامل الكتاب من قصره فأُخرج، فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار، فلما ذهب عن كسرى سورة

غضبه بعث فطلب حامل الكتاب فلم يجده، فلما وصل عبد الله بن حذافة إلى الرسول (ﷺ) وأخبره الخبر دعا رسول الله (ﷺ) على كسرى فقال: اللهم مزق ملكه، وقال: مزّق الله ملكه كما مزّق كتابي.

ثم بعث كسرى الى أمير له باليمن يقال له (باذان) وهو أحد عملائه بعث إليه بكتاب يقول فيه : بلغني أنّ رجلًا من قريش خرج بمكة يدَّعي أنّه نبي، فسِرْ إليه واستتبه فإن تاب وإلّا، وفي رواية، فابعث من عندك إلى الحجاز رجلين جلدين قويين فليأتياني به، فبعث باذان بابويه وقيل اسمه (قهرمانة) وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس، وبعث معه رجلًا من العرب يقال له : خرخسرة وكتب معهما إلى رسول الله (ﷺ) بأمره أن يخبرا محمدًا (ﷺ) بما قاله ملك الفرس وأن يذهب محمد معهما إلى كسرى ومما كان في كتاب كسرى: لتدخلنّ (يا محمد) في أمري (وفي طاعتي) أو لأتينك بنفسي ومن معي وأمر الله أسرع من ذلك فأمّا كتابك فأنا أعلم به منك، فيه كذا وكذا، ولم يفتح رسول الله (ﷺ) كتاب كسرى ولم يقرأه.

وقال باذان لمبعوثه بابويه، ائت بلد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره، فخرج بابويه ومعه خرخسرة حتى قدما الطائف فوجدا رجالًا من قريش من المشركين فسألاهم عن محمد (ﷺ) فقالوا هو بالمدينة، واستبشر هؤلاء المشركون وفرحوا وقال بعضهم لبعض: أبشروا فسيقضي ملِك الفرس على محمد، فقد نصب له كسرى ملك الملوك وأعدّ له العدة لقتاله واستئصاله، وكُفيتم الرجل ويريدون بذلك أنه لا حاجة أن تقاتل قريش محمدًا فسيقاتله عوضًا عنهم كسرى ويقضي عليه وينجيهم من شره.

فتوجها إلى المدينة وقدما على رسول الله (ﷺ) فكلمه بابويه فقال له : إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى عميله الملك باذان أمير اليمن يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي فإن فعلت كتب باذان هذا فيك إلى ملك الملوك فيشفع لك عنده فينفعك بما يقدر عليه

ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وقد دخل مبعوثا كسرى على رسول الله (ﷺ) وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره رسول الله (ﷺ) النظر اليهما وقال : ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: ربنا يعنيان: كسرى، فقال رسول الله (ﷺ) ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي، فأعلماه بما قدما له ودفعا إليه بكتاب باذان، فلما قرئ له الكتاب وعلم ما فيه وما يطلبه منه باذان تبسم رسول الله (ﷺ) ودعاهما إلى الإسلام وفرائصُهما ترعد هيبة لرسول الله (ﷺ) ثم قال لهما : إرجعا حتى تأتيان غدًا فأخبركما بما أريد.

وأتى رسول الله (ﷺ) الخبر من السماء أن الله قد سلّط على كسرى ابنه (شيرويه) فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا بعدما مضى من الليل كذا وكذا.

قال الواقدي: قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة النبوية لست ساعات مضت من تلك الليلة.

فدعا رسول الله (ﷺ) مبعوثي كسرى، فلما أتياه قال لهما: إنّ ربي قتل ربكما فقد سلط عليه ابنه فقتله في شهر كذا وفي الليلة الفلانية والساعة الفلانية.

فعجبا من ذلك، ثم قالا: وبماذا نخبر الملك باذان فقال لهما (ﷺ): أخبراه عني أن سلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر وقولا له: إنّك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك وأعطى رسول الله (ﷺ) خرخسرة منطقة (ومنطقة بكسر الميم: ما يحزم به على البطن) فيها ذهب وفضة وكان أهداها له بعض الملوك وكانت حمير قوم اليمن تسمى خرخسرة صاحب المعجزة، والمعجزة المنطقة بلغة حمير.

فخرجا ورجعا إلى باذان أمير اليمن وأخبراه بما أخبرهما به محمد (ﷺ) وقال باذان: والله ما هذا بكلام ملك وإنّي لأرى الرجل نبيًّا كما يقول ، ولننظرنّ ، فإن صدق وكان ما قال حقًّا فإنّه لنبي مرسل وان لم يكن صادقًا فسنرى فيه رأينا.

فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى، أمّا بعد فقد قتلت كسرى، ولم أقتله إلّا غضبًا لفارس فإنّه قتل أشرافهم فتفرق الناس، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي بالطاعة من قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن، فبعث باذان بإسلامه إلى رسول الله (ﷺ).

وشرط قبول الدعاء الذي يكون في أمر عام يهم الأمة أن تأمر هذه الأمة بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وشرط قبول الدعاء الذي يكون في أمر خاص يهم الفرد الداعي أن يأكل من كسب حلال فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء (يدعو الله) يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك؟ رواه مسلم.

والمعنى أنّ رسول الله (ﷺ) ذكر أنّ ثمة رجلًا يطيل السفر البعيد الشاق، متفرق شعر الرأس لعدم الاعتناء بنظافته ودهنه وترجيله، مغبرّ الوجه والثياب بسبب ما يصيبه من وعثاء الطريق وغباره، أي: هو رجل كادح ترك زينة الدنيا فتوافرت عنده كل الأسباب الموجبة لاستجابة الدعاء ولم يمنع من أن يستجيب الله دعاءه إلّا أكله الحرام ، وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : تليتُ هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبا) [البقرة: ١٦٨] فقام سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد ، أطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد

بيده إنّ العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يومًا، وأيّما عبد نبت لحمه من سحت (وحرام) فالنار أولى به، رواه الطبراني في الصغير.

اللهم اجعلنا من الطيبين الذين لا يأكلون إلّا الطيبات وأغننا بالقناعة والرزق الحلال عن الطمع وكل كسب حرام ومال حرام ، اللهم آمين.

الموعظة السادسة : الدين المعاملة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ربنا هب لنا حكمًا والحقنا بالصالحين واجعل لنا لسان صدق في الآخرين واجعلنا من ورثة جنة النعيم واغفر لآبائنا يا خير الغافرين ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

لم يأمر الإسلام المسلم أن يؤدي الفرائض فحسب، بل أمره كذلك أن يحسن معاملته مع الناس، حتى جعل المقياس الذي يقاس به المسلم هو معاملته لا صومه ولا صلاته، فمن حسنت معاملته دلّ ذلك على حسن إسلامه وإلّا فليراجع المرء نفسه.

فعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: من حمل علينا السلاح فليس منّا ومن غشنا فليس منّا. رواه مسلم.

فمن خان مسلمًا وخدعه في مبيع أو صناعة فأخفى عنه عيب البيع أو الصنعة فقد خرج بنصّ الحديث النبوي من الملة الإسلامية.

والمراد: أنّه من غشنا لا يعد أمرءًا سائرًا على طريقتنا وهدينا، فهو تعبير يراد به الزجر والتخويف.

وعنه أيضًا (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) مرّ على صبرة طعام (أي: مرّ على كومة طعام) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله (يعني أصابه ماء المطر)

قال (ﷺ) أفلا جعلته فوق الطعام (ظاهرًا مكشوفًا غير مدفون) حتى يراه الناس من غشنا فليس منّا. رواه مسلم وابن ماجه والترمذي وعنه: من غشنا فليس منّا وأبو داود ولفظه أنّ رسول الله (ﷺ) مرّ برجل يبيع طعامًا فسأله كيف تبيع؟ فأخبره فأوحى الله إليه أن أدخل يدك فيه فإذا هو مبلول، فقال رسول الله (ﷺ): ليس منّا من غش ، وقوله (ﷺ) (من غشنا) يعني: من غش المسلمين أمّا قوله (ﷺ) في رواية الترمذي (من غش) يعني من غش أيّ إنسان كان ، فقد جعل رسول الله (ﷺ) من يغش الناس سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين خارجا من ملة الإسلام ، وهذا ما تقدم في باب : من إنسانيات هذا الدين

وروي عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : مرّ رسول الله (ﷺ) بطعام وقد حسنه صاحبه، فأدخل يده فيه فإذا طعام رديء فقال: بِعْ هذا على حدة ، وهذا على حدة (فمن غشنا فليس منا) رواه أحمد والبزار. والطبراني ورواه أبو داود بنحوه عن مكحول مرسلًا ، وقوله (رضي الله عنه) "مر رسول الله (ﷺ) بطعام وقد حسنه صاحبه "معناه أنّه زيَّن ظاهره كما هي عادة الباعة المتجولين حيث يعمدون إلى جيد الثمار فيرصّونها بعضها فوق بعض رصًّا بديعًا يغري المشتري بالشراء فإذا ذهبت لتشتري منه عمد الى الرديء فوزن لك منه دون أن يضع لك من الجيد ثمرة واحدة فكيف يكون هؤلاء مسلمين ومثل هذا الغش شائع جدًّا في أسواقنا ، (ﷺ): بع هذا على حدة وهذا على حدة ، يعني: أن يجعل الجيد في جهة لبيعه بسعر ويجعل الرديء في جهة أخرى ليبيعه بسعر آخر ؛ لأنّ بيع الرديء بثمن الجيد غش وخداع للمشتري.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) إلى السوق فرأى طعامًا مصبرًا (مبتلًّا بالماء) فأدخل يده فأخرج طعامًا رطبًا قد أصابته الماء (أي: أصابته مطر السماء) فقال (ﷺ) لصاحبها ما حملك على هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق إنّه لطعام واحد قال: أفلا عزلت الرطب على حدة ،

واليابس على حدة (فيكون كلٌّ منهما منعزلًا عن الآخر مستقلًّا عنه) فتبايعون ما تعرفون (حتى يكون البيع والشراء على شيء مشاهد معروف) من غشنا فليس منا". رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

وعن ابن مسعود (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار. رواه الطبراني في الكبير والصغير بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه ، فقد جعل رسول الله (ﷺ) الغش في البيع والشراء والمعاملة مكرًا وخداعًا وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾. فمثل هذه الصفات لا تليق إلّا بأهل النار.

وعن قيس بن أبي هريرة (ﷺ) قال: مرّ النبي (ﷺ) برجل يبيع طعامًا فقال: يا صاحب الطعام أسفل هذا مثل أعلاه؟ فقال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ): من غش المسلمين فليس منهم. رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات.

وعن صفوان بن سليم (وهو من كبار التابعين) أنّ أبا هريرة (ﷺ) مرّ بناحية الحرة[1] فإذا إنسان يحمل لبنا يبيعه فنظر إليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه بالماء (ويعرف اللبن المخلوط بالماء بتغير لونه الى السواد) فقال له أبو هريرة: كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلِّص الماء من اللبن. رواه البيهقي والأصبهاني موقوفًا بإسناد لا بأس به.

يقول محقق الترغيب محمد خليل هراس (ولكنه) في حكم المرفوع فلا بد أن يكون أبو هريرة قد سمع ذلك من رسول الله (ﷺ).

وقوله (خلص الماء من اللبن) : يعني اعزل اللبن عن الماء حتى يرجع صريحًا كما كان قبل أن يخلطه. وهذا يفيد التعجيز فظاهر هذا الحديث الموقوف يعني أنّ هذا الغشاش لا يدخل الجنة إلّا إذا استطاع يوم القيامة أن

(١) وهي ارض ذات حجارة نخرة سود تقع قبلى المدينة وهناك حرة أخرى بظاهر المدينة.

يعزل اللبن عن الماء وليس باستطاعته أن يفعل والمراد بذلك الزجر العنيف عن الغش عافانا الله منه ومن كل ذنب يوصل إلى النار.

وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنّ رجلًا (تاجرًا يعني بذلك الأمم السابقة وكان الخمر وقتئذ غير محرم) كان يبيع الخمر في سفينة له ومعه قرد في السفينة وكان (التاجر) يشوب (ويخلط) الخمر بالماء (فألهم الله القرد) فأخذ الكيس (كيس النقود التي يبيع بها) فصعد الذروة (أي: صعد القرد أعلى السفينة حاملًا معه كيس النقود) وفتح الكيس فجعل يأخذ دينارًا فيلقيه في السفينة (في سفينة التاجر ثمنًا للخمر التي باعها ويأخذ) دينارًا (آخر فيلقيه) في البحر (وهو ما يقابل الماء الذي خلط به الخمر) حتى (فرغ ما في الكيس فقد) جعله نصفين (أي ضَيَّع نصف أمواله فرماها في البحر جزاء غشه).

وعن عقبة بن عامر (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال : المسلم أخو المسلم لا يحلّ لمسلم إذا باع من أخيه بيعًا فيه عيب إلّا يبينه. رواه أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم. يعني أنّه يحرم عليه إخفاء ذلك العيب.

وعن تميم الدارمي (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إنّ الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم. رواه مسلم والنسائي ، إنّما الدين النصيحة ، وأبو داود وعنده قال: إنّ الدين النصيحة إنّ الدين النصيحة ، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان إلّا أنّه قال رأس الدين النصيحة فقالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله عز وجل ولدينه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

من معاني النصيحة لعامة المسلمين أن يبين المسلم لأخيه المسلم ما ينفعه وينبهه على ما يضره وأن يحب له ما يحب لنفسه وأن يكره له ما يكره لنفسه ومن ذلك أن لا يغشه في المعاملة والبيع والشراء. فعن أنس (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . رواه

البخاري ومسلم وغيرهما ، ورواه ابن حيان في صحيحه ولفظه: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقد ربَّى الإسلام أتباعه على مبدأ أن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه وفي هذا الباب أمثلة كثيرة، نذكر منها مثلين لنبين من خلالهما كيف أنّ الرعيل الأول من المسلمين تشربوا بمبادئ هذا الدين وترجموها عملًا ،لا قولًا فحسب.

يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان (يعني أقمشة متنوعة مختلفة الأسعار ثمن نوع منها أربعمئة درهم وثمن نوعها الآخر مئتا درهم) فمرّ إلى الصلاة (ترك الدكان وذهب إلى المسجد ليصلي) وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء الأعرابي وطلب حلّة باربعمئة درهم فعرض عليه من الحلل المئتين فاستحسنها (الأعرابي) ورضيها واشتراها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله (صاحب الدكان) يونس فعرف حلته فقال للأعرابي بكم اشتريتها؟ فقال باربمئة درهم، فقال: لا تساوي أكثر من مئتين فارجع حتى نردها، فقال (الأعرابي) هذه تساوي في بلدنا خمسمئة درهم وأنا ارتضيتها، فقال يونس: أتعرف أنّ النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها، ثم رده إلى الدكان، ورد عليه مئتي درهم، وخاصم ابن أخيه في ذلك (تشاجر معه) وقال له: أما استحيت؟ اما اتقيت الله؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين. فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها. فقال: فهلّا رضيت له بما ترضاه لنفسك.

وقد روي أنّ جرير البجلي أحد أصحاب الرسول (ﷺ) أرسل غلامًا له ليشتري له فرسًا فذهب الغلام إلى بائع الفرس وسأله وقال له بكم تبيع هذه الفرس؟ فقال له بائع الفرس أبيعه بكذا من المال، فقال له: هيا معي إلى سيدي لينتقدك الثمن (أي ليعطيه ثمنه نقدًا) فأخذ الغلام الفرس وذهب به الى

جرير البجلي فسأله: بكم اشتريتها يا غلام؟ فقال له الغلام باربعمئة درهم فتوجه البجلي إلى بائع الفرس وقال له أتبيعه بخمسمئة درهم؟ أتبيعه بستمئة درهم والرجل (صاحب الفرس) ساكت: وقال له اتبيعه بسبعمئة درهم؟ أتبيعه بثمانمئة فقال له الرجل (صاحب الفرس) ما رأيت مشتريًا يزيد الثمن (بل المعتاد أنّ المشتري يحاول جاهدًا أن يشتري الحاجة من صاحبها بأقلّ ثمن وأرخص ثمن ممكن) ، فقال له البجلي لقد عاهدت رسول الله (ﷺ) على النصح لكل مسلم والفرس تساوي ثمانمائة درهم فإذا أخذتها بأقلّ من ذلك فقد خنت عهد رسول الله (ﷺ) .

فالمسلم يقاس بحسن معاملته ، فقد أراد عمر (رضي الله عنه) غداة يوم أن يولِّي رجلًا مسلمًا امينًا أمرًا من أمور المسلمين فسأل أصحابه إن كان أحدهم يعرف هذا الرجل المسلم الأمين فقال رجل أنا أعرفه يا أمير المؤمنين إنّه فلان بن فلان القوَّام الليل والصوَّام النهار فقال عمر (رضي الله عنه) : هل ناسبته في زواج ؟ قال لا، قال: هل سافرت معه؟ قال لا، قال : هل أنت جاره بيتَ بيتَ ؟ قال : لا ، قال: هل عاملته بالدرهم والدينار؟ قال : لا، فقال: إنّك إذن لا تعرفه ؛ ذلك أنّ المسلم يُعرف جوهر إسلامه بالمعاملة.

والإسلام لم يأمر المسلم بأن يحسن معاملته مع الناس فحسب ، بل أمره كذلك بأن يتمنى لهم الخير كما يتمناه لنفسه ، فما أنبل قول نبينا الكريم (ﷺ) : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، كما حثه على أن يترجم هذا الحب للآخرين إلى عمل وسلوك ، فيخدمهم بما يقدر عليه ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : بينما رجل يمشي بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ، فأخَّره ، فشكر اللهُ له ، فغفر له . رواه البخاري

فقد نال هذا العبد شكر الله له ، ومغفرته ؛ لأنَّه نحَّى غصن شوك عن طريق الناس

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر. اللهم آمين.

الموعظة السابعة : وكونوا عباد الله إخوانًا

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير).

عن أنس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) "لا تتقاطعوا (بمعنى: لا يهجر بعضكم بعضًا) ولا تدابروا (بمعنى لا يعادي بعضكم بعضًا) ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" رواه مالك والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي ومسلم أخصر منه. وعن أبي أيوب (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال : لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا وهذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام . رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود ، وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار. رواه أبو داود ، وفي رواية لأبي داود قال النبي (ﷺ) : لا يحلّ لمؤمن (وأكثر الروايات: لا يحل لمسلم) أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث (ليال) فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فإن ردّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلِّم من الهجرة . أي: خرج الذي سلم من الإثم.

وعن هشام بن عامر (ﷺ) قال: قال رسول الله ... فإن ماتا على صرمهما (أي: إن ماتا واحدهما مهاجر ومقاطع للثاني) لم يدخلا الجنة

جميعاً أبدًا. رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه إلّا أنّه قال: لم يدخلا الجنة ولم يجتمعا في الجنة . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة إلّا أنّه قال: قال رسول الله (ﷺ)... فإن اصطرما (وتقاطعا) فوق ثلاث (ليال) لم يجتمعا في الجنة وأيهما بدأ صاحبه (بالسلام أو بالحديث) كفرت ذنوبه، وإن هو سلّم فلم يرد عليه، ولم يقبل سلامه رد عليه الملك، ورد على ذلك (الذي ما قبل حديث أخيه وسلامه ردعليه) الشيطان.

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): .... وإن ماتا وهما مهاجران لا يجتمعان في الجنة. رواه الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد . وعن فضالة بن عبيد (رضي الله عنه) إنَّ رسول الله (ﷺ) قال: من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار إلّا أن يتداركه الله برحمته. رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح يعني: أنّه مستحق النار إلّا أن يعفو عنه. وعن أبي حراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي (رضي الله عنه) أنّه سمع النبي (ﷺ) يقول من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه. رواه أبو داود والبيهقي.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال سمعت النبي (ﷺ) يقول: إنّ الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم. رواه مسلم. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس (تعرضها الملائكة على الله سبحانه) فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلّا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول جل شأنه اتركوا هذين حتى يصطلحا.. رواه مالك ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه.

وفي رواية لمسلم أنّ رسول الله (ﷺ) قال: تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر (الله) عز وجل لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلّا رجل بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا ، قال أبو داود إذا كانت الهجرة (والتقاطع) لله فليس هذا بشيء (أي: لا يعد من الهجر الممنوع ولا يترتب عليه ذلك الوعيد) فإنّ النبي (ﷺ) هجر بعض نسائه أربعين يومًا، وابن عمر هجر ابنًا له إلى أن مات.

وعن ابن عباس (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) قال: ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا، رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارمان (متهاجران ومتقاطعان). رواه ابن ماجه واللفظ له ورواه ابن حبان في صحيحه إلّا أنّه قال: ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة فذكر نحوه.

وقد حث الإسلام على إصلاح ذات البين، أي: إصلاح ما وقع من فساد وخصومة بين الرجلين ، فعن أبي الدرداء (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة (على سبيل التطوع)؟ قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، فان فساد ذات البين هي الحالقة . رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث صحيح . وقوله (هي الحالقة): أي أن فساد ذات البين هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين، أي، تهلكه وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر.

وعن أم كلثوم بن عقبة بن معيط (ﷺ) أنّ النبي (ﷺ) قال: لم يكذب (أي: ليس عليه إثم الكذب وإن وقع منه الكذب بالفعل) من نمّى بين اثنين ليصلح. وفي رواية: ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرًا أو نمّى خيرًا. رواه أبو داود. أي: أنّ الإسلام أجاز الكذب إذا كانت الغاية منه إصلاح الرجلين المتخاصمين، بأن يقول لكل منهما : إنّ فلانا يحبك ويثني عليك خيرًا، يقول ذلك كذبا من أجل أن يصلح بينهما.

وروى عن أنس (ﷺ) أنّ النبي (ﷺ) قال لأبي أيوب : ألا أدلك على تجارة (أي: على أجر عظيم)؟ قال: بلى، قال: صِلْ بين الناس إذا تفاسدوا وقرِّب بينهم إذا تباعدوا. رواه الطبراني.

وعن جودان (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) من اعتذر إلى أخيه المسلم (يعني أتاه معتذرًا إليه عما صدر منه طالبًا عفوه) فلم يقبل منه (عذره

ورفض التجاوز عنه) كان عليه ما على صاحب مكس. والمكس: هو الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العشار. وفي الحديث: لا يدخل الجنة صاحب مكس.

فالحديث يعني أنّ ذنب من لم يقبل عذر أخيه ذنب كبير. وهذا الحديث رواه أبو داود في المراسيل وابن ماجه بإسنادين جيدين إلّا إنّه قال: من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل عذره كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس. وفي رواية قال رسول الله (ﷺ) : من تنصل إليه (أي: اعتذر إليه) فلم يقبل اعتذاره لم يرد على الحوض.

يعني: لم يكن أهلًا لان يشرب من حوض رسول الله (ﷺ) لعدم قبول معذرة أخيه.

الموعظة الثامنة : (وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

(لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

استغفر الله إنّ الله غفور رحيم.

يجمع الإسلام في تشريعاته وتوجيهاته، وفي فرائضه وسننه بين الدنيا والآخرة، فهو كما يدعو المسلم إلى تزكية نفسه وروحه يدعوه إلى تقوية جسمه والمحافظة على صحته، وكما يدعوه إلى الزهد يدعوه إلى عدم الرهبانية قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

وكما يدعوه إلى عدم التبذير والإسراف في الأكل يدعوه إلى أكل الطيبات من الحلال وإلى عدم تحريمها على نفسه.

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧] فقد جعل الله تحريم ما أحلّ من الطيبات اعتداء.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال الله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٦].

إلّا أن الإنسان غالبًا ما يترك العمل للدار الباقية ويجعل الدار الفانية أكبر همه فيجعل العمل كله لدنياه دون آخرته لذلك تضمن الكتاب والسنة توجيه المسلم في هذه القضية وتذكيره بحقارة الدنيا وقصر عمر أهلها فيها وهذه حقيقة نسيها الإنسان أو تناساها وسيشعر بها ويدركها ولكن بعد فوات الأوان. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ ۞ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

يسأل الملك خازن النار أهل النار يوم القيامة كم لبثتم (وبقيتم) في دنياكم؟ يجيبونه بأنّهم بقوا فيها يومًا واحدًا أو جزءًا من يوم، فاسأل العادين، فاسأل غيرنا من الذين يعرفون العد ، أمّا نحن فإنّا مشغولون بالعذاب فلا يَدَعْ لنا ما نقاسيه مجالًا لنحسب عدد أيامنا في الدنيا.

بل أهل النار في مشهد من مشاهد يوم القيامة عندما يُذكّرون بعمرهم أو يتذكرونه يقسمون بأنّهم ما لبثوا في الحياة الدنيا غير ساعة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥] يقسمون أنّهم ما بقوا في الدنيا إلّا ساعة في أول الليل أو ساعة

في أول النهار قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

فالحياة الدنيا سراب خادع ، طيف يمرّ مرّ السحاب والحياة الحقيقية هي الحياة التي يحياها المؤمنون في الجنة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخرةَ هي دارُ القرارِ) [مؤمن (غافر): ٣٨-٣٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الأخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] (لهي الحيوان) بفتح الحاء والياء والمعنى: لهي الحياة الحقيقية الخالدة التي لا موت ولا فناء بعدها.

عن المغيرة بن شعبة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنّ موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى (وما أقلّ) أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء، بعدما دخل أهل الجنة، فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقال له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة، رضيت رب. قال (موسى عليه السلام) رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها (أي: طبعت عليها حتى لا يمسها أحد قبلهم) فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) في الحديث القدسي يقول الله تعالى "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" اقرؤوا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط (أي: مقدار طول عصا من أرض الجنة) خير من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وروى البخاري ومسلم بعضه.

وفي الحديث الذي رواه البخاري. قال رسول الله (ﷺ): (قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها) (أي: طول ذراع من أرض الجنة خير من الدنيا مرتين).

وروى ابن حبان في صحيحه. قال رسول الله (ﷺ): موضع قدم في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

وفي رواية للطبراني قال (ﷺ): لموضع سوط في الجنة خير مما بين السماء والأرض.

لذلك وصف الله الدنيا وطلابها بقوله عز وجل وعلا: ﴿وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]. ومعنى (متاع): شيء قليل، وهو مشتق من: متع النهار: إذا ارتفع عند الزوال وصارت الشمس في منتصف كبد السماء تمامًا التي لا تستقر فيه إلّا قليلًا، فهذا الوقت لشدة قصره تكون بدايته نهايته، والله سبحانه شبه الدنيا به لقصر عمرها وتفاهتها ، إذا ما قيست بنعيم الآخرة، وكما قال الله تعالى ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].﴿ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٧٧].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالأخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وقال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف[1] يبقى لكان الواجب أن يؤثر (ويفضل) خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى.

ولتفاهة الدنيا عند الله فقد أخبرنا سبحانه أنّه لولا أن يكفر الناس جميعهم لجعل لكلّ من يكفر به ويعصيه سقف بيته وسلالمه وأبوابه وسرره من فضة ولجعل له زخرفًا أي: ذهبًا: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا

(١) الخزف: ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارًا.

يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ ۞ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتاعُ الحياةِ الدنيا والآخرةُ عند ربك للمتقينَ) [الزخرف: ٣٣-٣٥].

ولو فعل الله هذا لما آمن به من أحد ولصار الناس على اختلاف مذاهبهم أمّة واحدة على الكفر.

وعن المستورد بن شداد (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ (أي: في البحر) فلينظر بما يرجع . رواه مسلم.

والمعنى أنّ نعيم الآخرة كالبحر وإنّ متاع الدنيا إذا قيس به يساوي ما يلتصق بالإصبع من ماء البحر بعد غمسها فيه فإذا أردت أن تتصور الفرق بين نعيم الآخرة ونعيم الدنيا فتصور الفرق بين البحر وبين قطرة منه.

وعن الدرداء رضي الله قال: (مر النبي (ﷺ) بدمنة (ومزبلة) قوم فيها سَخْلَة وفي رواية بسخلة جرباء (والسخلة هي الأنثى من ولد الضان الغزال) فقال (بصيغة الاستفهام) ما لأهلها فيها حاجة؟ فقالوا: يا رسول الله لو كان لأهلها فيها حاجة ما نبذوها (ورموها هنا) فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها ، فلا ألفينّها أهلكت أحدًا منكم . رواه البزار والطبراني في الكبير من حديث ابن عمر بنحوه ورواتهما ثقات.

ويعني رسول الله (ﷺ) في قوله "فلا ألفينّها أهلكت أحدًا منكم" إني لا أريد أن أجد أحدًا منكم- مخاطبًا صحابته وأمّته، أن تغريه هذه الدنيا التي لا تساوي عند الله هذه السخلة الجرباء المرمية في المزبلة.

وعن جابر (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) مر بالسوق والناس كنفتيه (وحوله) فمر بجدي أسك (مقطوع الأذن) ميت فتناوله بإذنه ثم قال: أيّكم يحبّ أنّ (يكون له) هذا بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنّه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم. رواه مسلم.

ولهذا قال (ﷺ): لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي.

وفي رواية للطبراني من حديث ابن عمر قال رسول الله (ﷺ) : لو كانت (الدنيا) تعدل عند الله مثقال حبّة من خردل لم يعطها إلّا لأوليائه وأحبائه من خلقه.

إنَّنا في هذه الدنيا ضيوف ، وكل مُلْكٍ لنا فيها مستعار.

وما المالُ والأهلون إلاّ ودائعُ ولا بدَّ يومًا أن تُرَدَّ الودائعُ

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله . رواه البخاري ومسلم.

والصلاة أول الأعمال التي يسأل عنها العبد بعد مماته كما قال (ﷺ): (إنّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: مثل ابن آدم وأهله وماله وعمله كرجل له ثلاثة أصحاب فقال أحدهم (يعني المال) أنا معك (مدة) حياتك فإذا مت فلستُ منكَ ولستَ مني، وقال الآخر (يعني الأهل) أنا معك فإذا بلغت تلك الشجرة فلستُ منك ولستَ مني وقال الآخر يعني (العمل) أنا معك حيًّا وميتًا. رواه البزار وفي رواية للطبراني : وخليل يقول لك أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عملك.

وحكي أنّ أحد الصالحين كان قد شق له أخدودًا كالقبر في بيته وكان كلما يرى قلبه قد قسا يضطجع فيه ويتلو على نفسه قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فيقول هذا العبد الصالح بعد أن ينهض: ها أنتِ يا نفس قد رجعتِ إلى الحياة الدنيا فاعملي صالحًا.

وعن عبد الله بن عمر (ﷺ) قال: أخذ رسول الله (ﷺ) بمنكبي (وكتفي) فقال: كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل. رواه البخاري.

فلنعمر آخرتنا بالإيمان والصالحات بقدر ما نعمر دنيانا بكنز الأموال وتطاول البنيان حكي أنّ سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجًّا قال: هل بها رجل أدرك عددًا من الصحابة؟ قالوا: نعم أبو حازم فأرسل إليه، فلمّا أتاه قال: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: إنّكم عمرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة فأنتم تكرهون الخروج من العمران إلى الخراب. قال صدقت.

اللهم اجعلنا أصحاء في أرواحنا وأجسامنا وأقوياء وأغنياء في ديننا ودنيانا واجلعنا إذا توفيتنا ننتقل من عمران إلى عمران. اللهم آمين

الموعظة التاسعة : علي بن أبي طالب (ﷺ)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

حسبنا الله لا إله إلّا هو عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم.

علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، أسلمت وهاجرت.

وعلي (ﷺ) أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله (ﷺ) بالمؤاخاة، زوجه الرسول (ﷺ) ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وهو أول خليفة من بني هاشم.

وشهد مع رسول الله (ﷺ) بدرًا وأُحدًا وسائر المشاهد إلّا تبوك فإنّ النبي (ﷺ) استخلفه على المدينة، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه الرسول (ﷺ) اللواء في مواطن كثيرة.

كان عمره حين أسلم عشر سنوات وقيل ثمانيا وقيل دون ذلك ، ولم يسجد للأصنام قط لأنّه أسلم وهو صغير السن من جهة، ولأنّه تربّى في

طفولته في بيت النبوة قبل بعثة الرسول (ﷺ) من جهة أخرى لذلك ينعت بعبارة (كرم الله وجهه) أي: من السجود للأصنام.

وتميز على (ﷺ) من بين الصحابة بفقهه في القضاء، فقد أخرج الحاكم عن على (ﷺ) قال: بعثني رسول لله (ﷺ) إلى اليمن فقلت يا رسول الله : بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء، فضرب صدري ثم قال: اللهم أهد قلبه وثبِّت لسانه.

ولهذا رُوي عن عمر (ﷺ) أنّه كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن وقد قال في مسألة فقهية : لولا علي لهلك عمر، يعني في إصابة الفتوى والقضاء وكان يقول (علي اقضانا). وقد سُئلَتْ عائشة رضي الله عنها عن المسح على الخفين فقالت: إئْتِ عليًّا فسله. أخرجه مسلم.

وهاتان الشهادتان إن كانتا تدلان على علم علي (ﷺ) فإنّهما تدلان أيضًا على العلاقة الأخوية التي كانت بين عمر وعائشة وبقية الصحابة من جهة وعلي (ﷺ) من جهة أخرى.

وقد كان (ﷺ) رجلًا قويًّا شجاعًا وهو الذي يقول عن نفسه ما بارزت أحدًا إلّا انتَصَفْتُ منه وقد بارز علي (ﷺ) الوليد بن عتبة في معركة بدر وصرعه وقد كان علي (ﷺ) آنذاك فتى والوليد بن عتبة من الفرسان المشهورين في الجاهلية.

وقد ظهرت شجاعته وإخلاصه في الليلة التي اعتزم فيها الكفار قتل النبي، فقد أمره الرسول (ﷺ) أن يبيت في مكانه إيهامًا للكفار، وخرج عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر، مهاجرين إلى المدينة فامتثل علي أمره وفداه بنفسه ونام في فراشه غير هيّاب ولا وجل.

وروى البخاري في الأدب عن سهل بن سعد قال: إن كان أحب أسماء علي (ﷺ) إليه (أبا تراب)، وإن كان ليفرح أن يدعى به وما سمّاه أبا تراب إلّا النبي (ﷺ) ذلك أنّه غاضب يومًا فاطمة رضي الله عنها، فخرج فاضطجع

إلى الجدار في المسجد، فجاءه النبي (ﷺ) وقد امتلأ ظهره ترابًا، فجعل النبي (ﷺ) يمسح التراب عن ظهره ويقول: اجلس أبا تراب.

وكما أنّ الرسول (ﷺ) قد كفر من سبّ أبا بكر أو عمرَ وعثمان أو طعن فيهم فكذلك كفّر من سبّ عليًّا (ﷺ) فهم في هذا الباب سواء، لا فرق بينهم، فقد أخرج مسلم عن علي: قال: والذي فلق الحب وبرأ النسمة[1] أنّه لعهد النبي الأمي إلي أنّه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق.

وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) لعلي (ﷺ): حبك إيمان وبغضك نفاق، وعن ابن عباس (ﷺ) أنّ النبي (ﷺ) نظر إلى علي (ﷺ) فقال: من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني، وفي رواية: من سبّك فقد سبّني.

ولم يكره عليًّا (ﷺ) إلّا جماعات قليلة كالخوارج الذين خرجوا عليه ، وقد اختفت هذه الجماعات فلا نجد اليوم مسلمًا يكره عليًّا (ﷺ) والحقيقة التي من الضروري أن نصرح بها أنّ الخطر لا يكمن في هذا الكره الشاذ وإنّما الخطر يكمن في أمرين كان علي (ﷺ) بريئًا منهما.

أولهما: المبالغة في تعظيم علي (ﷺ) حتى وصلت إلى درجة تفضيله على النبي (ﷺ) بل وجدت طوائف ألهت عليًّا.

والثاني: المبالغة في تمييز علي من الصحابة رضي الله عنهم. ويجب أن نعلم أنّ ما حصل بين علي ومعاوية (ﷺ) كان فتنة أشعل نارها المنافقون، فهذا معاوية بعد استشهاد على ، وبعد أن تولى الخلافة قال مرة لضرار بن حمزة : صف لي عليًّا، فوصفه وأثنى عليه ثم بكى معاوية وقال: يرحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك ، وتذكر كتب التراجم أنَّه بعد استشهاد علي رضي الله عنه ، سافر كاتبه أبو الأسود الدؤلي ، إلى الشام لزيارة

([1]) برأ: خلق، والنسمة (بفتح النون والسين جميعا) كل ذي روح.

معاوية ، فاستقبله معاوية بحفاوة ، وبالغ في إكرامه ؛ لمكانه من علي رضي الله عنه .

وروى الحافظ بن عساكر أنّه لمّا كانت الحرب بين علي ومعاوية مرّ رجل من التابعين على رجلين من أصحاب علي ينتقصان أبا بكر وعمر (ﷺ) فاخبر عليًّا بذلك، فغضب غضبًا شديدًا ونادى: الصلاة جامعة، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين بما أنا عنه منزه وعليه معاقب؟ أما والذي فلق الحب وبرأ النسمة لا يحبهما إلّا مؤمن تقي ولا يبغضهما إلّا منافق، ثم أثنى عليهما إلى أن قال: فمن لكم بمثليهما؟... ألا من أحبني فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء، ألا وإنّ خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر.

وأخرج أحمد وغيره عن علي (ﷺ) قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، وأخرج أيضًا عن ابن ليلى قال علي (ﷺ) لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلّا جلدته جلد المفتري (الكاذب) وعن عمر بن الحنفية أنّ عليًّا (ﷺ) قال له : أخبِرْ أهل الكوفة عني أني بريء ممن تبرأ من أبي بكر وعمر.

وفي كتب السيرة أنّه بينما كان علي (ﷺ) يقضي ذات يوم في الكوفة إذ قال رجل: يا خير الناس، انظر في أمري، فو الله ما رأيت أحدًا هو خير منك، قال: قدموه، فقدم فقال له علي (ﷺ) : هل رأيتَ رسول الله (ﷺ)؟ قال: لا، قال: هل رأيتَ أبا بكر وعمر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني أنّك رأيت رسول الله لضربت عنقك، ولو أخبرتني أنّك رأيت أبا بكر وعمر لأوجعتك ضربًا ، وهو يريد بذلك أنّ هناك من هو خير منه وهم رسول الله (ﷺ) ووزيراه أبو بكر وعمر (ﷺ). وعن جعفر الصادق أنّه قال أنا بريء ممن تبرأ من أبي بكر وعمر فقيل له لعلك تقول هذا تقية، فقال: إذن أنا بريء من الإسلام ولا نالتني شفاعة محمد (ﷺ).

وجاء في كتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للشيخ عبد الرؤوف المناوي ما لفظه: "جعفر الصادق وأمُّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم أم جعفر أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فكان جعفر الصادق يقول عن أبي بكر (ﷺ) ولدني مرتين" فأبو بكر الصديق (ﷺ) كان جد جعفر الصادق وجد جدته وقد سئل جعفر الصادق أيضًا عن أبي بكر وعمر (ﷺ) فقال: أبو بكر جدي وعمر ختني افتراني أبغض جدي وختني ذلك أنّ عمر (ﷺ) قد تزوج بنت علي بن أبي طالب .

وقد تزوج علي (ﷺ) سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ). في السنة الثانية من الهجرة وسنّها خمس عشرة سنة ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده، وفد توفيت رضي الله عنها بعد وفاة الرسول (ﷺ) بستة أشهر. ثم تزوج بعدها بعدة نساء بلغن ستا، وقد استشهد وكانت عنده اربع زوجات.

وقد اختلف في عدد أولاده ذكورًا وإناثًا ففي كتاب الأنوار لأبي القاسم أنّ أولاده اثنان وثلاثون، ستة عشر ذكرًا وست عشرة أنثى، وقال اليعمري: تسعة وعشرون، عشرة ذكور وتسع عشرة أنثى. وفي بغية الطالب: أنّ أولاده خمسة عشر ذكرًا وثماني عشرة أنثى بالاتفاق.

فالحسن والحسين أمهما فاطمة رضي الله عنها. أمّا أولاده من غير فاطمة رضي الله عنها فجميعهم ولدوا بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ومن دلائل الأخوة والمحبة التي كانت تربطه بابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وبعد استخلافهم ووفاتهم أنّه سمى عددًا من أولاده بأسمائهم؛ فمن أولاده أبو بكر قُتل مع الحسين، أمُّه ليلى بنت مسعود النهشلي وكانت من قبيلة تميم.
وعثمان قُتل مع الحسين أيضًا أمُّه أم البنين بنت الحرام الوحيدية من بني عامر، ومن أولاده عمر، أمُّه الصهباء بنت ربيعة من بني جشم بن بكر وعمر الأكبر وعمر الأصغر أمُّه الثقفية أم سعيد بنت عروة بن مسعود

التغلبية. ومن دلائل المحبة والأخوة أنّه كان بينهم – نسب ومصاهرة، فقد زوَّج علي (ﷺ) ابنته أم كلثوم الكبرى بنت فاطمة الزهراء من عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعًا، وكانوا يطلقون عليها ابنة رسول الله، ولدت له أولادًا منهم: زيد وفاطمة ورقية، وبهذا يكون علي (ﷺ) جدًّا لقسم من أولاد عمر بن الخطاب (ﷺ).

وذكر المؤرخون أنّ حفيد عثمان بن عفان، وهو عبد الله بن عمرو الأكبر تزوج من فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وتزوج حفيده الآخر وهو زيد بن عمرو من سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ)، وتزوج أحد أحفاد علي (ﷺ) وهو الإمام محمد الباقر أخو عمر الاشرف من أم فروة بنت محمد بن أبي بكر الصديق. فولدت له جعفر الصادق. كما مر هذا قبل قليل.

ومن أولاد الإمام الحسن بن علي (ﷺ) عمر بن الحسن وأمه ثقفية، كان يحمل الحديث عن أبيه ويروي عن عمر بن الخطاب، وحفيده عبد الله المحض أبو محمد ذو النفس الزكية، روي أنّ عمر بن الحسن مسح يومًا على خفيه، فقيل له: تمسح؟ فقال: نعم، قد مسح عمر بن الخطاب، ومن جعل عمر بن الخطاب بينه وبين الله فقد استوثق وفي كتاب الكامل لابن الأثير ما نصه : علي السفياني أبوه حفيد يزيد بن معاوية وأمُّه الست نفيسة حفيدة الإمام علي بن طالب ولذلك كان يقول: أنا من شيخي صفين، يعني: عليا ومعاوية[1].

أخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي (ﷺ) قال دعاني رسول الله(ﷺ) (فقال لي) إنّ فيك مثلًا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أُمَّه (مريم عليها السلام واتهموها بالزنى واتهموا عيسى عليه السلام أنّه ابن زنى) وأحبته النصارى حتى انزلوه المنزل الذي ليس فيه (فجعلوه ابن الله). ثم قال

(١) الكامل: ٥١٩/٥.

علي (ﷺ) ألا، وإنه يهلك فيَّ اثنان محبٌّ مفرط يطريني (ويمدحني) بما ليس فِيَّ، ومبغض يحمله شنآني (وعداوته لي) على أن يبهتني (وينزل من قدري). أخرجه احمد في مسنده.

فنسال الله سبحانه أن لا نقف من علي (ﷺ) موقف اليهود أو موقف النصارى من عيسى بن مريم عليه السلام، فنكون من المغضوب عليهم أو من الضالين. اللهم آمين.

الموعظة العاشرة : عثمان بن عفان (ﷺ)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من نفوسنا.

هو عثمان بن قصي، ويجتمع مع النبي (ﷺ) في جده الخامس عبد مناف، فأبو أمية عبد شمس وأبو عبد المطلب هاشم، وعبد شمس وهاشم أخوان أبوهما عبد مناف، فعثمان بن عفان إذن ابن عم رسول الله (ﷺ) وابن عم علي بن أبي طالب (ﷺ).

واسم أمّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، فأمّ عثمان إذن هي أيضًا ابنة عمّ رسول الله (ﷺ) وابنة عم علي (ﷺ).

وأم أروى، تدعى البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم توأمة عبد الله أبي رسول الله فأمّ عثمان بنت عمة النبي (ﷺ) قال ابن اسحق وأسلم على يد أبي بكر الصديق (ﷺ) وزوّجه النبي (ﷺ) ابنته رقية، فلمّا آذى المشركون المسلمين هاجر عثمان (ﷺ) مع زوجته إلى بلاد الحبشة فكان أول من هاجر. وقد هاجر إليها مع زوجته رقية رضي الله عنها فدعا لهما الرسول (ﷺ) بقوله: صحبهما الله، ويعدّ عثمان (ﷺ) أول من هاجر بأهله بعد النبي لوط عليه السلام، ثم رجع إلى مكة قبل الهجرة النبوية إلى المدينة، فهو إذن صاحب الهجرتين.

ومن مناقب عثمان (ﷺ) أنّ الرسول (ﷺ) زوجه من ابنته رقية، ولما توفيت رقية زوّجه الرسول (ﷺ) من ابنته الثانية أم كلثوم ؛ لذلك لقب بذي النورين.

وقيل إنّه لم يجمع أحد ابنتي نبي قط من ولادة آدم عليه السلام إلى يوم القيامة إلّا عثمان (ﷺ).

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ النبي (ﷺ) وقف على قبر ابنته الثانية التي كانت عند عثمان رضي الله عنها فقال: ألا أبو أيّم ألا أخو أيّم يزوجها عثمان. فلو كان لي عشرة لزوجتهنّ عثمان وما زوجت إلّا بوحي من السماء. وفي رواية أخرى أنّه (ﷺ) قال: فلو كان لنا ثالثة لزوجناك بها يا عثمان.

ويبدو أنّ السر في هذا التفضيل أنّ عثمان (ﷺ) كان يتميز من بين الصحابة بشدة حيائه. فقد قال عليه الصلاة والسلام: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدّهم في الله عمر وأحياهم عثمان وأقضاهم علي.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله (ﷺ) مضطجعًا كاشفا عن ساقيه فاستأذن أبو بكر له وهو على تلك الحالة فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، ثم استأذن عثمان فأذن له فجلس رسول الله (ﷺ) (من اضطجاعه) وسوّى ثيابه فتحدث، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله دخل أبو بكر فلم تباله ثم دخل عمر فلم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك. فقال: ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة . وهذا ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها بأنّه (ﷺ) جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة.

وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور القيسي قال دخلتُ على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرًا (وكان مما ذكره من هذا العشر): إني لرابع أربعة في الإسلام وأنكحني رسول الله (ﷺ) ابنته، ثم توفيت فانكحني ابنته الأخرى، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعتُ بها رسول

الله (ﷺ)، ولا زنيتُ في جاهلية ولا إسلام قط، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط.

عن عبد الله بن شداد قال: رأيت عثمان يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم أو خمسة دراهم وأنّه يومئذ لأمير المؤمنين.

وعن شرحبيل بن مسلم أنّ عثمان (رضي الله عنه) كان يطعم الناس طعام الإمارة (طعام الأمراء) والأغنياء المترفين، ويدخل بيته (وهو خليفة) فيأكل (طعام الفقراء) الخل والزيت[1].

ويغضب عثمان (رضي الله عنه) يومًا على خادم له فيفرك أذنه حتى يوجعه ثم سرعان (ما يندم على ذلك) فيدعو خادمه ويأمره أن يقتصّ منه فيفرك أذنه ويأبى الخادم ويولى مدبرًا لكن يأمره في حزم فيطيع أمره فيفرك الغلام أذن الخليفة ويخاطبه الخليفة اشدد يا غلام فإنّ قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة.

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: بعث النبي (ﷺ) إلى عثمان يستعينه في جيش العسرة، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل النبي (ﷺ) يقلبها بين يديه ظهر البطن ويدعو له ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما يبالي عثمان ما عمل بعد هذا اليوم. وفي رواية: أخذ يقلبها وكان الدينار من ذهب بوزن مثقال فعشرة آلاف دينار تعدل عشرة آلاف مثقال ذهب ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم. قالها مرارًا.

فقد جهز عثمان (رضي الله عنه) جيش العسرة بتسعمئة وخمسين بعيرًا بأحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرسًا.

([1]) حياة الصحابة: ٢/ ٢٨٨.

وبعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة احتاجوا إلى الماء فاشترى عثمان (ﷺ) بئر رومة بأربعين ألف درهم وجعلها وقفًا على المسلمين وكان الدرهم من فضة.

وأصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق (ﷺ) فلمّا اشتد بهم الأمر جاؤوا إلى أبي بكر فقالوا: يا خليفة رسول الله إنّ السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فماذا نصنع ؟ فقال لهم انصرفوا واصبروا فأرجو الله أن لا تُمسوا حتى يفرج الله عنكم، فلمّا كان آخر النهار ورد خبر بأنّ عيرًا (قافلة تجارية كبيرة) لعثمان قادمة من الشام ومتوجهة إلى المدينة فلمّا جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير تحمل بُرًّا وزيتا وزبيبا فأناخت بباب عثمان (ﷺ) فلما جعلها في داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون؟ قالوا إنّك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنّك تعلم ضرورة الناس، قال: حبًّا وكرامة كم تربحونني على شرائي، كم تزيدونني؟ قالوا: العشرة اثني عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرة أربعة عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرة خمسة عشر، قال: قد زادوني وأعطيت أكثر من هذا (الربح والزيادة) قالوا يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن هذا الذي أعطاك؟ قال: إنّ الله أعطاني بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا: لا، قال: فإنّي اشهد الله أنّ ما حملت هذه البعير (ما حملت ألف البعير هذه) من الطعام جعلتها وقفا وصدقة على المسلمين وفقراء المسلمين.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنّ رسول الله (ﷺ) أخبر عثمان (ﷺ) بأنه سيبتلى ويقتل شهيدًا، فقد دخل رسول الله (ﷺ) يومًا بئر أريس، وكان هذا البئر في بستان لها باب من جريد، فجلس عند البئر وكشف ساقيه ودلاهما في البئر. فقال أبو موسى الأشعري في الحديث الذي رواه البخاري عن سعيد بن المسيب قال أبو موسى: فقلت: لأكوننّ بواب رسول الله (ﷺ) اليوم، فجاء رجل فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت على

رسلك ثم ذهبت فقلت يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال ائذن له وبشره بالجنة. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس على يمين رسول الله (ﷺ) ودل رجليه في البئر، كما صنع رسول الله (ﷺ) وكشف عن ساقيه.

وإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال عمر بن الخطاب، قلت على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله (ﷺ) فسلمت عليه وقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فجئت فقلت ادخل ويبشرك رسول الله (ﷺ) بالجنة..

فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال عثمان بن عثمان، فقلت على رسلك، وجئت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته، فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه.

وفي رواية أخرى عن البخاري أيضًا عن أبي موسى الأشعري أيضًا: ثم استفتح رجل فقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله (ﷺ) فحمد الله ثم قال: الله المستعان.

وقد وقع ما أخبر به الرسول (ﷺ).

الموعظة الحادية عشرة : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلّا أنت.

عمر رضي الله عنه يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ، فهو : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي العدوي القرشي ... بن معدّ بن عدنان

تميز عمر بن الخطاب (ﷺ) من بين الصحابة بميزتين:

الأولى: شدته في دين الله، وقد سمّاه رسول الله (ﷺ) أبا حفص لشدته، يعني أبا الأسد ؛ لان حفصًا اسم من أسماء الأسد.

وعن النزال بن سرية قال وافقنا عليًّا (ﷺ) فقلنا حدثنا عن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال ذلك امرؤ سماه رسول الله (ﷺ) الفاروق فرق به بين الحق والباطل.

ولشدته وقوته أنّ جميع المسلمين هاجروا سرًّا إلّا عمر بن الخطاب (ﷺ) هاجر علنًا وفي وضح النهار وأمام مرأى ومسمع من المشركين.

أخرج ابن عساكر عن علي (ﷺ) قال: ما علمت أحدًا هاجر إلّا مختفيًا إلّا عمر بن الخطاب فإنّه لمّا همَّ بالهجرة تقلّد سيفه وتنكّب قوسه (فوضعه في منكبه) وانتضى (وأخرج من كنانته) أسهمًا وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعًا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت (وقبحتْ الوجوه) من أراد أن تثكله (وتفقده) أمّه ويبتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه أحد.

وشهد المشاهد والغزوات كلّها مع رسول الله (ﷺ) وكان ممن ثبت مع رسول الله (ﷺ) يوم أحد ويوم حنين حين انهزم المسلمون.

أخرج الترمذي عن ابن عمر والطبراني من حديث ابن مسعود وأنس (ﷺ): أن النبي (ﷺ) قال: اللهم أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فكان أحبّهما الى الله عمر.

فاستجاب الله دعاء الرسول الله (ﷺ)، فما يزال سبحانه يعزّ الإسلام بعمر حتى وفاته (ﷺ).

وأخرج الطبراني عن ابن عباس (ﷺ) قال: أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب. إسناده صحيح حسن.

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود (ﷺ) قال: كان إسلام عمر فتحًا وكانت هجرته نصرًا وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن

نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

وأخرج ابن سعد عن صهيب قال: لمّا أسلم عمر (ﷺ) أظهر الإسلام ودعا إليه علانيه وجلسنا حول البيت وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا (وأخذنا حقنا ممن ظلمنا) ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس (ﷺ) قال: لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منّا، وأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الانفال:٦٤].

وأخرج البخاري عن ابن مسعود (ﷺ) قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى الحبشة.

وفي سبب إسلامه أقوال أشهرها أنّ قريشا اجتمعت فتشاورت في أمر النبي (ﷺ) فقالوا: أيّ رجل يقتله؟ فقال عمر بن الخطاب أنا لها، فقالوا: أنت لها يا عمر.

قال ابن إسحاق وكان إسلام عمر فيما بلغني أنّ أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحّام رجل من بني قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضاً يستخفي بإسلامه خوفًا من قومه، وكان خبّاب بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر متوشحًا سيفه يريد قتل رسول الله (ﷺ) ورهطًا من أصحابه ، فذكروا له أنّهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله (ﷺ) عمّه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله (ﷺ) بمكة

ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأيّ أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامدًا إلى أخته وختنه وعندهما خبّاب بن الأرَتّ معه صحيفة فيها سورة (طه) يقرئهما إيّاها، فلما سمعوا حس عمر تغيّب خباب في مخدع لهم، اختفى في مكان ما من البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا (واقترب) من البيت قراءة خباب الصحيفة عليهما، فلمّا دخل قال: ما هذه الهيمنة (صوت كلام لا يفهم) التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئًا، قال: بلى والله، لقد أُخبرت أنّكما تابعتما محمدًا على دينه وبطش بختنه سعد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها (وأدمى رأسها) فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبًا يعرف القراءة والكتابة فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها (أي: نخشى أن تمزقها) قال: لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنّها إليها إذا قرأها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنّك نجس على شركك، وإنّه لا يمسها إلّا طاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها سورة طه، فلما قرأ صدرًا منها، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج اليه من مخبئه فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه

فاني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بابي الحكم بن هشام (وهو أبو جهل) أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر، فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله (ﷺ) وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله (ﷺ) فنظر من خلال الباب فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله وهو فزع، خائف فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب، نعوذ بالله من شره، قال: افتحوا له الباب فإن دخل بخير قبلناه وإن جاء بشر قتلناه. ففتح لعمر الباب، فدخل فاستقبله رسول الله (ﷺ) في صحن الدار فأخذه بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وأخذ ساعده وهزه هزًّا عنيفًا ، فارتعد عمر على أثرها هيبة لرسول الله (ﷺ) وجلس فقال له ما أنت بمنته (عن كفرك) يا عمر حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة، يعني الخزي والنكال ثم قال: اللهم أهد عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، فكبّر أهل الدار من المسلمين تكبيرة حتى رجّتْ لها أرجاء مكة.

وبعد إسلامه قال عمر (رضي الله عنه) للرسول (ﷺ) يا رسول الله. ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى والذي نفسي بيده إنّكم على الحق وإن متم وان حييتم، فقال: ففيم الإخفاء ؟ وفي رواية: وقال يا رسول الله، علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال: يا عمر إنّا قليل وقد رأيت ما لقينا، فقال عمر: والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلّا جلست فيه بالإيمان.

فخرج المسلمون صفين يعلنون إسلامهم ودعوتهم، يطوفون طرق مكة، صفًّا يقودهم عمر بن الخطاب وصفًّا يقودهم حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه)

حتى دخلوا المسجد أمام مسمع ومرأى المشركين من قريش فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها قط.

والميزة الثانية التي أمتاز بها أنّ الله سبحانه جعل الحق على لسانه فقد أخرج الشيخان (البخاري ومسلم) صاحبا الصحيحين عن ابن عمر أنّ رسول الله (ﷺ) قال: بينا أنا نائم شربت – يعني اللبن – حتى أنظر الريّ يجري في اظفاري ثم ناولته عمر قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم.

واخرج الشيخان أيضًا عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليَّ عمر وعليه قميص يجرّه قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله (ﷺ): يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلّا سلك فجًّا غير فجك . والفج: الطريق.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) : لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون (أي: ملهمون) فان يكن في أمتي أحد منهم فإنّه عمر. وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنّ الله جعل الحق على لسان عمر يقول به وفي رواية إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب . وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري وعمه بن مالك وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر.

يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء : ثم رأيت في كتاب (فضائل الإمامين) لأبي عبد الله الشيباني، قال: وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعًا.

وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت (الآية) ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ

إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ٢٥] وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البرّ والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي (ﷺ) في الغيرة ، فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن فنزلت كذلك ، أي: نزل قوله تعالى موافقًا لقول عمر (رضي الله عنه) باللفظ نفسه. قال الله تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] ، فهذه الآية نطق بها عمر قبل نزولها ومثل هذا حصل في آيات أخرى.

استنادا إلى الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما قال ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس أنّ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: لمّا توفي عبد الله بن أُبَي (شيخ المنافقين) طلب ابنه من رسول الله (ﷺ) أن يصلي عليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولتُ حتى قمتُ في صدره فقلتُ يا رسول الله أَعَلى عدو الله عبد الله بن أُبَي تصلي ؟ القائل يوم كذا، كذا وكذا، يعدد أيامه قال: ورسول الله (ﷺ) يبتسم حتى إذا أكثرتُ عليه قال: أخّر (أي: ابتعد عني) يا عمر إني خيرت فاخترت فقد قيل لي ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت، قال ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه. يقول عمر (رضي الله عنه): فعجبت من جرأتي على رسول الله (ﷺ)، قال: فو الله ما كان إلّا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ﴾ فما صلى رسول الله (ﷺ) بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل.

وآية الإفك التي نزلت بحق عائشة وبراءتها، فقد استشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صحابته، في شانها فقال علي (رضي الله عنه): يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير فهو بهذا الكلام يلمح إلى أنّه إذا صحت التهمة وطلقت عائشة تستطيع أن تتزوج غيرها.

أمّا عمر بن الخطاب (ﷺ) فقد قال للرسول (ﷺ) من زوجكما يا رسول الله؟ قال الله: قال افتظن أنّ ربك دنس عليك ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فنزلت آية براءتها وفيها عبارة عمر باللفظ نفسه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالأَفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الأثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [الأحزاب: ١-١٦].

أي أنّه كان ينبغي لمن خاض في هذا الأمر أن يرى الرأي الذي رآه عمر وأن يقول العبارة التي تلفظ بها عمر وهي (سبحانك هذا بهتان عظيم).

الموعظة الثانية عشرة : الصديق أبو بكر (ﷺ)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

أبو بكر الصديق، يلتقي مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ، فهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي٠٠٠بن معدّ بن عدنان ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ، ولد بعد مولد النبي (ﷺ) بسنتين وأشهر، وتوفي (ﷺ) وله ثلاث وستون سنة.

أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت والله ما قال أبو بكر شعرًا في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية. وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت: لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية.

وأخرج ابن عساكر عن علي (ﷺ) قال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر.

وعن الزهيري قلت لابن عباس: أيّ الناس كان أول إسلامًا؟ قال أبو بكر الصديق. الم تسمع قول حسان:

..... وأول الناس منهم صدق الرسلا.

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال: سألت ميمون بن مهران، قلت: أبو بكر كان أول إسلامًا أم علي؟ قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبي (ﷺ) زمن بحيرا الراهب حين مر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد علي.

والراهب بحيرا رجل من رهبان النصارى، وكان يتعبد الله في دير على طريق الشام، وقد رأى النبي (ﷺ) حين خرج مع عمه في تجارة أهل مكة إلى الشام، فبشر هذا الراهب بنبوة محمد (ﷺ) وكان عمره حينئذ اثني عشر عامًا.

وقد صحب أبو بكر (ﷺ)الرسول (ﷺ) ولازمه من حين أسلم إلى حين وفاته، ولم يفارقه سفرًا ولا حضرًا، وشهد معه المعارك كلها وكان ممن ثبت في معركة أحد وفي معركة حنين.

كان أبو بكر (ﷺ) صديقًا للرسول (ﷺ) قبل البعثة النبوية، ويوم أخبره الرسول أن الله بعثه نبيًّا ودعاه إلى الإسلام قال أبو بكر من فوره للرسول (ﷺ) ومن غير إمهال مدَّ يدك أبايعك وهذه ميزة لم يتميز بها أحد من الصحابة حتى علي (ﷺ) الذي يعد أول من أسلم من الصبيان.

ذكر ابن إسحاق أنّ علي بن أبي طالب (ﷺ) جاء وهما (أي النبي (ﷺ) وزوجته خديجة يصليان) فقال علي يا محمد ما هذا؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فادعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وان تكفر باللات والعزى فقال علي هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاضٍ أمراً حتى احدث به أبا طالب فكره رسول الله (ﷺ) أن يفشي

عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم (وأخف ذلك) فمكث على تلك الليلة ثم إن الله أوقع في قلبه الإسلام فأسلم.

فالرسول (ﷺ) حين دعا عليا (رضي الله عنه) إلى الإسلام وطلب منه علي أن يمهله بعض الوقت حتى يخبر بذلك أباه أبا طالب، طلب الرسول (ﷺ) من علي أنّه إذ لم يسلم أن يخفي هذه القصة ولا يتحدث بها خشية أن يسمع بها المشركون فيشمتون بالرسول (ﷺ) فيقولون إنّه دعا ابن عمه الذي يربيه في بيته إلى الإسلام وامتنع، أو يقولون: إنّه لو كان في هذا الدين الذي يدعو إليه محمد خير لاتبعه ابن عمه حين دعاه إليه.

قال ابن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أنّ رسول الله (ﷺ) قال: ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلّا أبا بكر فإنّه ما عَكِمَ (أي: ما انتظر) وفي رواية: أنّه ما عتم، أي: ما أبطأ وما تأخر حين ذكرته له، ودعوته إلى الإسلام، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): ما كلمت في الإسلام أحدًا إلّا أبى علي وراجعني الكلام إلّا ابن أبي قحافة فاني لم أكلمه في شيء إلّا قبله واستقام عليه.

وعن أبي يحيى حكيم بن سعد قال: لا أحصي كم سمعت عليًّا (رضي الله عنه) يقول على المنبر: إنّ الله عز وجل سمى أبا بكر على لسان نبيه (ﷺ) صديقًا، وكان علي يحلف بالله أنّ الله أنزل اسم أبي بكر من السماء: الصديق.

وقد قال أبو بكر (رضي الله عنه) عن نفسه أمام جمع من الصحابة إنّه في جاهليته ما شرب الخمر ولا سجد لصنم.

فأبو بكر رضي الله عنه ، أول من صدَّق الرسول من الصحابة ، وهو أول من يدخل الجنة من أُمَّته ، فيا ويله من سبَّه وسبَّ الصحابة ، قال النبيُ صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا أصحابي ؛ فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا

ما بلغ مدَّ أحدهم ، ولا نصيفه . رواه الشيخان (البخاري ومسلم) وأبو داود والترمذي وفي حديث مرفوع ، قال عليه الصلاة والسلام : الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي ؛ فمن أحبهم فبحبِّي أحبَّهم ؛ ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ؛ ومن آذاني فقد آذى الله ؛ ومن آذى الله ؛ فيوشك أن يأخذه . رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث مرفوع أيضًا ، قال عليه الصلاة والسلام : إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي ، فقولوا لعنة الله على شركم . رواه الترمذي ، وعن عروة ، قالت لي عائشة : يا ابن أختي أُمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم . رواه مسلم ، وقد عاشت عائشة رضي الله عنها إلى زمن علي رضي الله عنه ، وعن جابر رضي الله عنه ، قيل لعائشة : إنَّ ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما ، فقالت : وما تعجبون من هذا ؟ انقطع عنهم العمل ؛ فأحبَّ الله أن لا يقطع عنهم الأجر. لرزين

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، في حديث مرفوع ، قال عليه الصلاة والسلام : ما لأحد عندنا يد إلّا وقد كافيناه ، ما خلا أبا بكر ؛ فإنَّ له عندنا يدًا يكافيه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ؛ ولو كنتُ متخذًا خليلًا من الناس لاتخذتُ أبا بكر خليلًا ، وإنّ صاحبكم خليل الله . رواه الترمذي وعن أبي هريرة أيضًا في حديث مرفوع ، قال عليه الصلاة والسلام : أتاني جبريل ، وأخذ بيدي ؛ فأراني باب الجنة التي تدخل منه أُمَّتي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله وددتُ أنَّي كنتُ معك حتى أنظر إليه ، فقال ، صلى الله عليه وسلم : أما إنَّك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أُمَّتي . رواه أبو داود

إننا حين نعرض في هذه المواعظ سيرة الخلفاء الراشدين والرعيل الأول من المسلمين فإنّا لا ننوي من ذلك تفضيل بعضهم على بعض، فجميعهم صحابة رسول الله (ﷺ) آمنوا وجاهدوا معًا وهاجروا معًا وما كان أحدهم يتعالى على الآخر.

فأبو بكر حين يُسأل عن علي يثني عليه ويقول علي خير مني في كذا وكذا ، وعلي حين يُسأل عن أبي بكر يثني عليه ويقول كان أبو بكر خيرًا مني في كذا وكذا، وكذلك كانت العلاقة بين علي وبين عمر وعثمان وبقية الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

أخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب، قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله (ﷺ)؟ قال أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلّا رجل من المسلمين.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: كنّا نُخيّر بين الناس في زمان رسول الله (ﷺ) فنخير أبا بكر ثم عمر (ابن الخطاب) ثم عثمان (ابن عفان) رضي الله عنهم . وزاد الطبراني في الكبير، فيعلم بذلك النبي (ﷺ) ولا ينكره. أي : أنّه (ﷺ) كان يقرّ بهذا الترتيب بالتفضيل.

وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله (ﷺ) أيّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال: قال أبوها: قلتُ ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب.

وجرى بين أبي بكر رضي الله عنه وبين ربيعة الأسلمي كلام سوء تفاهم فقال أبو بكر رضي الله عنه كلمة كرهها ربيعة، فسرعان ما ندم أبو بكر رضي الله عنه فقال لربيعة: يا ربيعة ردّ عليّ مثلها حتى يكون قصاصًا لي من أجل أن تاخذ حقك مني في الدنيا قبل الآخرة، فقال ربيعة: لا أفعل فقال أبو بكر : لتقولنّ، لتردنّ عليّ مثلها أو لاشكونّك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ربيعة : ما أنا بفاعل. فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وانطلق ربيعة خلفه، وجاء أناس من قبيلة أسلم، فقالوا له رحم الله أبا بكر في أيّ شيء يشكوك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال لك ما قال؟ فقال ربيعة: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، وهذا ثاني اثنين في الغار إيّاكم، احذروا ، لئلّا يلتفت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فيظنّ أنّكم اتبعتموني لتنصروني على أبي بكر فيغضب رسول الله فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة (يعني نفسه)

فانطلق أبو بكر وتبعه ربيعة ، حتى وصلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك والصديق فقال ربيعة : يا رسول الله كان كذا وكذا، فقال لي كلمة كرهتها فقال لي ، قل كما قلتُ (اي ردّها عليّ) يكون قصاصًا، فابيتُ (فرفضتُ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل لا تردها عليه ، ولكن قل: قد غفر الله لك يا أبا بكر ، فولّى أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي .

وأخرج الترمذي عن أنس أنّ رسول الله (ﷺ): كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلّا أبو بكر وعمر فإنّهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما.

وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر أنّ رسول الله (ﷺ) خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال: هكذا نُبعث يوم القيامة.

وروي عن جابر (رضي الله عنه) قال: كنّا عند باب النبي (ﷺ) نفرا من المهاجرين والأنصار نتذاكر الفضائل فارتفعت أصواتنا فخرج علينا رسول الله (ﷺ) فقال: فيم أنتم؟ قلنا نتذاكر الفضائل، قال: فلا تقدموا على باب أبي بكر أحدا فإنّه أفضلكم في الدنيا والآخرة.

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال أمرنا رسول الله (ﷺ) أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي، قلت: اليوم أسبق أبا بكر (في العطاء) فجئت بنصف مالي، فقال (لي) رسول الله ، ما أبقيت لأهلك (يا ابن الخطاب) قلتُ: مثله، وأتى أبو بكر (رضي الله عنه) بكل ما عنده (من مال) فقال: يا أبا بكر: ما أبقيتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، فقلتُ: لا أسبقه في شيء، أبدًا" قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

فكان (ﷺ) السباق في كل عمل صالح. أخرج مسلم عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال فمن تبع منكم (اليوم) جنازة؟ قال أبو بكر: أنا؛ قال: فمن أطعم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد اليوم منكم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله (ﷺ) : ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنة.

وقد كان أبو بكر (ﷺ) غنيًّا، وكان ينفق أمواله في سبيل الله.

وقد أعتق (ﷺ) من أمواله الخاصة سبعة من العبيد كانوا يعذبون عند أسيادهم لإسلامهم من بينهم بلال الحبشي (ﷺ) وعامر بن فهيرة ، وزئيره أم عبيس والنهدية وابنتها.

قال له أبوه، أبو قحافة، حين أعتق من أعتق: يا بني إنّي أراك تعتق رقابًا ضعافًا فلو أنّك أعتقت رجالًا جلدًا أقوياء يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا أبتي إني أريد ما عند الله، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

وقد قال المشركون لما أعتق أبو بكر بلالًا (ﷺ) : ما اعتقه إلّا ليد (لنعمة) كانت لبلال عنده ، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لاحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن زيد بن أرقم (ﷺ) والبخاري عن عائشة رضي الله عنها ذكرت أنه كان لأبي بكر (ﷺ) مملوك (عبد يخدمه) يغل عليه (أي: يخونه) فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة (عن هذا الطعام) قال: حملني على ذلك الجوع من أين جئت بهذا (فاخبره أنّه حصل عليه بطريق حرام وهو عمل الكهانة) قال أبو بكر (ﷺ): إن كدت أن تهلكني، وفي رواية: أفٍّ لك كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلتْ لا تخرج، فقيل له: إنّ هذه (اللقمة) لا تخرج إلّا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيّأ

حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: لو لم تخرج إلّا مع نفسي لأخرجتها (لو لم تخرج إلّا بخروج روحي معها لأخرجتها وأخرجت روحي معها فإنّي) سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: كل جسد نبت من سحت (أي: نبت من حرام) فالنار أولى به، فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة[1].

ويقول محقق الترغيب والترهيب محمد خليل هراس "لأنّ أجر الكهانة سحت لا يحلّ أكله، ولكنّ الصديق (رضي الله عنه) حين أكله لم يكن يعلم ذلك ولو لم يخبره الغلام به لما كان عليه من ذلك بأس. ولكنّه لمّا أخبره والطعام على حاله في معدته لم يهضم بعد اقتضى مقام الصديقية استفراغ ذلك الطعام الخبيث. وقد ورد أنه (رضي الله عنه) بعد أن قاء (وتقيأ) ما في بطنه قال: اللهم لا تؤاخذني بما خالط الأمعاء وتشربته العروق[2].

فمثل هذه التقوى لا نجدها في هذه الأمة بعد رسول الله (ﷺ) إلّا عند الصديق أبي بكر، إنّها تقوى صديقية كما سماها المحقق.

فمن في هذه الدنيا اليوم مثل أبي بكر (رضي الله عنه)؟

ومثل صحابة رسول الله (ﷺ)؟ فقد كان كل فرد منهم يعدل وحده أُمَّة بأسرها.

وأجمع علماء السيرة والتفسير على أنّه لم يكن مع رسول الله (ﷺ) في الغار إلّا الصديق. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤١].

قال الحسن البصري: لقد عاب الله عز وجل أهل الأرض جميعًا بهذه الآية إلّا أبا بكر ، وسمع أبو بكر رجلًا يتلوها فبكى وقال: أنا والله صاحبه.

وفي هذه الآية ثناء صريح وكبير من الله سبحانه لأبي بكر (رضي الله عنه)، فقد عاد عليه الضمير في هذه الاية خمس مرات في قوله تعالى: (ثاني اثنين)

---

(١) انظر : حياة الصحابة: ٦١٢/٢

(٢) الترغيب والترهيب قول المحقق: ٩٢٤/٤.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ وفي قوله تعالى: (إذ يقول لصاحبه) وفي قوله تعالى: (لا تحزن) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾.

وقد قال الرسول (ﷺ) لأبي بكر (ﷺ) (لا تحزن) كما أنزل الله، ولم يقل له: لا تخف ؛ لأنّ أبا بكر (ﷺ) لم يكن خائفًا بل كان حزينا على محمد (ﷺ) من أن يراه المشركون ويقتلوه ومن أن يصاب بأيِّ أذى كان ؛ لذلك دخل أبو بكر (ﷺ) الغار قبله ليسد ثقوبه بخرق ثيابه خشية أن يخرج منها ما يؤذي رسول الله (ﷺ).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ شهادة الله على إيمان أبي بكر حتى قيام الساعة ؛ لأنّ الله يعلم ما في القلوب وما يفعله الناس في المستقبل، والله سبحانه لا يكون إلّا مع المؤمنين. وتعد هذه الآية واحدة من معجزات هذا القران العظيم.

فالفرس منذ أن أسلموا بعد أن قضى عمر (ﷺ)على دولة كسرى. يحملون في قلوبهم حقدًا كبيرًا على أبي بكر وعمر ويكرهونهما أشد الكره وما يزالون يلعنونهما (ﷺ) إلّا أنّهم لم ولن يستطيعوا أن يحرفوا هذه الآية فما فتئوا إلى يومنا هذا يتلونها في صلاتهم وبيوتهم ولم يستطيعوا أن يحرفوها ويلغوها لأنّ الله سبحانه تعهد بحفظ كتابه فقال جل شانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولولا أن تعهد الله بحفظ هذا القرآن لكان اليوم لكل ملة قرآن مكتوب حسب هواهم. فلله الحمد أولًا وآخرًا.

الموعظة الثالثة عشرة : ولادته (ﷺ)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

ينتهي نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان ، وعدنان إلى إسماعيل عليه السلام ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر

بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان ، وعدنان من صريح ولد إسماعيل ، وهذا هو المتفق عليه بين كتّاب السِّيَر

قال عليه الصلاة والسلام: إنّ الله اصطفى من إبراهيم ولد إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا. واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

وأمُّه آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، فلقد كان رسول الله (ﷺ) أعظم الناس والعرب شرفًا من قبل أبيه وأمّه.

تجمع كتب السيرة أنّ الرسول (ﷺ) ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة ٥٧٠م.

وفي سيرة ابن هشام أنّ الناس كانوا يتحدثون أنّ آمنة بنت وهب أمّ رسول الله (ﷺ) كانت تحدّث أنّها أتيت (يعني رأت رؤيا في المنام) حين حملت برسول الله (ﷺ) فقيل لها: إنّك حملت بسيّد هذه الأمّة، فإذا وقع في الأرض فقولي أعيذه بالواحد من كلّ حاسد ثم سميه محمدًا، ورأت حين حملت به أنّه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام.

ولما وضعته أمّه (ﷺ) أرسلت إلى جده عبد المطلب أنّه قد ولد لك غلام فأْتِه فانظر إليه فأتاه فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به أن تسميه.

وفي كتاب البداية والنهاية لابن كثير أنّه خرت (وسقطت) كثير من الأصنام ليلة مولده عليه الصلاة والسلام، خرت لوجوهها وأزيحت عن أماكنها.

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان.. حدثني مخزوم بن هانئ عن أبيه.. لما كانت الليلة التي ولد

فيها رسول الله (ﷺ): ارتجّ إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك.

وروى يعقوب بن سفيان عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها النبي (ﷺ) قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا لا نعلم قال انظروا فإنّه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة... فانصرفوا فسألوا فقيل قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم إلى أمّه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خرَّ (سقط) مغشيًّا عليه وقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل.

وفي سيرة ابن هشام أيضًا. قال ابن إسحاق وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى عن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري قال: حدثني رجل من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال: والله إني لغلام يفعه (قوي) ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديًّا يصرخ بأعلى صوته على أطمة (على حصن) يثرب يا معشر يهود حتى إذا اجتعموا إليه قالوا له ويلك مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.

قال محمد بن إسحاق فسألتُ سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله (ﷺ) المدينة. قال: ابن ستين سنة، وقدمها رسول الله (ﷺ) وهو ابن ثلاث وخمسين فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين . رواه ابن إسحاق وإسناده حسن.

وقد ولد رسول الله (ﷺ) يتيمًا، وتوفيت أمه آمنة وعمره خمس سنوات أو ست سنوات.

وتذكر كتب السيرة أنّ أول من ارضعته (ﷺ) ثويبة، أرضعته بلبن ابن لها اسمه مسروح أيامًا قبل أن تقدم حليمة، وكان رسول الله (ﷺ) يعرف ذلك

لثويبة ويصلها من المدينة، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فأُخبر أنّهما ماتا وسأل عن قرابتهما فلم يجد أحدًا منهم حيًّا، وكانت ثويبة جارية لأبي لهب عمّ الرسول (ﷺ).

وفي سيرة ابن هشام أيضًا: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله (ﷺ) التي أرضعته تحدّث أنّها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء. قالت وذلك في سنة شهباء شديدة القحط لم تبق لها شيئًا.

قالت: فخرجت راكبة على أتان دابّة قمراء لونها مائل إلى الصفرة أو أبيض مائل إلى الكدرة معنا شارف ناقة كبيرة مسنّة والله ما تبضّ وما تدرّ بقطرة من حليب وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من كثرة بكائه من شدة الجوع وليس في صدري حليب يشبعه ولا الناقة المسنّة التي معنا تدرّ بقطرة حليب لتغذيه ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجتُ راكبة على دابتي تلك وقد تأخرتُ عن اللحاق بالركب واللواتي سافرتُ معهنَّ حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء نطلب أولادًا نرضعهم بأجر فما منّا إلّا وقد عُرِضَ عليها رسول الله (ﷺ) فتأباه ترفضه إذا قيل لها يتيم ؛ وذلك أنّا كنا نرجو المعروف والإكرام والهدايا من أبي الصبي فكنّا نقول يتيم؟ وما عسى أن تصنع أمّه وجده فإنّهما لا يكرماننا كما يكرمنا أبو الصبي فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلّا أخذتْ رضيعًا إلّا أنا بقيتُ وحدي لم أجد رضيعًا لأنّي جئتُ متأخّرة فلما أجمعنا وعزمنا أنا وزوجي الانطلاق والرجوع إلى بلدنا قلتُ لصاحبي وزوجي بعد أن يئسنا من العثور على رضيع غير رسول الله (ﷺ) والله إنّه وجدتْ كل منهن رضيعًا ولم أجد أنا رضيعًا والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه قال لا بأس عليك أن فعلتِ ذلك عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبتُ إليه فأخذته وما حملني ولا دفعني على أخذه إلّا أني لم أجد غيره قالت، فلما أخذتُه رجعتُ به إلى رحلي فلما وضعتُه في حجري

وعلى صدري أقبل على ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما كلاهما وما كنا ننام معه قبل ذلك من بكاء ابننا وصبينا من الجوع وقام زوجي إلى ناقتنا المسنّة فوجد ثدييها مملوءين بالحليب فحلب منها فشرب وشربتُ معه حتى ارتوينا وشبعنا فبتنا بخير ليلة.

قالت فقال لي زوجي حين أصبحنا اعلمي يا حليمة لقد أخذتِ نسمة مباركة قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك ثم خرجنا وقد سبقني بالخروج قبلي صواحبي اللواتي جئنَ معي فركبتُ أنا دابتي وحملتُه عليها معي فكانت دابتي التي ركبتُ عليها وفي حجري هذا الصبي اليتيم تسبق دوابّ صواحبي حتى إن صواحبي ليقلنَ لي يا ابنة أبي ذؤيب ويحكِ أقيمي وانتظرينا لا تعجلي أليست هذه دابتكِ التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول لهنّ بلى والله إنّها لهي هي فيقلنَ والله إنّ لها لشأنا قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها فنحلب ونشرب فالأرض التي كنا نازلين بها كانت أرضًا قاحلة لا زرع فيها ولا نبات ولكن بعد أن قدمنا بهذا الرضيع المبارك كانت أغنامنا تروح فتسرح في هذه الأرض الجدباء لكنها تعود إلينا شبعى قد امتلأت ضروعها باللبن فنحلبها ونشرب ، وكانت أغنام غيرنا تسرح في الأرض نفسها التي تسرح فيها أغنامنا لكنها تعود إلى أصحابها ليس في ضروعها قطرة لبن حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب التي جاءت بهذا الرضيع اليتيم ، فتروح وترجع من المرعى أغنامهم جياعًا ما تبضّ بقطرة لبن وتروح وترجع أغنامي شباعًا لبنا فلم نزل نتمتع بخيره وبركة وجوده معنا حتى فصلته وفطمته بعد مضي سنتين من عمره وكان يشب شبابًا لا يشبّه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما غليظا شديدًا.

قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا فبعد أن انتهت مدة الرضاعة قدمنا إلى أمه نلتمس منها قبولها أن يبقى عندنا لما كنّا

نرى من بركته فكلمنا أمّه وقلنا لها لو تركتِ ابنكِ عندنا حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها ونلحّ عليها حتى رددتُه معنا.

قالت: فرجعنا به فو الله أنّه بعد مقدمنا به وبينما كان يلعب مع أخيه في الرضاعة خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يسرع في ركضه فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي محمد قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقّا بطنه فهما يسوطانه يدخلان السوط والعود في بطنه فجعلا يقلبانها فخرجت أنا وزوجي نحوه فوجدناه قائمًا قد تغير لون وجهه. قالت: فالتزمتُه والتزمه زوجي فقلنا له: ما لكَ يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئًا لا أدري ما هو. قالت فرجعنا به إلى خيمنا. قالت وقال لي زوجي يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب بمكروه فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه. فقالت لي ما أقدمك به. ما الذي جعلك تعودين به أيتها المرضعة وقد كنت حريصة عليه على بقائه عندك؟

فقلت لها: قضيت الذي علي وتخوفتُ الأحداث عليه فأديتُه إليكِ كما تحبين. قالت: ما هذا شأنكِ فأصدقيني خبركِ قالت: فلم تدعني حتى أخبرتُها قالت: أفتخوفتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلّا، والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبُنَيَّ لشأنًا أفلا أخبركِ خبره؟

قالت: قلت بلى، فأخذت آمنة أم رسول الله (ﷺ) تقصّ هي الأخرى لحليمة السعدية ما رأت في ابنها محمد (ﷺ): فقالت: حين حملتُ به حين كان جنينًا في بطني رأيت أنّه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من ارض الشام، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ علي ولا أيسر منه، ولم أشعر بأي ثقل وألم حين حملتُ به، ووقع حين ولدتُه وإنّه لواضع يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء ، دعيه وانطلقي راشدة.

وشقّ صدر الرسول (ﷺ) في طفولته ثابت في الحديث الصحيح ، فقد روى شق صدره البخاري وغيره، وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ)

أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه جبريل فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني حليمة السعدية مرضعته في ديار بني سعد) فقالوا: إنّ محمدًا قد قُتِل فاستقبلوه وهو منتقع اللون (متغير لون وجهه) قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (ﷺ). رواه مسلم في المعراج. وفي سيرة ابن هشام. وقال ابن اسحاق، وحدثني ثور وهو أحد الحفاظ العلماء عن بعض أهل العلم أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله (ﷺ). قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: نعم. أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملتْ بي أنّه خرج منها نور أضاء قصور الشام. واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخي (في الرضاعة) خلف بيوتنا نرعى بهما (صغار الإبل) إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجًا ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه زِنْهُ بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال زنه بمئة من أمته فوزنني فوزنتهم، ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني فوزنتهم، فقال دعه عنك فو الله لو وزنته بأمته (كلها) لوزنها . وزاد الطبراني بعد هذا قال (ﷺ): ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عينيّ ،ثم قالوا أيا حبيب لم تُرَعْ أنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرّت عينك. وفي سيرة ابن هشام أيضًا: إنّ مما هيج مرضعته حليمة السعدية وزاد رغبتها في رده بسرعة إلى أمه أنّها خافت عليه من أمر آخر هو أن نفرًا من علماء نصارى الحبشة رأوا محمدًا معها حين رجعتْ به بعد فطامه فنظروا إليه وسألوها عنه ، ثم قالوا لها لنأخذنَّ هذا الغلام فلنذهبنَّ به إلى ملكنا وبلدنا فإنّ هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فقد عرفوه بأنّه هو النبي المنتظر ظهوره في ذلك الوقت. إذ إنّ أوصافه مكتوبة عندهم في كتبهم حتى إنّهم ألحّوا عليها لأخذه منها. ولم تستطع صرفه عنهم إلّا بمشقة فقد أوشكوا أن يأخذوه منها.

سمعت أحد الأخوة المؤمنين يتحدث أنّه رأى رؤية في المنام أفزعته، انه رأى رجلًا ميتًا فسأل عنه فقيل له هذا رسول الله (ﷺ) فسأل عن تفسير رؤياه هذا فأجيب بأنّ رؤية رسول الله (ﷺ) في المنام ميتًا يعني أنّ المسلمين قد أماتوا سنّة نبيهم (ﷺ). فنسأل الله سبحانه أن يوفقنا في أن نحيي ذكرى مولده (ﷺ) بإحياء سنته بأن نأخذ بها في أقوالنا وسلوكنا، ونسأله سبحانه أن يجعل هوانا تبعًا لما جاء به سيد المرسلين وأن يوردنا حوضه ويحشرنا تحت لوائه يوم الدين اللهم آمين.

الموعظة الرابعة عشرة : فضل صلاة الجمعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام عل رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنّا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

كان يوم الجمعة يسمى قبل الإسلام العروبة (بفتح العين) وسمي بعد الإسلام يوم الجمعة لاجتماع الناس لصلاة الجمعة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي (ﷺ) قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلًا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم. رواه مسلم والحاكم بإسناد على شرطهما.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ النبي (ﷺ) قال: ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع إلى الجمعة ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد. رواه الطبراني.

وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أنّهما سمعا رسول الله (ﷺ) يقول على أعواد منبره: لينتهينّ أقوام عن ودعهم (وتركهم) الجمعات أو ليختمنّ الله على قلوبهم ثم ليكوننّ من الغافلين. رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما.

وعن أبي الجعد الضمري وكانت له صحبة رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال: من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها (أي: من غير عذر) طبع الله على قلبه. رواه احمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وقال صحيح على شرط مسلم.

وقوله (ﷺ) طبع الله على قلبه: يعني قساه وختم عليه فلا ينفذ اليه خير.

وفي رواية لابن خزيمة وابن حبان: من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر فهو منافق ، وفي رواية ذكرها رزين، وليست في الأصول: فقد برئ من الله.

وأبو الجعد: اسمه أدرع، وقيل جنادة وقيل: إن اسمه عمر بن أبي بكر.

وعن محمد بن عبد المطلب بن زرارة رضي الله عنه قال: سمعت عمر ولم أر رجلًا به منّا شبيهًا (وهذه جملة اعتراضية أراد بها بيان ما امتاز به عمر وتأكيدًا لما سمعه منه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، ثم سمعه ولم يأتها (أي: من غير عذر في كل مرة) طبع الله على قلبه وجعل قلبه قلب منافق. رواه البيهقي.

وروى الترمذي عن ابن عباس أنّه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد (صلاة) الجماعة (في الصلوات) ولا الجمعة. قال: هو في النار.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم (أي واجب على كل رجل بالغ) وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه. رواه مسلم وغيره.

هذا الحديث دليل قوي للقائلين بوجوب الغسل يوم الجمعة ؛ لأنّه صرح فيه بلفظ الوجوب وحمل الجمهور الوجوب هنا على تأكيد سنيته أو ثبوت حقيقته وهو بعيد.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: إنّ الغسل يوم الجمعة ليسلّ الخطايا من أصول الشعر استلالًا. رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات. والمراد بذلك غسل الجمعة ، وإن لم يكن مجنبًا ومن أجنب يوم الجمعة واغتسل فالراجح أنّ هذا الغسل يعوض عن غسل يوم الجمعة ، أي: يجوز أن يجعل كلاهما في غسل واحد.

ومن دخل الجامع والخطيب يخطب يصلي ركعتين خفيفتين تحية المسجد، فقد دخل سليك الغطفاني والنبي (ﷺ) يخطب فجلس، فقطع النبي (ﷺ) الخطبة والتفت إليه وقال: أصليت يا سليك؟ قال: لا، قال: قم فصلِّ ركعتين.

وفي الحديث الآخر: إذا أتى أحدكم المسجد والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما.

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: جاء رجل يتخطّى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي (ﷺ) يخطب، فقال النبي (ﷺ) : اجلس فقد آذيتَ وآنيتَ. رواه احمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما. ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله.

وآنيت (بمد الهمزة): أي: جئت متأخرًا وآذيت بتخطيك رقاب الناس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي (ﷺ) قال: إذا قلتَ لصاحبك (الجالس بجوارك) يوم الجمعة أنصتْ والإمام يخطب فقد لغوتَ. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة.

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد يوم الجمعة والنبي (ﷺ) يخطب فجلست قريبًا من أُبَي بن كعب فقرأ

النبي (ﷺ) سورة براءة (أي: آية أو آيات منها) فقلت لأُبَي: متى نزلت هذه السورة؟ قال: فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة، ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني، فلما صلى النبي (ﷺ) قلت لأُبَي سألتك فتجهمتني ولم تكلمني، قال أُبَي: مالك من صلاتك إلّا ما لغوتَ، فذهبتُ إلى النبي (ﷺ) فقلت: يا نبي الله، كنت بجنب أُبَي وأنت تقرأ (براءة) فسألته متى نزلت هذه السورة؟ فتجهمني ولم يكلمني ثم قال: مالك من صلاتك إلّا ما لغوت، قال النبي (ﷺ) : صدق أُبَي.

ومعنى تجهمني: قطب وجهه وعبس ونظر الي نظر المغضب المنكر.

وفي الحديث الآخر عن أبي الدرداء أنّ النبي (ﷺ) قال له: إذا سمعت إمامك (الخطيب) يتكلم فأنصت (له واستمع) حتى يفرغ (وينتهي من خطبته وكلامه).

وروي عن جابر رضي الله عنه قال: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لرجل لا جمعة لك، فقال النبي (ﷺ) لِمَ يا سعد؟ قال: لأنّه كان يتكلم وأنت تخطب، فقال النبي (ﷺ): صدق سعد. رواه أبو يعلى والبزار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصا فقد لغا. رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله (ﷺ): الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام وذلك بأنّ الله عز وجل قال: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والمراد صغار الذنوب دون الذنوب الكبيرة وحقوق الآدميين.

وعن يزيد بن أبي مريم رضي الله عنه قال: لحقني عباية بن رفاعة بن رافع رضي الله عنه وأنا أمشي إلى الجمعة فقال: أبشِر فإنّ خطاك هذه في سبيل الله : سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله (ﷺ) : من اغبرّت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار. رواه الترمذي، حديث حسن صحيح.

ومن حرمت قدماه على النار فقد حرم جسمه جميعه على النار، إذ لا يعقل أن يدخل أحد النار فيضرب بعضه ويسلم بعضه ويدلّ على ذلك الحديث الذي رواه البخاري وعنده. قال: عباية: أدركني أبو عبس وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من اغبرّت قدماه في الله حرمه الله على النار ، وفي رواية ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابّة إلّا وهي تفزع يوم الجمعة (لأن الساعة ستقوم فيها) إلّا هذين الثقلين إلّا الجن والإنس. رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما. ورواه أبو داود وغيره أطول من هذا وقال في آخره : وما من دابّة إلّا وهي مصيخة (مستمعة) يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا(حذرًا وخوفًا) من الساعة إلّا الإنس والجن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها. رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه ولفظه قال: ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة هدانا الله له، وضل الناس عنه، فالناس لنا فيه تبع فهو لنا، واليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد إنّ فيه لساعة لا يوافقها مؤمن يصلي يسال الله شيئا إلّا أعطاه.

"هذا الحديث يدل على أنّ يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام بدون استثناء، وإذا وردت أحاديث ذكرت أن أفضل أيام الدنيا وأحبّها إلى الله يوم

النحر أو يوم عرفة فالمراد أنّهما أفضل من سائر أيام السنة باستثناء أيام الجمع.

أمّا الساعة التي يستجاب فيها الدعاء فقد اختُلف فيها على أقوال، وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة واحدهما أرجح من الآخر، الأول: أنّها من جلوس الخطيب على المنبر حتى انقضاء صلاة الجمعة، والقول الثاني: أنّها بعد العصر، وهذا أرجح القولين، وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة والإمام احمد.

وفي القول الثاني الراجح يكون قوله (ﷺ) (لا يوافقها مؤمن يصلي) إشكال، إذ الصلاة بعد العصر مكروهة، وقد جاء جواب هذا الإشكال في حديث رواه ابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنّه سأل النبي (ﷺ) عن هذه الساعة فقال: هي آخر ساعة من ساعات النهار، قال: قلت: إنها ليست ساعة صلاة قال: بلى، إنّ العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلّا الصلاة فهو في صلاة".

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): إنّ من أفضل أيّامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم، وفيه قُبض وفيه النفخة وفيه الصعقة (أي: في هذا اليوم ينفخ إسرافيل لقيام الساعة) فأكثروا من الصلاة عليَّ فيه ؛ فإنّ صلاتكم يوم الجمعة معروضة عليَّ. قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ (أي: بليت)؟ فقال: إنّ الله جل وعلا حرَّم على الأرض أن تأكل أجسامنا. رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه . وأرمت (بفتح الراء وسكون الميم): أصبحت رميمًا، باليًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال: من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (والمراد الجنابة حقيقة أو اغتسل كما يغتسل من الجنابة حتى لو لم يجنب) ثم راح في الساعة الأولى فكأنّما قرّب بدنة (أي: كأنما تصدق بناقة) ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة ، ومن راح

في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشًا أقرن (أي: كبشا له قرنان وهذا دليل كماله وحسن صورته ولأنّه يجوز في الأضحية) ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر. رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود.

قال النووي وهؤلاء الملائكة هم غير الحفظة وظيفتهم أنّهم يقفون على أبواب المساجد يكتبون أسماء من يحضرون صلاة الجمعة، فإذا صعد الخطيب على المنبر طووا الصحف وحضروا الصلاة يستمعون كلام الخطيب.

وفي رواية للبخاري ومسلم وابن ماجه: إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، مثل المهجر (أي: المبكر في المجيء إلى الجمعة) كمثل الذي يهدي بدنه ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشًا ثم دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام (وصعد المنبر ليخطب) طووا صحفهم يستمعون الذكر. رواه ابن خزيمة في صحيحه بنحو هذه.

وفي رواية قال (ﷺ): على كل باب من أبواب المساجد يوم الجمعة ملكان يكتبان الأول فالأول.

وفي رواية لأحمد رضي الله قال رسول الله (ﷺ): تقعد الملائكة على أبواب المساجد فيكتبون الأول والثاني والثالث حتى إذا خرج الإمام (وجلس على المنبر) رفعت الصحف ورواة هذا ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد فيكتبون من جاء من الناس على منازلهم (فيكتبون درجاتهم في التبكير والغدو إلى المسجد) فرجل قدّم جزورًا ورجل قدّم بقرة ورجل قدّم دجاجة ورجل قدّم بيضة قال فإذا أذّن المؤذن وجلس الإمام على المنبر. طويت الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر. رواه احمد بإسناد حسن ورواه النسائي بنحوه من حديث أبي هريرة.

فالحديث يعني أنّ الملائكة بعد أن ينتهوا من تسجيل الساعين إلى الجمعة يطوون صحفهم ويدخلون المسجد ليشاركوا المؤمنين في الاستماع للخطبة في الصلاة.

وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده عن النبي (ﷺ) أنّه قال: تبعث الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون مجيء الناس، فإذا خرج الإمام (وجلس على المنبر) طويت الصحف ورفعت الأقلام، فتقول الملائكة بعضهم لبعض: ما حبس فلانًا؟(ممن تعودوا على حضوره كل جمعة فإنّه إذا غاب سأل عنه بعضهم بعضًا ما بال فلان لم يحضر الجمعة هذه المرة؟ ثم يدعون له بزوال المانع من حضوره فتقول) اللهم إن كان ضالًّا فاهده ، وان كان مريضًا فاشفه ، وان كان عائلًا (فقيرًا) فأغنه. رواه ابن خزيمة في صحيحه. وفي الحديث الصحيح أنّ أهل الجنة يرون ربهم في الجنة مرة في كلّ أسبوع وتكون زيارتهم له سبحانه يوم الجمعة.

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه قال: قال عبد الله (ابن مسعود) سارعوا إلى الجمعة فإنّ الله يبرز إلى أهل الجنة (فيتجلى ربهم ويكشف الحجاب فينظرون إليه) في كثيب كافور (أي: أنّهم إذا ذهبوا لزيارة ربهم جلسوا على تل من كافور وهذا يكون لعامة الناس من أهل الجنة ، وأمّا الأنبياء فينصب لهم منابر من نور ويجلس الصديقون والشهداء على منابر من زبرجد وياقوت كما ورد في الحديث) فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم (أي: يكون إسراعهم إلى زيارة الربّ على قدر إسراعهم إلى الجمعة ويكون قربهم منه على قدر قربهم من الإمام) فيحدث الله عز وجل لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ذلك أنّهم بعد إنتهاء زيارتهم للربّ جل شأنه يقال لهم اذهبوا الى سوق الجنة فيذهبون إليها فيُعطى كلٌّ واحد منهم تحفة (هدية) لم تخطر بباله ولم يكن قد رآها من قبل قد خبأها الله كما قال تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم يرجعون إلى

أهليهم (وزوجاتهم) فيحدثونهم بما أحدث الله لهم (من أنواع الكرامة والنعيم الزائد على ما عندهم من نعيم في الجنة) قال: ثم دخل عبد الله (ابن مسعود) المسجد فإذا هو برجلين يوم الجمعة قد سبقاه، فقال: عبد الله: رجلان وأنا الثالث، إن شاء الله أن يبارك في الثالث. رواه الطبراني في الكبير وأبو عبيدة، اسمه عامر، ولم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل سمع منه.

وعن علقمة رضي الله عنه قال: خرجت مع عبد الله بن مسعود يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه (يعني راحوا قبله إلى المسجد) قال: رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد (أي: أنّه حمد الله على أنّه كان رابع أربعة ولم يسبقه أكثر من هذا العدد) ثم قال : إنّي سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنّ الناس يجلسون يوم القيامة من الله عز وجل على قدر رواحهم إلى الجمعات: فالأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع وما أربع أربعة ببعيد. رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم وإسنادهما حسن.

وروي عن ضمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) احضروا الجمعة وادنوا (واقتربوا) من الإمام فإنّ الرجل ليكون من الجنة فيتأخر عن الجمعة فيؤخر عن الجنة وإنّه لمن أهلها. رواه الطبراني والاصبهاني وغيرهما.

ولعل المعنى أنّه حُبس عن الجنة مدة يدخلها بسبب تخلفه عن صلاة الجمعة.

اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا والحمد لله على هذا الحال وعلى كل حال سوى حال أهل النار. اللهم آمين.

الموعظة الخامسة عشرة : التائبون

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام عل رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

من بركات رمضان أن يعود مسلمون فيه إلى ربهم فيصلون بعد أن كانوا لا يصلون ويقلعون عن المعاصي بعد أن كانوا يتعاطونها في الليل والنهار إلى هؤلاء نوجه حديثنا أنّهم إن كانوا قد تابوا إلى الله فلتكن توبتهم توبة نصوحًا. كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٦].

قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعله في المستقبل ، وقد قال (ﷺ) الندم توبة ، وقد نسب إلى عمر (رضي الله عنه) أنّه قال : التوبة النصوح أن يتوب عن الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه.

وعن أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت الحسن يقول: التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما حببته وتستغفر منه إذا ذكرته وسنذكر فيما يأتي قصة رجال ممن رباهم الإسلام أذنبوا فسرعان ما ندموا لنعلم كيف تكون التوبة النصوح وكيف تكون توبة التائبين.

في مسند الإمام احمد وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك. فقال كعب بن مالك لم أتخلف عن رسول الله (ﷺ) في غزوة غزاها قط إلّا في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها في تلك الغزوة التي غزاها في حر شديد واستقبل سفرًا بعيدًا ومفاوز وعدوًّا كثيرًا والمسلمون مع رسول الله (ﷺ) كثير لا يجمعهم كتاب حافظ . قال كعب:

فكل رجل يريد أن يتغيب إلّا ظنّ أنّ ذلك سيخفى عليه ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل ، وغزا رسول الله (ﷺ) تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فتجهّز إليها والمؤمنون معه ، وقد هممت غير مرة أن أغدو لكي أتجهز معهم ثم أتراجع عن ذلك في كل مرة ويا ليتني لحقت بهم فقد خرجوا وتخلفت عنهم، ولم يتذكرني رسول الله (ﷺ) حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة حبسه يا رسول الله كذا وكذا مستخفًّا به وبأعذاره فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلّا خيرًا، فسكت رسول الله (ﷺ) قال كعب بن مالك: فلمّا بلغني أنّ رسول الله (ﷺ) قد توجه قافلًا (وراجعًا إلى المدينة) من تبوك اشتد بثي (وحزني) وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه (وغضبه) غدًا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي أن يجد لي كذبة أعتذر بها إلى رسول الله ، فلما قيل إنّه أوشك على الوصول راح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدًا إذا كذبت عليه فأجمعت أن أصدقه القول.

وكان إذا قدم رسول الله (ﷺ) من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فلمّا فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلًا فيقبل منهم علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي ما خلفك؟ (ما الذي جعلك تتخلف عن الجهاد؟) ألم تكن قد اشتريت راحلتين وجهزتهما للقتال؟ فقلت: يا رسول الله ، إنّي لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا رأيت أن أخرج من سخطه (وغضبه) بعذر، وقد أعطيت جدلًا (ومقدرة على الكلام) ولكني والله ، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكنّ الله ان يسخطك علي ، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال: فقال رسول الله (ﷺ): أمّا هذا فقد صدق، فقم

حتى يقضي الله فيك ، فقمت وقام رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا (فكان بإمكانك أن تعتذر له بما اعتذر به المتخلفون) فقد كان يكفيك من ذنبك استغفار رسول الله (ﷺ) لك ، قال: فو الله ما زالوا يؤنبونني حتى أوشكت أن أرجع فأكذب نفسي (وأكذب عليه) ثم قلت لهم : هل لقي معي هذا أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالا (له) مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت: من هما قالوا: مرارة بن الربيع العامري ، وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا (فاقتديت بهما وجعلتهما أسوة لي على قول كلمة الحق وعدم الاعتذار بالكذب).

قال ونهى رسول الله (ﷺ) المسلمين عن كلامنا (نحن) الثلاثة من دون من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، فتنكّرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي كنت أعرف ، ولبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأمّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيتهما يبكيان ، وأمّا أنا فكنت أشدّ القوم وأجلدهم (وأصبرهم) فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله (ﷺ) وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم (عليه) ثم أقول في نفسي أحرك شفتيه بردّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إلي فإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبّ الناس إلي فسلمتُ عليه فو الله ما ردّ عليَّ السلام فقلت: يا أبا قتادة ، أنشدك الله هل تعلم أني أحبّ الله ورسوله، قال: فسكت قال: فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فسكت ثم قال: الله ورسوله أعلم ، قال ففاضت عيناي وتوليت فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا بقبطي من أقباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك ؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاء فدفع إلي كتابًا من ملك غسان (عميل الروم) وكنت كاتبًا (أعرف القراءة فقرأته) فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أنّ صاحبك (محمدًا) قد جفاك وأن الله لم يجعلك في دار هوان ومضيعة فالحق بنا نواسك قال: فقلت حين قرأته : وهذا أيضًا من البلاء.

قال: فتيممت به التنور فسجرته (أحرقته) به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله (ﷺ) يأتيني يقول (لي) يأمرك رسول الله (ﷺ) أن تعتزل امرأتك ، قال: فقلت أطلقها، ماذا افعل؟ فقال: بل اعتزلها ولا تقربها، قال: وأرسل إلى صاحَبَي (اللذين تخلفا معي) مثل ذلك، قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله : إنّ هلالًا شيخ ضعيف ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال: لا ولكن لا يقربك قالت: وإنّه والله ما به من حركة إلى شيء وإنّه والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله (ﷺ) في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله (ﷺ) ما أدري ما يقول لي إذا استأذنه فيها وأنا رجل شاب، قال: فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صارخًا يقول بأعلى صوته أبشر يا كعب بن مالك، قال: فخررتُ ساجدًا وعرفتُ أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا، وذهب قِبل صاحبَيّ مبشرون، وركض اليَّ رجل راكبًا فرسًا وكان صوته أسرع من فرسه فلمّا جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعتُ له ثوبَيّ فكسوتهما إيّاه لبشارته ، والله ما كنت أملك يومئذ غيرهما واستعرتُ ثوبين فلبستهما وانطلقت أؤم (قاصدًا) رسول الله ، وتلقاني الناس فوجًا فوجًا يبشرونني بتوبة الله ، حتى دخلتُ المسجد فإذا رسول الله ، جالس في المسجد والناس حوله ، فقام إليَّ طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهناني ، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب فلما جئتُ إلى رسول الله، رأيتُه يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله ، إذا سُرَّ (وفرح) استنار وجهه حتى كأنّه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه ، فلما سلمتُ عليه قال لي: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمّك. قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم

من عند الله؟ قال: بل من عند الله. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

قال كعب: ثم قلت : يا رسول الله إنّ من توبتي أن أنخلع من أموالي جميعها صدقة إلى الله وإلى رسوله قال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال: فقلت : إني أمسك سهمي الذي بخيبر وأتصدق بكل أموالي الباقية.

هكذا يجب أن تكون توبة التائبين إذا أرادوا أن يتوب الله عليهم ، وأن لا ينسوا إذا تابوا حقوق الناس عليهم ، فقد قال رسول الله (ﷺ) أو كما قال: "يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلًا بُهما قلنا: ما (بهما)؟ قال: ليس معهم شيء؟ (يعني من أموال الدنيا) فيناديهم (الله) بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب (يناديهم ربهم بصوت يسمعه القريب من الصوت والبعيد عنه) : أنا الملك الديان (المحاسب على كل شيء) لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة (والمعنى: لا يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إلّا بعد تصفية الحساب فيما بينهم فيأخذ كل مظلوم حقه من ظالمه فقال من سمع الحديث من النبي (ﷺ): قلت: وكيف وإنّما نأتي الله (يوم القيامة) عراة بهما (لا نملك درهمًا ولا دينارًا)؟ قال (يكون القصاص يومئذ) بالحسنات والسيئات.

فمن رحمة الله أنّه سبحانه يعفو عمن أساء إليه إذا تاب المسيء، ولكن من عدالته أن لا يعفو عمن أساء إلى الناس إلّا بأن يرد إليهم مظلماتهم بأن يتحلل منهم ويسترضيهم في الدنيا قبل مماته حتى لو كانوا يهودًا او نصارى او كافرين ، فما أعظم رحمة هذا الدين وما أعظم عدالته!.

ومن تاب توبة نصوحًا تاب الله عليه وغفر له ما فرط في جنب الله، بل الله سبحانه لا يعفو عن سيئات عبده التي اقترفها قبل توبته ، بل يبدلها

جميعها إلى حسنات. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٩].

عن أبي ذر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مضمونة: إنّه يؤتى بالرجل يوم القيامة ممن كان قد عمل السيئات ثم تاب فتاب الله عنه فيقول الله للملائكة اعرضوا على عبدي هذا سيئاته الصغيرة فاسألوه عنها ونحّوا وخبّئوا عنه كبار ذنوبه وسيئاته فلا تسألوه عنها ، فتأتي إليه الملائكة فتقول له ، يافلان أما فعلتَ في يوم كذا ، كذا وكذا؟ فيقول: بلى وتقول له: أما عملت في يوم كذا ، كذا وكذا؟ فيقول: بلى ، فيقرّ بهذه الذنوب ويعترف بها ويفرح الرجل ؛ لأنّ الملائكة لم تسأله عن باقي ذنوبه الكبيرة ، ثم ينادي الله الملائكة ويسمع الرجل هذا النداء أن بدلوا كل سيئة من سيئاته التي أعرضتموها عليه وسألتموه عنها بدّلوا بها حسنة ، أي : اجعلوا هذه السيئات حسنات فيطمع الرجل بكرم الله هذا فيقول: يا ربّ إنّ لي ذنوبًا أخرى ما لي لا أراها اليوم؟ ما للملائكة لم تسألني عنها وتعرضها عليّ؟ ذلك أنّ الرجل طمع أن تزداد حسناته بتبديل سيئاته الأخرى إلى حسنات قال أبو ذر: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه أي حتى بدت أسنانه.

فهل ثمة كرم أعظم وأوسع من هذا الكرم الإلهي الذي أكرم به الله الراجعين إليه! فتوبوا قبل فوات الأوان فتوبوا قبل أن تموتوا ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان.

اللهم تب علينا في الدنيا وارحمنا يوم الدين. يا رب العالمين اللهم آمين.

الموعظة السادسة عشرة : فريضة الصلاة

الصلاة في كتاب الله : بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا

فضل الصلاة عند الله كبير، وقد سماها، سبحانه، ذكرًا ؛ لأنّ فيها يذكر الإنسان ربه، وقد حثنا أن نسعى إليها، فقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

حثنا أن نسعى إلى الصلاة، وأن نذر البيع ، أي: نتركه من أجل إقامتها، فإنّها خير من كل بيع وشراء، وتجارة، كما أخبرنا الله بذلك في هذه الاية.

إنّ فضل الصلاة عند الله عظيم وقديم، بيان ذلك فيما ياتي:

الصلاة فرضت على كل الأنبياء والأمم : لعظم مكانة الصلاة عند الله فقد وصى بها، سبحانه، أنبياءه، الأولين والآخرين وأقوامهم، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٦-٥٩].

ذكر الله، سبحانه، الخلف ، الأتباع، أنّهم قد ضيعوا صلاتهم التي وصاهم بها أنبياؤهم من عهد إدريس ، عليه السلام، الذي كان نبيًّا عاش قبل نوح بزمن طويل، بل كان قريبًا من عهد أبينا آدم، عليه السلام، فكان جزاء مضيعيها الغي، وهو الويل، والعذاب الشديد، وما كان جزاؤهم كذلك إلّا لكونهم قد ضيعوا أهم وصية.

ولعلم إبراهيم، عليه السلام، بفضل الصلاة عند الله ، فقد كان يدعو الله أن يجعله وذريته من المقيمين لها ، قال الله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ

أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الانبياء: ٧٢-٧٣].

وكذلك كان إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام ؛ كان لاهتمامه بهذه الفريضة يأمر بها أُمته وعشيرته وأولاده . قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

وقد كانت الصلاة من أهم ما وصَّى به لقمان الحكيم ابنه، قال الله تعالى: ﴿يابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ويروى أنّ لقمان عاش ألف سنة، وأدركه داود عليه السلام، فأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، كان قاضيًا في بني إسرائيل، أعطاه الله الحكمة.

وكثر أمر الله سبحانه لبني اسرائيل بإقامة الصلاة، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۞ وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٠-٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

ولما كلم الله موسى، عليه السلام، وعرفه نفسه أمره في هذا المقام العظيم بإقامة الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١١-١٤].

وعيسى عليه السلام عندما جاءت به أُمُّه مريم عليها السلام، وحين اتهمها قومها بالسوء، أشارت اليه، فقالت: كلموه يجبكم بما حدث، فلما تكلم وهو طفل رضيع في المهد ذكر لهم ما وصاه الله به. وقد كانت الصلاة من أول الوصايا التي نطق بها قال الله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٢٩-٣٤].

وقد اقترنت في هذه الآيات الوصية بالصلاة بالمعجزة العظيمة، وهي نطق عيسى ، عليه السلام، وهو صبي في المهد، وما كان هذا الاقتران إلّا لعظم الوصية التي أمر الله بها أُمَّه مريم عليها السلام قال الله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الراكعين﴾ [ال عمران: ٤٣].

وهذه الآية وما سبقها الموجهة الى بني إسرائيل (واركعوا مع الراكعين) تشير إلى أنّ الصلاة التي فرضت على الأمم قبل أُمَّة محمد (ﷺ) كانت كصلاتنا فيها سجود وركوع ، وقد كانت الصلاة شعار كل نبي ورسول ، بها يميز وقومه من غيرهم ، وكان الكفار يخاطبونهم بها ؛ لأنّهم كانوا يعدونها هي المسؤولة عن دعوتهم إلى الإصلاح، وإلى التوحيد. فقد اتهم قوم شعيب شعيبًا صلاته بأنّها تأمره بمجالدتهم. قال الله تعالى: ﴿قالواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧].

الصلاة كثر ذكرها في كتاب الله : لعلو شأن الصلاة عند الله، فقد كثر ذكرها في كتابه المجيد، فقد ذُكرت في القرآن الكريم بصيغة المصدر (الصلاة) ثمانيًا وسبعين مرة، في حين قد ذُكرت الزكاة بالصيغة نفسها تسعًا وعشرين مرة ، والحج عشر مرات، والصوم ثماني مرات.

حصر الاعمال الصالحة بالصلاة : لعظم فضل الصلاة عند الله، فقد ابتدأت بها الأعمال الصالحة واختتمت في سورة (المؤمنون) قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لامَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقد كرر، هذا الفضل للصلاة في سورة أُخرى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الأنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلّا الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لامَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

تقديم الصلاة على غيرها : كثيرًا ما تقدم ، الصلاة على غيرها من الفرائض والأعمال الصالحة كقوله تعالى: ﴿فَاقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ﴾ [الحج: ٧٨]. فقد قدمت الصلاة على الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالأخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ١-٣]، فقد قدمت في هذه الايات الصلاة على الزكاة وعلى الإيمان بالاخرة.

وقوله تعالى: ﴿أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لاكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [المائدة: ١٢].

قدمت الصلاة في هذه الآيات على الزكاة والإيمان بالرسل ونصرهم وإقراض الله القرض الحسن.

وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمُورِ ۞ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٧-٢٠].

حكى الله لنا في هذه الآيات وصية لقمان لابنه، وهي وصية أقرَّ بها الله، وأوصانا بها عندما حكاها لنا، وقد قُدمت في هذه الوصية الصلاة على طائفة من الأعمال الصالحة، فقد قدمت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الصبر، والتواضع، والتزام الاعتدال، والأدب في المشي والكلام، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، وتقديم أمر الصلاة على أوامر الله الأخرى يدل على ان هذه الفريضة قد تبوأت الاهتمام الاول بين الفرائض والأعمال الصالحة في كتاب الله تعالى.

بالصلاة يشكر الله لا بغيرها : قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ﴾ [الكوثر].

الخطاب موجه من الله، سبحانه، إلى رسوله، محمد، (ﷺ) وهذه السورة معناها: يا محمد، إنا قد أعطيناك خيرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة ، أنّه جزاء ما اعطيناك هذه النعم العظيمة صل لربك وانحر له الذبائح.

فهذه السورة تعني، أنّ الله ، طلب من عبده لكي يشكر نعمه أن يصلي، كأنه لا يمكن أن يجازي العبد ربه ويشكره بأداء أي فريضة كانت وبأيّ عمل صالح كان، إلّا بإقامة فريضة الصلاة والنحر، فبها وحدها وما ذكر بعدها يؤدي العبد الشكر لله ، سبحانه على نعمه لا بغيرها.

علامة الصلاة في الاخرة : أخبرنا الله، سبحانه ، أنّه سيكون للمؤمنين في الآخرة علامة، وهي حسن ونور في وجوههم، ذلك من أثر تكرار سجودهم في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

اللهم انا نسألك علمًا نافعا وعملًا متقبلًا ورزقًا طيبًا اللهم آمين.

من حكم تارك الصلاة في الكتاب والسنة : قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۞ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٨]

حين يدخل المؤمنون الجنة يتساءلون بينهم عن الأهل والأصدقاء والأقرباء أين فلان؟ وأين فلان؟ ممن كانوا يستهينون بأمور الدين فيأتون إليهم ويلقونهم في مكان اسمه سقر، موضع من مواضع جهنم، فيسألونهم ما سلككم في سقر، ما العمل الذي فعلتموه في الدنيا، ما الذنب والذنوب التي اقترفتموها حتى جوزيتم هذا الجزاء وعوقبتم هذا العقاب؟! فكان جوابهم الأول: لم نكن من المصلين، وقد وصفهم الله سبحانه بأنّهم مجرمون، فترك الصلاة

واحدة من الأسباب التي تؤدي إلى لقاء سقر قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۞ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۞ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠] قال ابن عباس: سقر هي الطبقة السادسة من جهنم، وروى أبو هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: سأل موسى ربه، فقال: ،أي ربّ (أي: يا ربّ) أيّ عبادك أفقر؟ قال: صاحب سقر ، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ هذه مبالغة في وصفها، أي: وما أعلمك أيّ شيء هي؟ قوله تعالى (لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ) أي: لا تترك لهم عظمًا ولا لحمًا ولا دمًا إلّا أحرقته، ومعنى (لواحة للبشر) مغيرة للجلود.

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۞ إِلّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

قال عبد الله بن مسعود: الغيّ ، واد في جهنم، وقيل: إنّ في جهنم وادياً يسمى: غيًّا، يسيل دمًا وقيحًا، خبيث الطعم، منتنّ الرائحة، بعيدًا قعره، وعن الرسول (ﷺ) قال: لو أنّ صخرة قذف بها من شفير جهنم (أي من أعلى جهنم) ما بلغت (قعره) سبعين خريفًا (أي: تبقى الحجر تتدحرج سبعين سنة قبل أن تصل قعر جهنم) ثم تنتهي الى غي وآثام... قيل: وما غي وآثام. قال: بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل جهنم أي: يسيل في هذين البئرين ما ينزح من أجساد المعذبين من دماء وقيح، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

ذكر المفسرون أنّ قول الله (ذكر الله) في هذه الآية يعني الصلوات من تركها كان من الخاسرين الذين ليس مصيرهم إلّا النار.

وعن أم أنس (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لا تترك الصلاة متعمدًا فإنّ من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمّة الله ورسوله وما رواه عبادة بن الصامت قال: أوصانا رسول الله (ﷺ)، فقال: لا تشركوا بالله شيئًا، ولا

تتركوا الصلاة عمدًا، فمن ترك الصلاة عمدًا متعمدًا فقد خرج من الملّة، أي: خرج من ملّة الإسلام. رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في سننه وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهر له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنّما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد. رواه الطبراني وحسنه الترمذي.

وروي عن عمر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : من ترك الصلاة متعمدًا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع لله توبته. رواه الأصبهاني.

والمقصود حبوط العمل الصالح ؛لأنّ العمل السيء محبوط بذاته، والمعنى أنّ الله سبحانه لا يقبل من تارك الصلاة أيّ عمل صالح حتى يصلي، وجاء في الحديث: أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة عن صلاته فان تقبلت تقبل منه سائر عمله، وإن رُدَّت صلاته رُدّ سائر عمله. أخرجه البيهقي، وهذا الحديث يؤيد الحديث السابق وعن بريدة (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر. رواه احمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . رواه الخمسة إلّا ابا داود وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر جهارًا، أي: هو جاهر بكفره ومعلن به وهو أشد كفرًا مما سواه وقال (ﷺ): إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.

وقال بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة(رواه أحمد ومسلم).

وقال: ليس بين العبد وبين الكفر إلّا ترك الصلاة

وقال: فإنه من ترك الصلاة فقد كفر

وقال: بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة، فمن تركها فقد أشرك

وقال: ليس بين العبد والشرك إلّا ترك الصلاة

ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]

وجاء في الحديث أنّه حين تأتي الملائكة تسوق رجلًا ما، بعد موته إلى العذاب، عذاب القبر تأتي صلاة هذا الرجل فتنقذه من أيدي ملائكة العذاب. وجاء في حديث آخر أنّ العذاب حين يأتي إلى الرجل وهو في قبره تقوم صلاته بحراسته فتدافع عنه وتصرف عنه العذاب من جهة رأسه.

وتذكر رؤية نبوية حكاها لنا رسول الله (ﷺ) أنّه رأى في المنام ورؤى الانبياء وحي وحق، أنّ رجلًا حين أراد أن يعبر الصراط ،أي : الجسر المقام فوق جهنم، لم يستطع أن يعبره راجلًا، ماشيًا على رجليه، فراح يزحف عليه، ثم أوشك أن يهوي في جهنم لكنه تعلق به، فجاءته صلاته في هذه اللحظات فانتشلته وجعلته قائمًا يمشي على رجليه ثم عبر الصراط.

ويذكر حديثان صحيحان أنّ أُناسًا لاقترافهم ذنوبًا تزلّ أقدامهم عند عبور الصراط فيقعون في النار، لكنهم قبل أن يغوصوا فيها تلحقهم صلاتهم فتخرجهم من النار.

فقد جاء في الحديث أنّه عند عبور الصراط تزلّ اقدام زمر من أُمَّة محمد (ﷺ) فيسقطون ، وأنّه حين يعبر المؤمنون تتذكر جماعات منهم إخوانهم الذين سقطوا فيدعون الله فيقولون : يا ربّ إنّ إخوانا لنا كانوا معنا يصومون ويصلون وقعوا في النار فيقبل الله شفاعتهم فيهم فيقول لهم : أخرجوا من النار من عرفتم فيأتون إليهم ولم يغوصوا بعد في أعماقها فيعرفونهم من علامات مرسومة في جباههم ، وهي أثر سجودهم فهذا الأثر لا يمحي ولا يفنى ولا يحترق بل يبقى يشع نورًا فيتعرفون إليهم بهذه الطريقة فينتشلونهم ويخرجونهم من النار قال تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

وفي الحديث الذي رواه البخاري أنّ رسول الله (ﷺ) رأى في المنام أنّه جاءه ملكان فأخذاه فانطلق معهما وأرياه صنوفًا من العذاب فقال (ﷺ) : إنّا أتينا على رجل مضطجع (متكئ) وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة (يرمي بها) لرأسه، فيثلغ رأسه (أي: يحطم رأسه بالصخرة) فيتدهده الحجر (أي: يتدحرج) فيأخذه ويذهب إلى الحجر ليعيد ضربه بها مرة أخرى فلا يرجع إليه حتى يصحّ رأسه كما كان (أي يعود رأسه صحيحًا بعد تحطيمه) ثم يعود عليه فيفعل به ما فعل المرة الأولى (أي: يضربه مرة أخرى فيحطم مرة أخرى رأسه ثم يعود رأسه كما كان ثم يحطمه مرة ثالثة ورابعة وهكذا بصفة مستمرة) قلت لهما سبحان الله ما هذا؟: فقالا لي...إنّه الرجل يقرأ القرآن وينام عن الصلاة المكتوبة، ومثل هذا جاء في حديث الإسراء والمعراج عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: ثم أتى، يعني النبي (ﷺ) على قوم ترضح رؤوسهم بالصخرة (ترمى بالصخرة) كلما رضخت (فسحقت) عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء. قال قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ومعنى (لا يفتر) أي: أنّ عذابهم بهذه الطريقة مستمر تضرب رؤوسهم بالصخرة، فكلما تحطمت رؤوسهم عادت صحيحة ليستمر العذاب، وهذا العذاب هو ما رآه الرسول (ﷺ) ليلة الإسراء والمعراج حقيقة، أي: هو حاصل الآن، وقد استشهد به ابن القيم الجوزية على أنّه من عذاب القبر الذي يلحق تاركي الصلاة بعد موتهم.

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنّه ذكر يومًا الصلاة فقال: من حافظ عليها كانت له نورًا (في الدنيا والآخرة) وبرهانًا (أي: علامة على صدق إيمانه) ونجاة (اي خلاصًا له من عذاب النار) يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها (ومن ذلك تركها) لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون (وهو أحد الطغاة الذي ورد ذكره في القرآن) وفرعون

(يعني فرعون موسى عليه السلام) وهامان (وهو وزير فرعون) وأُبَي بن خلف.

هذا الحديث من الأحاديث الصريحة في بيان درجة تارك الصلاة، فليس في الدنيا أشد طغيانًا وكفرًا بالله ومعاداة لدينه من الذين ذكرهم الحديث.

أمّا قارون فقد قال فيه الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١] واما فرعون فقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وأمّا هامان فقد كان وزيرًا لفرعون. وأمّا أُبَي بن خلف، فهو أخو أُمية بن خلف وقد كان هو وأخوه من أشد الذين آذوا رسول الله (ﷺ) وقد قتله النبي (ﷺ) يوم أحد بنفسه والرسل لا تقتل إلّا رؤوس الكفر والإشراك كما ورد هذا في الحديث النبوي، فتارك الصلاة يكون يوم القيامة مع هؤلاء الذين لا يكونون إلّا في الدرك الأسفل من النار

وذكر عبد الله بن مسعود في حديث موقوف أنّ القتل في سبيل الله (أي : الشهادة في سبيل الله) يكفر الذنوب كلها إلّا الأمانة. قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قُتِل في سبيل الله فيقال له: أدِّ أمانتك فيقول: أي: يا رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال انطلقوا به الى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه (فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها فى أسفل الهاوية أي في قعر الوادي السحيق فيمسكها بيده) فيحملها على منكبيه (أي: يحملها على كتفيه ويصعد بها الوادي) حتى إذا ظنّ أنّه خارج (من الوادي) اقلولت عن منكبيه (أي: زحزحت عن منكبيه فسقطت في أسفل الوادي فينزل مرة ثانية ويحملها على كتفيه حتى إذا ظنّ أنّه خارج ، زحزحت عن منكبيه) فهو يهوي في أثرها إلى أبد الآبدين ثم قال: (بعد أن أتم ذكر هذا الحديث) الصلاة أمانة والوضوء أمانة وكذا أمانة و..

هذا الحديث رواه أحمد والبيهقي موقوفًا وذكر عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد أنّه سأل أباه عنه فقال إسناده جيد، وقد رواه كذلك بن أبي حاتم.

فالحديث أخبر أنّ الشهادة في سبيل الله تغفر الذنوب جميعها إلّا الأمانة، وقد جعل الحديث الصلاة والوضوء لها من الأمانات، أي: من مات وهو تارك الصلاة يعدّ قد خان الأمانة وارتكب بذلك ذنبًا كبيرًا لا تغفره حتى الشهادة في سبيل الله بل يأتي يوم القيامة وهو يهوي في الهاوية، والهاوية اسم من أسماء جهنم، أو هي واحدة من طبقاتها سميت ذلك لشدة بعد غورها فتارك الصلاة يتبع أمانته، وهي الصلاة، فيهوى معها حتى إذا أدركها وحملها على كتفيه وظنّ أنّه سيخرج من وادي العذاب زحزحت عنه فوقعت في الهاوية فيتبعها فيدركها ويحملها ثم تزحزح عنه مرة ثانية وثالثة.. وهكذا إلى ما شاء الله يفعل بخائن الأمانة، وتارك الصلاة في طليعة الخائنين لها كما بين ذلك الحديث عندما جعل الصلاة من أول الأمانات وقد عظم الله سبحانه أمر الأمانة فقال جل شأنه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الأنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الاحزاب: ٧٢].

فالأمانة لعظم شأنها حين عرضها الله على السموات والأرض والجبال رفضن أن يحملن الأمانة وأشفقن وخفن من حملها إلّا أنّ الإنسان الذي هو أضعف بكثير من السموات والأرض والجبال لم يخف من الأمانة وحملها وقد بين حديث عبد الله بن مسعود كيف يكون حمل الإنسان لها يوم القيامة.

قبل فوات الأوان : على من ترك طاعة الله أن يعلم أنّ الجنة مأمورة بأن تفتح أبوابها الثمانية أمامه ، إذا تاب بإقامة ما ترك مهما كثرت ذنوبه، إذا كانت قبل موته وقبل طلوع الشمس من مغربها قال تعالى :﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لو أخطأتم حتى تبلغ السماء (أي: من كثرتها) ثم تبتم لتاب الله عليكم . رواه ابن ماجه بإسناد جيد، بل الله سبحانه وتعالى إذا تاب عبده فلن يعفو عنه فحسب بل يبدل سيئاته كلّها الى حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

والله تبارك وتعالى بعد ذلك يفرح فرحًا شديد بتوبة عبده فعن أنس (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لله أشدّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من (فرح) أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة (أي: بأرض واسعة بعيدة) فانفلتت منه (أي: ضاعت منه راحلته التي يعني بها دابته) وعليها طعامه وشرابه فآيس منها (يعني بحث عنها كثيرًا فلم يجدها حتى يئس من العثور عليها) فأتى شجرة فاضطجع في ظلها (تعبًا وجائعًا وعطشان) قد آيس من راحلته فبينا هو كذلك ، إذا هو بها قائمة عنده (أي: نام حتى إذا استيقظ وجد دابته فوق رأسه وعليها طعامه وشرابه) فأخذ بخطامها (يعني مسك زمامها) ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك . رواه البخاري ومسلم.

فالله سبحانه الذي ما أرحمه وما أكرمه يفرح بتوبة عبده أشدّ من فرح هذا الرجل الذي وجد دابته فوق رأسه فجأة حتى إنّه حين أراد أن يشكر ربه، ويقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، أخطأ من شدة الفرح فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. فتب توبة نصوحًا، ليفرح بتوبتك الله، ولتفرح أنت برضاه.

أحاديث أخرى في فضل الصلاة : من فضل الصلاة أنّها تكون سببًا من أسباب نصر الله ، فقد قال عليه الصلاة والسلام إنّما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعواهم وصلاتهم وإخلاصهم . رواه النسائي وغيره ، دون ذكر الإخلاص وذكر الحديث الذي رواه أبو يعلى بإسناد حسن أنّ الأرض التي يصلي عليها مسلم تفخر على ما حولها من الأرضين ؛ لأنّه قد أقيمت عليها فريضة الصلاة . وروى الشيخان عن أبي هريرة (رضي الله عنهما) أنّ

الله سبحانه وتعالى يسأل ملائكته حين يصعدون إليه عن عباده فيجيبونه أنّا تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون، ذلك أنّ الملائكة يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ملائكة تصعد وملائكة تنزل.

وأنّ الملائكة تصلي على المصلي ما دام في صلاته ، وأنّ الله وملائكته يصلون على الصفوف الأُوَل من المصلين.

وروى مسلم عن جندب بن عبد الله ، قال: قال رسول الله (ﷺ): من صلى الصبح فهو في ذمة الله.

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقًّا على الله أن يغفر له هاجر أو قعد.. رواه الترمذي.

وروى الشيخان عن الرسول (ﷺ) قوله: من صلى البردين دخل الجنة، والبردان صلاة الفجر وصلاة العصر.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (قال رسول الله (ﷺ) إذا صلت المرأة خمسها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها (أي: زوجها) داخلت من أيّ أبواب الجنة شاءت . رواه ابن حبان في صحيحه، وروى مثله أحمد والطبراني.

وعن ابن عامر (رضي الله عنه) قال: فأدركت رسول الله (ﷺ) قائمًا يُحَدِثُ الناس وأدركت من قوله: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلّا وجبت له الجنة. رواه الحمسة إلّا البخاري.

وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، (أي: يتمه) ثم قال (في نهاية وضوئه) أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله إلّا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء . رواه مسلم.

وحلية المؤمن التي يتحلى بها في الجنة، كأساور الذهب تبلغ من يدي المؤمن ورجليه حيث يبلغ وضوؤه، والمؤمنون في الجنة رجالًا ونساءً يلبسون الذهب ويتحلون به، فعن أبي هريرة (ﷺ) قال: سمعت خليلي رسول الله (ﷺ) يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء. رواه مسلم.

وقال (ﷺ) : لن يلج النار (أي: لن يدخل النار) أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعني الفجر والعصر . رواه مسلم.

وروي عن أم سلمة (رضي الله عنها) عن النبي (ﷺ) قال: من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار . رواه الطبراني في الكبير.

وعن أم حبيبة (رضي الله عنها) أنّ الرسول (ﷺ) قال: من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرم على النار . رواه الحاكم وروى مثله أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي.

وجاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) قال يا رسول الله شهدت أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت رمضان. قال رسول الله (ﷺ): من مات على هذا الحال فهو مع النبيين والصديقيين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب إصبعيه ما لم يعق والديه. رواه أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ، وفي رواية قال له: يا رسول الله: أرأيت (أي: أخبرني) إن شهدت .. وصليت.. وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: من الصديقين والشهداء . رواه البزار وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان في صحيحه.

وروى مسلم عن ابن كعب أنّ رسول الله (ﷺ) قال لي سلني (اسألني ما تريد) فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال: أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك (أي: لا أسألك غير هذا) قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود (أي: بكثرة الصلاة) وبهذا قال الرسول (ﷺ) يوصي صحابيًّا آخر، وهو أبو فاطمة ولفظه، قال لي نبي الله (ﷺ) : يا ابا فاطمة إن أردت أن تلقاني (في الجنة)

فأكثر السجود. رواه أحمد أي: فأكثر من الصلاة . وعن عبدالله بن بريدة (ﷺ) قال أصبح رسول الله (ﷺ) فدعا بلالًا فقال: يا بلال، بِمَ سبقتني إلى الجنة؟ إني دخلت الجنة فسمعت خشخشتك أمامي فقال بلال: يا رسول الله ما أذّنت قط إلّا صليت ركعتين ولا أصابني حدث قط إلّا توضأت عنده، فقال رسول الله (ﷺ) لهذا . رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وعن أبي أمامة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال : وصلاة إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين . رواه أبو داود.

وعن جرير (ﷺ) قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر... فإن استطعتم ألّا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا.. رواه الاربعة.

وجاء في الحديث الذي رواه مسلم، إنّ المؤمنين لم يعطوا شيئًا في الجنة أحبّ من النظر إلى ربّهم ، فلعظم فضل الصلاة عند الله جعل سبحانه رؤيته في الجنة التي هي أسمى أماني أهل الجنة على الإطلاق متعلقة بإقامة هذه الفريضة، ولا سيّما في وقتي الفجر والعصر.

ومن فضل الصلاة أنّها تزيل خطايا بني آدم التي لا بد من أن يقترفها كل إنسان، فالذنوب تقسم على ثلاثة أقسام، الكبائر كالزنا وأخذ الربا وشرب الخمر مثل هذه الذنوب لا تغفر بصلاة وغيرها من الطاعات وإنّما تغفر بالإقلاع عنها والاستغفار ومعاهدة الله سبحانه بعدم العودة إليها وبالإحساس بالندم على فعلها، والقسم الثاني من الذنوب ما يتعلق بحقوق الناس كالاعتداء عليهم بالضرب أو بالطعن باللسان وغيبتهم أو سرقة أموالهم أو سفك دمائهم ، فهذه الذنوب لا تغفر إلّا باسترضاء أصحابها وأن يرضيهم في الدنيا ، والقسم الثالث من الذنوب، هي الذنوب الصغيرة التي سماها الله سبحانه اللمم فهذه تمحوها الصلاة، والوضوء.

فعن ثوبان (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره . رواه مسلم، وفي رواية أنّ من توضأ تخرج خطاياه من وجهه ومن يديه ومن رجليه حتى يخرج نقيًا من الذنوب . رواه مسلم أيضًا.

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: أرأيتم (أي: أخبروني) لو أنّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرات هل يبقى من درنه (وسخه) شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا: متفق عليه.

وعن ثوبان (ﷺ) عن النبي (ﷺ): قال لي عليك بكثرة السجود فإنّك لا تسجد لله سجدة إلّا رفعك الله بها درجة وحطّ بها عنك خطيئة . رواه مسلم والترمذي

وعن عبد الله بن مسعود (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ) تحترقون تحترقون (أي: ترتكبون ذنوبًا لو بقيت ولم نغفر لكم لأوجبت احتراقكم في النار) فإذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ، فلا يكتب عليكم ذنب حتى تستيقظوا . رواه الطبراني وإسناده حسن وقال (ﷺ): ما من مسلم يتوضا فيسبغ الوضوء (أي: يتمه) ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلّا انفلت (أي: انصرف، وفرغ من صلاته) وهو كيوم ولدته أُمه. رواه مسلم.

ويؤيد كل ما سبق قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. ﴿أي: إنّ الحسنات المكتسبة من الصلوات تذهب سيئات صاحبها سوى الكبائر وحقوق الناس﴾.

وعن أنس (ﷺ) قال كنت عند النبي (ﷺ) فجاءه رجل فقال يا رسول الله : إنّي أصبت حدًّا (ذنبًا) فأقم عليَّ (أي: عاقبني ليغفر لي ذنبي) ولم يسأله، وحضرت الصلاة ، فصلى مع النبي (ﷺ) فلما قضى (ﷺ) قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله إنّي أصبت حدًّا (ذنبًا) فأقم فيَّ كتاب الله، قال: أليس قد صليت معنا؟ قال نعم، قال اذهب فإنّ الله غفر لك ذنبك ، أو قال حدك : أخرجه الشيخان .

وعن ابن مسعود (ﷺ) إنّ رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي (ﷺ) فأخبره (بما فعل) فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

فقال الرجل ألي هذا (خاصّة)؟ قال (بل) لجميع أمتي كلهم متفق عليه.

لا بد من الصلاة : لا بدّ من الصلاة ، أمّا قول الله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَنْ يشاءُ﴾ لا يعني بإجماع الأمّة والمفسرين أنّ الله سبحانه يجبر الإنسان على معصيته بل قال جل شانه ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

وقد روي عن جابر (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: يكون في آخر الزمان قوم يفعلون المعاصي ثم يقولون الله قدّرها علينا ، الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله ، فقد جعل الحديث هؤلاء الناس كفرة يجب قتالهم ، والعبد لا ينفعه نسبه، فقد قال (ﷺ): من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وكان (ﷺ) يقول لابنته فاطمه (رضي الله عنها): يا فاطمة اعملي فإنّي لا أغني عنك من الله شيئًا.

أمّا طيب القلوب وحسن الأخلاق والأعمال الصالحة لا تسقط عن صاحبها فريضة الصلاة ، فهذا رسول الله (ﷺ) سيد بني آدم في نسبه وحسبه وأعماله وطيب قلبه وصفاء سريرته وسمو أخلاقه وشمائله حتى قال الله عنه

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ومع ذلك أمره الله سبحانه أن يقيم الليل كل يوم وجعل قيام الليل عليه فرضًا وعلى أمته سنة، وأمره بعبادته حتى يأتيه الموت قال تعالى مخاطبًا رسوله (ﷺ) ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وقال تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].

أمّا قول الرسول (ﷺ) : من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة، وقوله (ﷺ) مفتاح الجنة لا إله إلّا الله فيعني أنّ من قال هذه الكلمة بصدق ضمن عدم الخلود في النار، ومن ضمن عدم الخلود في النار ضمن دخول الجنة بعد خروجه منها إن كان عنده سيئات وأعمال غير صالحة ، أي : أنّ المرددين لكلمة لا إله إلّا الله ، على ثلاثة أقسام.

الأول: يتلفظ بها بلسانه لكنه غير مؤمن بها بقلبه ولا يعمل بمقتضاها من صوم وصلاة وحج وزكاة وغيرها من الفرائض فهذا القسم لا تنفعه هذه الكلمة ويدخل النار ولا يخرج منها.

الثاني: يردد كلمة لا إله إلّا الله، يؤمن بها بقلبه لكن لا يعمل بمقتضاها فلا يؤدي ما افترض الله عليه، فهذا الصنف من الناس إن مات على هذه الحال يدخل النار لكنه لا يخلد فيها بل يبقى فيها معذبًا بقدر سيئاته ثم لا بدّ أن يخرج منها بشفاعة لا إله إلّا الله فهذا هو معنى قوله (ﷺ) : من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة.

والقسم الثالث: يردد كلمة لا إله إلّا الله ويؤمن بها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيؤدي الفرائض كإقامة الصلاة والصوم وأداء الزكاء والحج فإنّ مات على ذلك دخل الجنة مع أول الداخلين ولا يدخل النار، وإلّا فإنّ من أراد أن يدخل الجنة دون أن يدخل النار فليصلّ لقوله (ﷺ) في الحديث الآخر مفتاح الجنة الصلاة.

الموعظة السابعة عشرة : (كُتِبَ عليكم الصيامُ)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم إنا نسألك بإنا نشهد أنّك أنت الله، لا إله إلّا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

الغاية في الأصل من فرض الصيام شأنه شأن الفرائض الإسلامية الأخر أن يكون عبادة روحانية أخروية. إلّا أنّ الإسلام يجمع دائمًا في كل تشريعاته بين الدين والدنيا، ففي الصيام مع أنّه عبادة فوائد كثيرة، فصيام شهر في السنة "هو ما ينصح به الطب الحديث، تقول أحدث نظريات علم الصحة: أنّه من الواجب، ولا سيما على المتقدمين في السن أن يصوموا يومًا في الأقل في كل أسبوع او أسبوعًا في كل شهر والأفضل شهرًا في كل عام ، إذ قد تبين أنّ الإنسان غالبًا ما يصاب ببعض البؤرات الصديدية التي تتكون داخل جسمه وتصبّ إفرازاتها السامة في الدم، ولا يشعر الإنسان بها إلّا إذا زاد ذلك الإفراز في الجسم ، فاذا الإنسان يمرض فجأة بأمراض قد يكون التسمم أقلها وقد عرف أن الصوم خير وسيلة لتجنب الإصابة بهذه البؤرات ؛ لأنّه عندما تقل المواد الغذائية في الجسم يبدأ الجسم في استهلاك أنسجته الداخلية، وأول ما يستهلكه منها الخلايا المصابة التي تكون قد ضعفت نتيجة الالتهاب، كما يذيب الصيام الأورام الصغيرة في أول تكوينها ويمنع تكوين الحصوات والرواسب الجيرية فيحللها أولًا بأول.

وفي ذلك يقول الدكتور روبرت بارتولو "لا شك في أنّ الصوم يعدّ من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات. كميكروب الزهري لما يتضمن من إتلاف للخلايا ثم إعادة بنائها من جديد.

وقد أُنشئت في العالم مصحات تجعل الصيام الوسيلة الأساسية للعلاج كمصحة الدكتور هنريج لاهمان ومصحة الدكتور مولر ومصحة الدكتور مرشر بنر وغيرها. ويقوم العلاج في هذه المصحات على التخلص من

الفضلات الزائدة عن حاجة الجسم التي ترهق الأعضاء، وإتاحة الفرصة للأعضاء الهاضمة من الأطعمة بأن تستريح قليلًا"[1].

وقد قال رسول الله (ﷺ) : صوموا تصحوا . رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

وقد خصّ الله الصيام من بين الفرائض الأخرى بأجر متميز، لذلك فضل الله شهر رمضان على بقية الأشهر حتى قال (ﷺ) : من أدّى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه ، ومن أدّى فيه نافلة كان كمن أدّى فريضة فيما سواه ، وفي الحديث القدسي قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به والصيام جنة (بضم الجيم أي مانع من اقتراف الإثم ومن دخول النار) فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (ويلفظ بما يستقبح التلفظ به) ولا يصخب (ويرفع صوته في الخصومة) فإنّ سابَّه أحد فليقل إني صائم إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم (وهو تغير رائحة الفم بسبب الجوع ، ويكون ذلك في آخر النهار) أطيب عند الله من ريح المسك (الذي هو أسمى أنواع العطور وأغلاها ثمنًا ، والمعنى: أنّ هذا الخلوف يعظم عند الله حتى يكون أطيب من ريح المسك بالنسبة إلينا ؛ ذلك أنّه ناشئ من عبادة حبيبة إلى الله تعالى) للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بلقاء ربه.

وقد اختلف العلماء في قوله (إنّه لي) مع كون جميع الطاعات لله تعالى فقيل : سبب إضافة الصوم إلى الله أنّه لم يُعبد أحد غير الله تعالى به فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبودًا لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بالصلاة والصدقة والذكر وغير ذلك ، وقيل لأنّ الصوم يبعد عن الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والجهاد والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة ، وقيل إنّ الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى فالعبد

([1]) الاسلام والعلم الحديث للاستاذ عبد الرزاق نوفل.

بالصيام يتقرب اليه بصفة من صفاته وإن كانت صفات الله لا يشابهها شيء ، وقيل لأنّ الله هو المتفرد بعلم مقدار ثوابه وعدد حسناته ، وقيل هي إضافة تشريف كقوله تعالى (نَاقَةُ اللّهِ).

وعلى أيّة حال فإن إضافة هذه العبادة إلى الله سبحانه يعدّ تعظيمًا لهذه الفريضة وتعبيرًا عن أنّ الله أعدّ للصائم ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر.

وفي رواية لمسلم : كلّ عمل لابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى: إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي ، أي : إلّا الصوم فإنّ الله يضاعف كل حسنة من حسناته إلى أكثر من سبعمائة ضعف.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: إنّ في الجنة بابًا يقال له الريّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد . رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وزاد: ومن دخله لم يظمأ (ولم يعطش) أبدًا. ورواه ابن خزيمة في صحيحه إلّا أنّه قال: فإذا دخل أحدهم أُغلق، من دخل شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا.

ورُوي عن نبي الله (ﷺ) قال: الصيام جنة وحصن حصين من النار. رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله (ﷺ) قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، ويقول الصيام أي رب (يا رب) منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان . رواه أحمد والطبراني في الكبير.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله تعالى إلّا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا (أي سبعين سنة). رواه البخاري ومسلم والترمذي.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض. رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت (وقيدت) الشياطين. رواه البخاري ومسلم.

وعنه أيضًا (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) ثلاثة لا تردُّ دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم.. رواه أحمد والترمذي وحسنه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:... ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أن رسول الله ذكر رمضان يفضله على الشهور فقال: من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه. رواه النسائي.

وهذا الحديث يؤيد رأي القائلين بأنّ صيام رمضان يكفر الذنوب الصغيرة والكبيرة كما ذهب إليه ابن منذر إلّا حقوق الناس.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قال : من أفطر من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه. رواه الترمذي واللفظ له وأبو داود والنسائي.

وعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي[1] فأتيا بي جبلًا وعِرا ، فقالا : اصعد، فقلت: إني لا أطيق، فقال: إنا سنسهله لك، فصعدتُ حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة ، قلت ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل

(1) تثنية ضبع، بسكون الباء وهو وسط العضد وقيل ما تحت الإبط.

النار (وعويلهم) ثم انطُلِق بي فإذا أنا بقوم معلقين (ومشدودين) بعراقيبهم وأقدامهم، مشققة أشداقهم (وأفواههم) دمًا قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم (أي: يفطرون قبل وقت الإفطار استهانة بالصيام) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حماد بن زيد ولا أعلمه إلّا رفعه إلى النبي (ﷺ) قال : عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهنّ أسس الإسلام من ترك واحدة منهنّ فهو بها كافر حلال الدم: شهادة ان لا إله إلّا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان. رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

ومن الناس من يسال عمن يصوم ولا يصلي، هل يقبل الله صيامه ويدخل الجنة من باب الريان كما وعد الله الصائمين؟

فالجواب: إنّ من صام ولم يصل لم يحاسبه الله يوم القيامة على الصيام ، ولم يسأله لِمَ لَمْ تصم ؛ لأنّه قد صام ، لكنه سبحانه يحاسبه على الصلاة ويسأله لِمَ لَمْ تصل، فإذا فرغ الله تعالى من عقابه على ترك الصلاة بدأ الله سبحانه بمجازاته على صيامه فيدخله الله الجنة من باب الريان كما وعد الله.

قال لي بعض النصارى أنّ الإسلام فرض الصيام لسبب اقتصادي لتقل نفقات المسلم المالية في هذا الشهر، فقلت له: لو سألت أيّ مسلم كان يصوم هو وعياله لأجابك بأنّ نفقاته تزداد كثيرًا في شهر رمضان بالقياس إلى نفقاته في الأشهر الأخرى ، كما أنّ عدد وجبات الطعام في رمضان لم تكن أقلّ ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يأكلون مرتين في اليوم ، في الغداة والعشي وكذلك الصائم في رمضان يأكل مرتين في الإفطار وفي السحور، وقد حث الرسول (ﷺ) على السحور، فقال عليه الصلاة والسلام: "تسحروا فإنّ في السحور بركة. رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وعن أنس بن

مالك ، قال عليه الصلاة والسلام "إنّ الله ملائكته يصلون على المتسحرين" رواه الطبراني وابن حبان عن ابن عمر (ﷺ).

وقال (ﷺ): لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر . رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وعن سهل بن سعد، وعنه قال (ﷺ) : لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها (طلوع) النجوم . رواه ابن حبان في صحيحه، وهذا ما تفعله اليهود ، وقال (ﷺ) : ثلاثة يحبها الله عز وجل : تعجيل الإفطار وتأخير السحور وضرب اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة . رواه الطبراني في الأوسط وفي الحديث: خيركم من أخَّر السحور وعجَّل الفطور.

وهنا يبدو يسر الإسلام ورحمته بالصائم ، فهو بعد أن فرض عليه الصيام أراد أن يخفف عليه القيام بهذه الفريضة بأن يؤخر من سحوره ويعجل من فطوره ؛ ليكون وقت الصيام أقصر ما يكون ، ومن رحمته أيضًاأنّه فرض على المرأة الحائض أن تفطر وتترك الصلاة ، وقد قال لي بعض الإخوة : إنّ زوجتي تقول لي : إنّها قادرة على الصيام والصلاة وإنّ الحيض لا يضعفها عن أداء هاتين الفريضتين ، فقلت: فرض الإسلام على الحائض الإفطار وترك الصلاة وعدم إعادتها ولم يخيّرها في ذلك رحمة بالمرأة الضعيفة ؛ لأنّه لو علمت بجواز الصيام والصلاة لصامت وصلَّت بدافع الغيرة ، أو بدافع الرغبة في اغتنام الأجر ؛ وإن علمت بأنّ ذلك يضرّ بصحتها الجسمية وحالتها النفسية ، فقد فرض الإسلام عليها أن تفطر أيام الحيض ؛ لأنّه هو أرحم بها من نفسها.

ومن دلائل رحمته لها أيضًا أنّه لم يأمرها بإعادة الصلاة التي أمرها بتركها أيام الحيض لئلّا يثقل عليها ذلك في كلّ شهر.

ويسنّ للصائم أن يفطر على تمرات لقوله (ﷺ) : إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنّه بركة فإن لم يجد فالماء فإنّه طهور ، وقد ذكر الأطباء

أنّ أول مادة أساسية يحتاج إليها جسم الإنسان عند إفطاره هو السكريات. وتتميز المادة السكرية في التمر أنّها تكون سريعة التمثيل وإنّ الجسم يمتصها في أقل من خمس دقائق فيرتوي بها الجسم وتزول أعراض نقص السكر الذي كان يعاني منه الصائم في أثناء صيامه في النهار، على حين أنّ المادة السكرية في الأطعمة الأخرى تكون بطيئة التمثيل قد تحتاج الأمعاء إلى ثلاث ساعات أو أربع لامتصاصها فتبقى عند الصائم بعد إفطاره أعراض النقض بالمادة السكرية ويمسي كمن لا يزال يواصل صومه وإن ملأ معدته بألوان الأطعمة ، كما أنّ البدء بالإفطار على تمرات يجعل الإنسان يحسّ بشيء من الشبع لسرعة امتصاص السكريات فيه ، حتى إذا فرغ من صلاته فإنّه لا يقدم على أكل إفطاره بشراهة فتسبب له التخمة واضطراب الهضم.

وثبت علميًّا أنّ التمر يحتوي على هرمونات تساعد على انبساط الرحم وتقلصه مما يسهل عملية المخاض والولادة ؛ ولهذا خاطب الله مريم عليها السلام لما جاءها المخاض بقوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] وهذا من إعجاز القرآن الكريم ؛ فقد تبين الآن السرّ في أمر الله لمريم وهي تعاني من آلام الوضع أن تأكل من تمر النخلة.

اللهم أعنا على صيام رمضان وقيام لياليه وشفعه فينا يوم الدين اللهم آمين.

الموعظة الثامنة عشرة : المتمسك بدينه في هذا الزمان

من فضل المؤمن عند الله : قال الله في الحديث القدسي: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إليّ بما افترضته عليه . رواه البخاري عن أبي هريرة (ﷺ).

وقال: عبدي المؤمن أحب إليَّ من بعض ملائكتي . رواه الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة (ﷺ).

وفي الحديث قال (ﷺ): لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم . وفي الحديث القدسي أيضًا قال الله تعالى: إنّ السموات والأرض ضعفت عن أن تسعني ووسعني قلب المؤمن.

والله سبحانه وتعالى يعامل المؤمن يوم القيامة معاملة تختلف عن معاملة الكافر والفاجر ، فقد جاء في الحديث الصحيح أنّ ما من عبد إلّا سيكلمه الله يوم القيامة منفردًا ليس معه أحد وليس له بينه وبين الله ترجمان ولا محامٍ يدافع عنه ، فإذا كان الرجل من المؤمنين يدنو ويقترب الله منه حتى يجعل كتفه على كتفه وينظر المؤمن عن يمينه فلا يرى إلّا الجنة وينظر عن شماله فلا يرى إلّا النار وينظر ما بين يديه فلا يرى إلّا ما قدم وأخر من الاعمال فيخاطبه الله سبحانه وتعالى فيقول له: يا فلان أما عملت في يوم كذا، كذا وكذا؟ فيذكره بذنوبه ذنبًا ذنبًا حتى يقول المؤمن يخاطب نفسه هلكت والله ، اذ يسمع الله يناديه يا عبدي فلان لقد سترتَ هذه العيوب على نفسك في الدنيا وأنا أسترها عليك اليوم في الآخرة فلا يعلم بها أحد، أمّا الكافر والفاجر والذي كان يعمل المعاصي ويجهر بها ويفتخر باقترافها ومات على ذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى يفضحه يوم القيامة على رؤوس الاشهاد والخلائق بأنّ فلانًا هذا قد فعل كذا وكذا ، وتعلق لوحة على أُسته، أسفل ظهره كتب فيها كل أعماله القبيحة ليقرأها الناس .

فضل الشاب التائب عند الله : للعبادة في الشباب فضل كبير عند الله لذلك حثنا رسول الله على اغتنام شبابنا في طاعة الله فقال : اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك . حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي.

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلّا ظله : إمام عادل ، وشاب نشا في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني أخاف الله عز وجلّ ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه . متفق عليه.

وعن معاذ بن جبل (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): لن نزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه . رواه البزار، والطبراني بإسناد صحيح. ففترة الشباب لعظم فضل العبادة فيها فإنّ الله سبحانه لا بدّ من ان يسأل كل عبد من عباده عن شبابه بايّ شيء قضاه في طاعته أم في معصيته. وعن ابن عباس (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: ياشباب قريش احفظوا فروجكم ، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة. رواه الحاكم والبيهقي. وفي رواية للبيهقي: يافتيان قريش لا تزنوا فإنّ من سلم له شبابه دخل الجنة، أي: سلم من معصية الله . قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: كُتب إلى عمر يا أمير المؤمنين: رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر (ﷺ): إنّ الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مفغرة واجر عظيم).

هذا ما ذكره ابن كثير في تفسير قول الله تعالى ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [سورة الحجرات: ٢٠٧/٤].

وقال ابن قيم الجوزية في عدة الصابرين : ((لذلك ورد في الحديث المسند عن النبي (ﷺ) قوله: عجب ربك من شابٍّ ليست له صبوة (أي: ليس

له ميل الى اللهو وإلى ما حرم الله على الرغم من أنّه شاب) لذلك استحق أن يكون من الأصناف التي يظلها الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلّا ظله

وجاء في الحديث النبوي : ما من شيء أحبُّ إلى الله تعالى من شابٍّ تائب ، وما شيء أبغض إلى الله تعالى من شيخ مقيم على معاصيه ، وفي الحديث القدسي ، قال الله تعالى : أيّها الشاب التارك شهوته من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي .

فضل العبادة وسط الفتن : عن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: بادروا (أسرعوا) بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا . رواه مسلم.

وقد جعل الرسول (ﷺ) ترك المعاصي، هجرة إلى الله فقال: الهجرة هجرتان هجرة الحاضر وهجرة البادي . رواه النسائي.

فقد قسم رسول الله (ﷺ) الذين يهجرون المعاصي على قسمين هجرة الحاضر، أي: هجرة الذي يسكن الحضر وهي المدن ، فذا أجره اعظم، وهجرة البادي الذي يسكن البادية فأجره أقلّ من الأول ؛ لأنّ الفتن في المدينة أكثر وأشد إغراء مما هي عليه في البادية أو في القرية ؛ ولذلك قال (ﷺ): وأمّا الحاضر فهو أعظمها بلية وأعظمها أجرًا ، وهذه هي تكملة الحديث المذكور الذي رواه النسائي. وقال (ﷺ): المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم . أخرجه الترمذي. وقال (ﷺ) : العبادة في الهرج كهجرة إلي، رواه مسلم والترمذي. ومعنى الهرج : كثرة القتل والفتن والمعاصي.

والحديث يعني أنّ الذي يهجر المعاصي وهي تحيط به أجره كأجر المهاجر بدينه، والمهاجر إلى الله ورسوله ، وهي حالة تشبه حالة المهاجرين من مكة إلى المدينة الذين فروا بدينهم وراموا الاعتصام بيثرب حيث ماوى رسول الله (ﷺ). فمن درس سيرة الرعيل الأول وعشق منزلتهم عند الله،

ومناقبهم، وتمنى لو خلق في زمانهم، وكان معهم يوم توجهوا إلى المدينة، فليهجر اليوم معاصي دنياه وأقرانه ويصبر على طاعة الله ويلوذ بالكتاب والسنة ؛ لأنّه لا هجرة بعدها لقوله (ﷺ) : لا هجرة بعد الفتح إلّا هجرة ما حرم الله ، فهي التي حلت محل هجرة الرعيل الأول تلك، فليتسلم اليوم المؤمن شابًّا وكاهلًا وشيخًا رايتها إذا تاقت واشتاقت نفسه أن يحشر مع المهاجرين الأولين يوم الدين، فالتارك ما نهى الله عنه، قد عدّه رسول الله (ﷺ) مهاجرًا، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، متفق عليه.

بل قد جعل رسول الله (ﷺ) هذه الهجرة التي جاءت من ترك المعاصي في سبيل الله أفضل شعب الإيمان والإسلام فعن عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن تسلم لله قلبك وأن يسلم المسلون من لسانك ويدك، قال: فأيّ الإسلام أفضل؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه والبعث بعد الموت، قال: فأيّ الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة، قال: وما الهجرة؟ قال أن تهجر السوء . رواه أحمد بإسناد صحيح. وعن مفضل بن يسار (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: عبادة في الهرج (اي: في أيام الفتن وظهور الخلاف بين الناس) كهجرة إلي (يعني أنّ ثواب هذا العمل في الهرج يعدل ثواب هجرة إلى رسول الله (ﷺ) وذلك حين كانت الهجرة إلى المدينة المنورة فريضة أو كانت أفضل الأعمال) هذا الحديث رواه مسلم.

العمل الصالح عند فساد الناس : عن ابي امية الشعباني، قال: قلت: يا ابا ثعلبة: كيف تقول في هذه الاية (عليكم انفسكم) قال اما والله، لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله (ﷺ) فقال: ائتمروا بالمعروف (أي: ليامر بعضكم بعضاً بجميل الافعال وحميد الخصال) وانتهوا عن المنكر (أي:

ابتعدوا عن المهلكات من الكبائر وكفوا انفسكم عن القبائح) حتى اذا رايت شحاً مطاعاً (أي: حتى اذا صار الناس شديدي البخل) وهوى متبعاً (أي: صار الناس يتبعون اهواء انفسهم ويطيعون شهواتها) ودنيا مؤثرة (أي: مفضلة ومقدمة على الآخرة) وإعجاب كل ذي رأي برأيه (أي: حتى إذا وجدتَ هذه الامور وآخرها ان كل انسان صار مستبداً برأيه، ولا تعجبه الا نفسه ويدعي انه هو الذي على الحق وغيره على الباطل) فعليك بنفسك (أي: الزم شان نفسك واجتهد فيما يصلحها) ودع عنك العوام (أي: اترك الاشتغال بامور العامة من الناس) فإن من ورائكم ايام الصبر (يعني: ستاتي من بعدكم فتن واحداث يحتاج معها المؤمن الى صبر كثير) الصبر فيهن مثل القبض على الجمر (يعني: ان ما يناله المؤمن من الاذى بسبب تمسكه بدينه يشق معه الصبر جداً حتى يكون مثل القبض على جمرة من نار باليد) للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله (يعني: ان العامل في هذه الايام بطاعة الله المتمسك بفرائض الله وسنة نبيه (ﷺ) له من الأجر على العمل مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل هذا العمل وذلك لمشقة العمل في هذه الايام التي يعود فيها الاسلام غريبا ويقل فيها النصراء على الحق). رواه ابن ماجه والترمذي، وابو داود وزاد، قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلاً منا او منهم. قال: بل أجر خمسين منكم.

وفي حديث آخر، قال (ﷺ): إنّ من ورائكم فتنًا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها (بدينه) مثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم، قيل بل منهم يا رسول الله قال: لا بل منكم ؛ لأنكم (يا أصحابي) تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون عليه أعوانًا . رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه.

والصبر نوعان، صبر على ما قدر الله من الفقر وفقدان الحبيب والمرض وغير ذلك ، والنوع الثاني هو الصبر على طاعة الله وعلى ترك معصيته ، وهذا الصبر أعظم وأكبر أجرًا من الأول وكلما اشتد ميل النفس

التي يملكها الإنسان للشهوات المحرمة كان صبر العزوف عنها أعظم وأكبر أجرًا

وقد عدّ الرسول (ﷺ) الصبر على طاعة الله نوعًا من الجهاد ، بل جعله أفضل أنواعه، قال: أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه . رواه ابن النجار، أي: هوى نفسه، والنفس لا تهوى إلّا ما حرم الله من الشهوات، وقد قال علي بن الحسين زين العابدين: إذا جمع الله الأولين والآخِرين ينادي مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ، قال فيقوم عنق من الناس (أي: طائفة من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين يا بني آدم فيقولون ذاهبون) إلى الجنة، فيقولون (أي تقول لهم الملائكة) وقبل الحساب؟ قالوا نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن الصابرون ، قالوا: وما كان صبركم؟ (أي: من أي أنواع هو) قالوا : صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله ، قالوا: أنتم كما قلتم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فضل العبادة في هذه الأيام : طاعة الله يزيد فضلها عند الله ويعظم أجرها اذا كانت طاعة من وراء الغيب فالله سبحانه وتعالى يؤجرنا على طاعته ؛ لأننا نطيعه وهو غيب عنّا لا نراه، ونعمل للجنة ونخشى النار ونؤمن بالملائكة وكل ذلك غائب عنا، لذلك عظم الله أجر الذين آمنوا بمحمد (ﷺ) وهم لم يروه ولم يشاهدوا معجزاته (ﷺ) فعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فذكرنا أصحاب النبي (ﷺ) وما سبقونا به فقال عبد الله : إنّ أمر محمد كان بيِّنًا (واضحًا) لمن رآه ، والذي لا إله غيره، ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ قوله تعالى ، أول سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الى قوله تعالى ﴿أُولئِكَ هُم المفْلحونَ﴾.

وعن ابن مجيريز قال: قلت لأبي جمعة حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله (ﷺ) قال: أحدثك حديثًا جيدًا، تغدينا مع رسول الله (ﷺ) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح (الذي جعله الرسول (ﷺ) أمين هذه الأمة) فقال: يا رسول الله هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك، وجاهدنا معك، قال نعم، قوم من بعدكم يؤمنون بي، ولم يروني.

وقد قال جماعة من الصحابة (رضي الله عنهم) للرسول (ﷺ): يا رسول الله ، هل من قوم أعظم منا أجرًا آمنّا بالله واتبعناك قال: ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي؟ (بل أفضل منكم) قوم (ياتون من) بعدكم يأتيهم كتاب الله من بين لوحين (غلافين) يؤمنون به ويعملون بما فيه، اؤلئك أعظم منكم أجرًا مرتين.

إنّ الصحابة (رضي الله عنهم) قد فازوا برؤية رسول الله (ﷺ) وسعدوا بلقائه، ونحن المؤمنين حاليًّا قد فزنا بمضاعفة أجرنا ؛ لأنّنا حرمنا صحبة سيد بني آدم في الآخرة وفي هذه الحياة ؛ فلأنّنا حرمنا رؤية أشرف خلق الله، وأبهى من ورد الربع محياه ، فقد قال النبي (ﷺ) : طوبى لمن رأني وآمن بي (يقصد بهم صحابته الذين رأوه وآمنوا به) وطوبي لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات، حديث صحيح، ويقصد بهم من ياتون من بعدهم ونحن منهم، وقال (ﷺ) طوبي لمن رأني وآمن بي (وهم صحابته) وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني . حديث صحيح، ونحن منهم بعون الله تعالى.

وقال (ﷺ) : طوبي لمن رآني وآمن بي مرة وطوبي لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات . حديث صحيح. وطوبي كما قال عليه الصلاة والسلام: شجرة في الجنة يسير الراكب على فرس في ظلها مئة عام لا يقطعها، وذلك لعظم هذه الشجرة فيها ما تشتهي الأنفس من الفواكه والأثمار.

وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله : (ﷺ) بدأ الاسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء. أخرجه مسلم. وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنّه أتى المقبرة (مقبرة أهل المدينة) فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددتُ (أحببتُ) أنَّا قد رأينا إخواننا (ويعني بهم من لم يرهم وهم الذين يأتون من بعده ونحن من ضمنهم فقد جعلنا رسول الله (ﷺ) إخوانه) قالوا: أَوَلسنا نحن إخوانك يا رسول الله ، قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، قالوا: كيف تعرف من لم يأت من أمّتك يا رسول الله؟ قال: أرأيتم (أي: أخبروني) لو أنّ رجلًا له خيل غُرٌّ محجلة (أي: له خيل بيض الوجوه وبيض الأقدام موجودة بين) ظهري خيل دهم (سوداء ليس فيها أيّة شعرة بيضاء) ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: فإنّهم يأتون غُرًّا محجلين (بيض الوجوه والأيدي والأقدام) من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض (أي: وأنا أتقدمهم على الحوض وهو حوض الكوثر) رواه مسلم وغيره،

وفي هذا المكان يقف رسول الله (ﷺ) أمام الحوض فيرى من بعيد زمرًا عديدة يعرفهم أنّهم من أُمَّته فيناديهم أنْ هلموا إلى حوضي فيقف ملك يحول بينهم وبينه، فيمنعهم من الوصول إلى الحوض، ويتوجه بهم إلى النار، فيسأله رسول الله (ﷺ) ما شأنهم؟ هؤلاء من أَمَّتي، فيقول له الملك، يا محمد أنّك لا تدري ما أحدثوا من بعدك، فقد غيّروا وبدّلوا ، يقول عليه الصلاة والسلام أنّه يرى جماعات كثيرة من أُمته يُذهب بها الملك إلى جهة النار، ولا يصل إلى حوضي منهم إلّا القليل، ولهذا فإنّ رسول الله (ﷺ) كان يحذر صحابته من هذا اليوم، فيقول لهم: إني لا أريد أحدًا منكم يأتيني يوم القيامة وقد اشتدتْ حوله المحن، فيناديني يا محمد أغثني، فأقول: لقد بلَّغْتُ، إنّي لا أملك من الأمر شيئًا.

الموعظة التاسعة عشرة : من بواكير السيرة النبوية

كان اليهود يظنون أنّ النبي الذي بشرهم به موسى عليه السلام سيكون من بني إسرائيل ؛ لذلك كانوا يقولون للمشركين من العرب أنّه سيظهر نبي وسنكون أنصاره، وسوف نقضي معه على دينكم وعبادتكم للأصنام، فلما كان من العرب انقلبوا على أعقابهم فكفروا بالرسول(ﷺ).

اسم محمد (ﷺ) : لا يعرف عند العرب من تسمى باسم (محمد) قبل الرسول (ﷺ) إلّا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد (ﷺ) وبقرب زمانه وأنّه يبعث في الحجاز أن يكون ابنه هو هذا النبي الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام، وهم محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن أميمة بن الجلاح، ومحمد بن جران بن ربيعة ، وقد كان آباء هؤلاء الثلاثة قد نزلوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من العلم المكتوب في كتب السابقين، فأخبرهم بمبعث النبي (ﷺ) وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملًا فنذر كل واحد منهم، إن ولدت زوجته ذكرًا أن يسميه (محمدًا) ففعلوا ذلك.

عصمة الله له في طفولته (ﷺ) : تحدث رسول الله (ﷺ) عن نفسه عن عصمة الله له في طفولته فقال (ﷺ) ما معناه: كما ورد ذلك في كتب السيرة أنّه أراد في ليلة من الليالي أن يلهو كما يلهو غلمان مكة، فسمع مع أصدقاء له صوت غناء من دار فسأل ما هذا؟ فقيل له: هذا عرس فلان من فلانه فقال (ﷺ) حتى إذا اقتربتُ من الدار وجلستُ لأسمع لهوهم وطربهم إذ ضرب الله على أذني فنمت ولم يوقظني إلّا حرُّ الشمس صباحًا، ثم أراد أن يفعل مثل ذلك في ليلة أخرى فحدث له ما حدث في المرة الأولى ، فقال عليه الصلاة والسلام فلم أهمّ بعد ذلك بمعصية.

وورد في الحديث الصحيح أنّه حين أرادت قريش بناء الكعبة وكان رسول الله (ﷺ) ينقل الحجارة إليها كما كان يفعل بقية الغلمان، وكانوا

يجعلون أزرهم على عواتقهم [1] لتقيهم الحجارة وكان رسول الله (ﷺ) يحملها على عاتقه وإزاره مشدودة عليه، فقال له عمّه العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) يا ابن أخي لو جعلتَ إزاركَ على عاتقك، ففعل فتعرّى وكشف عن بطنه وساقيه ، فسقط مغشيًّا عليه، فعندما أفاق أخذ يقول: إزاري إزاري فشدّ عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة على عاتقه ، أمّا أأصدقاؤه من الغلمان فكل منهم قد تعرّى ووضع إزاره على عاتقه ، وفي حديث آخر أنّه لمّا سقط ضمّه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره أنّه لمّا تعرّى نودي من السماء: اشدُدْ عليك إزارك يا محمد، وفي سيرة ابن هشام: وكان رسول الله (ﷺ) فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه في صغره وأمر جاهليته أنّه قال: لقد وجدتُ نفسي في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الصبيان فكلنا قد تعرّى، وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فإنّي كنت أقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال لي شُدَّ عليك إزارك قال: فأخذته وشددته عليَّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليَّ من بين أصحابي وأصدقائي من الغلمان.

قصة بَحِيرَى الراهب مع رسول الله (ﷺ) : لمّا بلغ رسول الله اثنتي عشرة سنة ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام حتى وصل بُصرى ، وهي معدودة من الشام ، وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان، وكان في هذا البلد راهب عرف ببَحيرى، واسمه فيما يقال، جرجيس، فلمّا نزل الركب الذي كان فيه الرسول(ﷺ) خرج إليهم هذا الراهب، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يتخللهم يمشي بين صفوفهم، كأنّه يريد أن يبحث عن واحد منهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله(ﷺ) وقال هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين،

(١) أزرهم : جمع إزار وهو ما يغطي الجزء الأسفل من الجسم والعواتق : جمع عاتق وهو ما بين الرقبة والكتف

فقال له أبو طالب، وأشياخ قريش، وما علمك بذلك؟ فقال: إنّكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلّا خرَّ ساجدًا، ولا يسجدان إلّا لنبي، وإنّي أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وإنَّا نجده في كتبنا، وفي سيرة ابن هشام أنّ أبا طالب لمّا أراد أن يخرج بتجارة إلى بلاد الشام وتهيَّأ للسفر تعلَّق به رسول الله(ﷺ)، فحنّ إليه أبو طالب ولبَّى طلبه، وقال والله لأخرجنّ به معي، لا أفارقه ولا يفارقني، وكان في أثناء طريقهم إلى الشام راهب يقال له بحيرى يتعبد في صومعة له، وكان عنده علم من الكتاب، وينتهي إليه علم النصرانية، وكانت قريش كثيرًا ما تمرّ بالراهب بحيرى ولا يهتم بهم إلّا أنّه رأى وهو في صومعته رسول الله(ﷺ) وهو في الركب حين أقبلوا غمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، ومالت وتدلت أغصانها على رسول الله(ﷺ) حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ثم أرسل إليهم فقال : إنّي قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحبّ أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إنّ لك لشأنًا اليوم فما كنت تصنع هذا من قبل بنا، وقد كنا نمر بك كثيرًا فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى صدقتَ قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله من بين القوم لصغر سنة في رحال القوم تحت الشجرة ، فلمّا نظر بحيرى في القوم لم ير رسول الله(ﷺ) بالصفة التي عرفه بها، فقال يا معشر قريش، لا يتخلفنّ أحد منكم عن طعامي، قالوا له يا بحيرى ما تخلّف عنك أحد ينبغي له أن ياتيك إلّا غلام وهو أصغر القوم سنًّا فتخلف في رحالنا فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، قال: فقال رجل من قريش من بين القوم واللات والعزى إنّه من اللؤم أن يتخلف

ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

وكتب السيرة تذكر أنّ الرسول (ﷺ) مرّ بصحبة عمه أبي طالب بالراهب بحيرى مرتين، وأنّه في هذه الرواية كان طفلًا صغيرًا ؛ يدلّ على ذلك أنّه استطاع رجل من قريش أن يحتضنه ويجلسه مع القوم، فلمّا رآه بحيرى جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى ، فقال له يا غلام: أسألك بحق اللات والعزى أن تخبرني عما أسألك عنه، وإنّما قال له بحيرى ذلك ؛ لأنّه سمع قومه يحلفون بهما ، واللات والعزى صنمان كانت قريش تعبدهما، فقال له الرسول (ﷺ) :لا تسألني باللات والعزى فو الله ما أبغضتُ شيئًا قط بغضهما، فقال له بحيرى أسألك بالله أن تخبرني عما أسألك عنه، فقال له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيأته وأموره فجعل رسول الله (ﷺ) يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ثم نظر إلى ظهره فراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده، قال ابن هشام، وكان مثل أثر المحجم (يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم ، وفي الخبر أنّه كان حول الخاتم خيلان فيهما شعرات سود) قال ابن اسحاق: ثم أقبل الراهب بحيرى على عمّه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرى، ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي ، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حبلى به ، قال صدقت، ثم قال بحيرى لأبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من كيد يهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليوقعن به شرًّا، فإنّه كائن لابن أخيك هذا شان عظيم فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

وهذه الرواية ، وإن قال عنها الذهبي ما قال ، فإنَّها وردت في حديث أخرجه الترمذي في المناقب ، وأبو نعيم في الدلائل ، والطبري في تاريخه ، والبيهقي في دلائل النبوة ، والحاكم في المستدرك ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وقال ابن حجر في الإصابة : رجاله ثقات ، ومال الألباني إلى تصحيحه ، هذا ما ذكره الشيخ فؤاد بن علي حافظ ، في هامش السيرة النبوية (١/١٣٣).

وكانت خديجة (رضي الله عنها) تذكر لابن عمّها ورقة بن نوفل وكان نصرانيًّا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس فكانت تذكر ما يذكره لها غلامها ميسره من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظللانه، وتذكر له علامات أخرى تلحظها في رسول الله (ﷺ) فقال لها ورقة : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة فإنّ محمدًا لنبي هذه الأمّة، حتى إنّه كان يتمنى لو أدرك مبعث محمد (ﷺ) فكان يترقب وينتظر ذلك اليوم، وقد عرف من خلال ما تعلم من كتب الإنجيل والتوراة أنّه كائن لهذه الامة نبي ينتظر العالم باسره ظهوره وإنّ هذا الزمان زمانه، فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول حتى متى فقال ورقة في ذلك شعرًا، منه هذان البيتان:

لججتُ وكنتُ في الذكرى لَجوجا لهمٍّ طالما بعثَ النشيجا
ووصفٌ من خديجة بعد وصفٍ فقد طال انتظاري يا خديجا

ابن نفيل : قبل مبعث النبي (ﷺ) خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب الدين الصحيح، الذي هو دين إبراهيم، فأخذ يسأل الرهبان من النصارى والأحبار علماء اليهود: حتى جال الجزيرة كلها والموصل، ثم أقبل فجال الشام كافة حتى أتى إلى راهب يتعبد الله في أرض مرتفعة من أرض البلقاء، مدينة قريبة من دمشق كان ينتهي إليه علم النصرانية فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له : إنّك تطلب دينًا ما أنت بواجد من يحملك عليه

اليوم ولكن قد طلّ زمان نبي يخرج من بلادك، مكة التي خرجت منها يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق وارجع إلى بلادك، فإنّه مبعوث الآن هذا زمانه .

وقد كان قد درس النصرانية واليهودية فلم يرض شيئًا منهما، فخرج سريعًا حتى قال له ذلك الراهب ما قال، فخرج منه يريد مكة حتى إذا صار قريبًا منها خرج إليه قوم فقتلوه.

وعن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) أنّ ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب، وهو ابن عمّه قالا لرسول الله :(ﷺ) استغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم فإنّه يبعث أُمَّة وحده.

مبعثــه (ﷺ) : قال ابن اسحاق: إن رسول الله (ﷺ) حين أراده الله سبحانه أن يبعثه رسولًا للعالمين كان عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه إذا خرج يريد أن يقضي حاجته ابتعد عن البيوت حتى يصير في شعاب مكة وأوديتها، فلا يمرّ رسول الله (ﷺ) بحجر ولا شجر إلّا قال السلام عليك يا رسول الله، قال: فيلتفت رسول الله (ﷺ) حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلّا الشجر والحجارة، فمكث رسول الله (ﷺ) كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل عليه السلام وهو في غار حراء في شهر رمضان ، وكان رسول الله (ﷺ) قبل مبعثه يخرج من مكة في كل سنة مرة، يذهب إلى غار حراء يبقى فيه شهرًا ، ويأخذ معه ما تيسر له من طعام، وكان وهو في غار حراء يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى رسول الله (ﷺ) شهره في هذا الغار الذي كان يفكر فيه في أمر الله وعباده وشأن قومه الضالين الذين يعبدون الأصنام فإذا رجع من الغار كان أول عمل يقوم به أنّه يذهب الى الكعبة ويطوف بها سبعًا او أكثر ثم يرجع إلى بيته.

وكان (ﷺ) يصطحب معه زوجته خديجة (رضي الله عنها) وفي آخر شهر من كل سنة ذهب إلى الغار ولم يأخذ معه خديجة (رضي الله عنها) وكان شهر رمضان، فبينا هو في الغار يفكر في أمر الخالق والمخلوق نزل

عليه جبريل عليه السلام ، يقول عليه الصلاة والسلام أنه بينما كان نائمًا في غار حراء إذ جاءه جبريل ومعه كتاب فقال له: اقرأ فقلت له: ما أقرأ؟ أيّ شيء أقرأ؟ وفي رواية: فقلت: ما أنا بقارئ أي أنا رجل أُمّي لا أعرف القراءة والكتابة، قال: فضمني إليه ضمة قوية حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال لي: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال فضمني مرة ثانية حتى ظننت أنّه الموت، ثم أرسلني فقال لي: اقرأ قلت ما أقرأ؟ أيّ شيء أقرأ؟ فضمني إليه مرة ثالثة حتى ظننت أنّه الموت ثم أرسلني، فقال اقرأ، قال: قلت ماذا أقرأ؟ فقال لي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥].

قال: فقرأتها، ثم انتهى فانصرف عني وهَبَبْتُ من نومي، فكأنّما كُتبت في قلبي كتابًا، قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال: فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلّا رأيته كذلك ، فما زلتُ واقفًا ما أتقدم وما أتأخر وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رضي الله عنها رسلها في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عنّي، وانصرفتُ راجعًا إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة فجلستُ إلى فخذها، فقالت: يا أبا القاسم اين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي، ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن عم ، واثبت فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، أي: تحجبت حجابا كاملًا ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمّها، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرتْه بما أخبرها به رسول الله (ﷺ) أنّه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس

و (معنى الناموس: صاحب الملك، وقال بعضهم هو صاحب الخبر الأكبر الذي كان يأتي موسى، قال موسى ولم يقل عيسى ؛ لأنّ عقيدة النصرانية انذاك والى يومنا هذا تقول بأنّ عيسى ابن الله، أي أنّه لم ينزل عليه جبريل كما نزل على موسى وعلى من قبله من الرسل) ثم قال لها ورقة وإنّه نبي هذه الأمة فقولي له فليثبت، فرجعت خديجة إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرتْه بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن أخي (وهذه تحية كان يقولها وتتخاطب بها العرب ولا يعني هذا أنّ ورقة كان عم رسول الله (ﷺ)) فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله (ﷺ) فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنّك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، وأنّ قومك سوف يكذبونك ويقاتلونك ويخرجونك من بلدك، ثم قال له ورقة بعد ذلك ليتني كنت جذعًا (أي: شابًّا) ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك فقال رسول الله (ﷺ) أَوَمُخرجيّ هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط قبل ما جئت إلّا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ثم قرَّب رأسه منه فقبَّل يافوخ رسول (ﷺ) أي قبَّل وسط رأسه.

وقال ابن اسحاق عن خديجة (رضي الله عنها) أنّها قالت لرسول الله (ﷺ) : يا ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله (ﷺ) لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني ، وكانت خديجة (رضي الله عنها) قد غطت رأسها بخمار، كما تفعل عند مقابلة الأجانب، فقالت لرسول الله (ﷺ) لما جاءه جبريل قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى ، قال فقام رسول الله (ﷺ) فجلس على فخذها اليسرى، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت فتحوّل فاجلس على فخذي اليمنى، قالت فتحوّل رسول الله (ﷺ) فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم قالت

لـه: تحوّل واجلس فـي حجري، قالت فتحوّل رسول الله فجلس فـي حجرها قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال، فتحسرت، أي: نزعت خمارها وكشفت عن رأسها ورسول الله (ﷺ) جالس في حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنّه لملك وما هو بشيطان.

الموعظة العشرون : سلمان الفارسي(رضي الله عنه) قصته التي عجب لها الرسول(ﷺ) :

عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) قال حدثني سلمان الفارسي وأنا أسمع من فمه قال سلمان: كنت فتى فارسيًّا من أهل أصبهان (وهي مدينة من بلاد فارس، تقع اليوم وسط ايران بين طهران وشيراز) وكان ابي دهقان القرية (أي: رئيسها ويملك ثروة كبيرة وأراضي واسعة فكان أغنى أهل القرية وأعلاهم منزلة) وكنت أحبَّ خلق الله إليه ما زال حبه لي يشتد ويزداد على الأيام حتى حبسني في البيت خوفه عليَّ كما تحبس الفتيات، وقد اجتهدتُ في المجوسية حتى غدوتُ قيِّم النار التي كنّا نعبدها وأنيط بي أمر إضرامها، أي وكل اليّ أن أجعلها تستمر في اشتعالها حتى لا تخبو ساعة في ليل أو نهار، وكان لأبي ضيعة (بستان) عظيمة تدرّ علينا أثمارًا وأموالًا كبيرة، وكان أبي يقوم عليها ويجني ما فيها من أثمار وفواكه وخضراوات ، فشغل في بنيان له في يوم من الأيّام، فقال لي، يا بُنَي: إنّي قد شُغلتُ في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب اليها ولا تتأخر عنّي فإنّك إن تأخّرتَ عنّي كنتَ أهمّ إلي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري، قال: فخرجتُ أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إيّاي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلمّا رأيتهم أعجبني صلاتهم ورغبتُ في دينهم وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم

أذهب إليها، ثم قلت لهم : اين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلمّا جئته، قال: يا بُنَي أين كنت؟ أَوَلَمْ أكن عهدتُ إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت: مررتُ بِأُناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فو الله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس، قال يا بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه؛ فجعل في رجلي قيدًا من حديد ثم حبسني في بيته ، وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم (والمقصود بالركب جماعة المسافرين الذين يركبون وسائط من وسائط النقل والسفر) قال: فقدم عليهم بعد قليل ركب من الشام، تجار من النصارى، فأخبروني بهم فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فأعلموني بهم، قال فلما أردوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد بحيلة من الحيل من رجلي ثم خرجتُ معهم سرًّا مختفيًا حتى قدمتُ الشام، فلمّا قدمتها، قلت: مَن أفضل أهل هذا الدين علمًا؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة قال: فجئته فقلت له: إني قد رغبتُ في هذا الدين فأحببتُ أن أكون معك أخدمك في كنيستك، فأتعلّم منك وأصلي معك، قال: ادخل فدخلت معه، قال: وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا اليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه ولم يعط المساكين والفقراء حتى جمع سبع قلال (أي: سبع جرات كبيرة) من ذهب وورق (والورق: الفضة) قال: فابغضته بغضًا شديدًا ثم مات، فاجتمعتْ إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئًا، قال: فقالوا لي، وما أعلمك بذلك؟ قال لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا فَدُلّنا عليه، قال: فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وفضة قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا، قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه، قال: يقول سلمان: فما رايتُ رجلًا مثله في تقواه وزهده وعبادته

وكثرة رغبته في أجر الآخرة ممن كانوا يعيشون في ذلك الزمان قال: فأحببته حبًّا لم أحبّ أحدًا قبله مثله، قال: فاقمتُ معه زمانًا طويلًا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إنّي قد كنت معك واحببتك حبًّا لم أحبّه شيئًا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بُنَي، والله، ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنتُ عليه، فقد هلك الناس وبدلوا دينهم الصحيح وتركوا أكثر ما كانوا عليه من الحق إلّا رجلًا بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به قال: فلمّا مات ودفن لحقتُ بصاحب الموصل، فقلت له : يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنّك على أمره ، فقال لي: أقم عندي، فأقمتُ عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بُني، والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنّا عليه إلّا رجلًا بنصيبين وهو فلان فالحق به (ونصيبين مدينة تقع ما بين النهرين، وهي مدينة من مدن تركيا في الوقت الحالي) فلما مات ودفن لحقتُ بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبه فقال: أقم عندي، فاقمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فو الله مالبث أن نزل به الموت فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إنّ فلانًا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك، قال: فقلت له : إلى من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال يا بُنَي والله ما أعلم أحدًا بقي على مثل ما نحن عليه آمرك أن تأتيه إلّا رجلًا بعمورية من أرض الروم (وهي مدينة بيزنطينية كانت من مدن بلاد الروم في ذلك الوقت، تقع في آسيا الصغرى فتحها المسلمون في خلافة المعتصم) قال: فلما مات ودفن لحقتُ بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال: أقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم، قال: ثم نزل به أمر الله

تعالى، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إنّي كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبمَ تأمرني؟ قال يا بُنَي والله ما أعلم أحدًا أصبح اليوم على مثل ما كنّا عليه آمرك به أن تأتيه (أي: خلتِ الدنيا من رجل صالح يعتمد عليه) ولكنه قد أطلَّ زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجرًا إلى أرض بين حرَّتين بينهما نخل (والحرة أرض تكسوها حجارة سود كأنّها أُحرقتْ بنار) به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات ودفن ومكثتُ في عمورية ما شاء الله أن أمكث ثم عملتُ بعمل وكسبتُ بقرات وغنيمات ثم مرَّ بي نفر من قبيلة كلب، تجار، فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيماتي ، قالوا: نعم فأعطيتهم ايّاها، وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى (واد قريب من المدينة) ظلموني فباعوني من رجل يهودي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عمٍّ له من بني قريظة من المدينة فاشتراني منه، وأخذني معه إلى المدينة، فو الله حين رأيتها عرفتها بالصفة التي وصفها لي صاحب عمورية ، فأقمت بها: ثم بُعِث رسول الله (ﷺ) فأقام بمكة لا أسمع عنه شيئًا ؛ لأني كنت مشغولًا بعبوديتي لهذا اليهودي، ثم هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، فو الله إنّي كنت فوق غصن من آغصان نخلة لسيدي أعمل له بعض العمل وسيدي اليهودي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عمٍّ له حتى وقف عليه فقال: يا فلان: قاتل الله بني قيلة ، والله إنّهم الآن مجتمعون على رجل نزل بقباء. (وهي قرية قريبة من المدينة أصبحت جزءا من المدينة اليوم) ومزدحمة عليه يزعمون أنّه نبي وهم قبيلتا الأوس والخزرج ، قال سلمان: فلما سمعتُ هذا الكلام أخذتني رجفة شديدة، حتى ظننتُ أنّي سأسقط على سيدي، فنزلتُ عن النخلة فجعلتُ أقول لابن عم سيدي اليهودي: ماذا تقول؟ ماذا تقول: ما الخبر؟ فغضب علي سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا الرجل؟

أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء ، إنّما أردتُ ان أستفسر عمّا قال ، وقد كان عندي شيء من الطعام قد جمعته (تمر) فلمّا أمسيت، أي: حلّ المساء أخذتُ الطعام ثم ذهبتُ به سرًّا من غير إذن سيدي وعلمه ، ذهبتُ به إلى رسول الله (ﷺ) وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنّه قد بلغني أنّك رجل صالح ومعك أصحاب غرباء ذوو حاجة وهذا شيء من الطعام قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال فقربته إليه ، فقال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال: قلتُ في نفسي هذه واحدة، هذه هي العلامة الأولى من علامات نبوته التي أخبرني بها صاحب عمورية ، ثم رجعتُ إلى بيت سيدي اليهودي، وعدتُ مرة ثانية إلى الرسول (ﷺ) في الغداة، أحمل طعامًا (تمرًا) وقلت له (عليه الصلاة وسلام): إنّي رأيتك لا تاكل الصدقة، وقد كان عندي شيء من الطعام أحبّ أن أكرمك به هدية، ووضعته بين يديه، فقال لأصحابه، كلوا باسم الله، وأكل معهم، فقلت في نفسي هذه والله العلامة الثانية من علامات نبوته (ﷺ) إنّه يأكل الهدية، ثم رجعت الى بيت سيدي اليهودي فمكثتُ ما شاء الله ثم جئتُ رسول الله (ﷺ) وهو ببقيع الغرقد (مقبرة في المدينة) حيث كان يواري أحد أصحابه من الأنصار ورأيته جالسًا وعليه شملتان أي: رداء وإزار، فسلمتُ عليه ثم دُرْتُ حوله أنظر إلى ظهره لعلّي أرى الخاتم الذي وصفه لي صاحبي في عمورية ، فلما رآني النبي (ﷺ) أنظر الى ظهره ، عرف غرضي فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرتُ فرأيتُ الخاتم فعرفتُه أنّه هو الحبيب الذي طالما بحثتُ عنه طوال عمري ومنذ نعومة أظفاري ، ها هو الحبيب الذي طالما اشتقتُ أن أراه وألتقي به ، وها أنذا اليوم قد ظفرتُ به، قال: فبعد أن عرفتُه انكببتُ عليه أَضُمُّهُ إلى صدري أُقَبِّلُهُ وأبكي، فقال رسول الله (ﷺ) ما خبرك؟ اذكر لي قصتك، فقصصت عليه قصتي فأُعجب بها وسره أن يسمعها مني صحابته رضي الله عنهم فأسمعتهم إيّاها فعجبوا بها أشدّ العجب وسرّوا بها أعظم السرور ثم أمرني رسول الله (ﷺ) أن اشتري نفسي من سيدي اليهودي وأتحرر منه فقال لي (ﷺ): كاتِبْ سيدك بالثمن الذي يريده وكان ثلاثمئة نخلة أغرسها له وتثمر وأربعين أوقية من الذهب فقدَّم لي رسول (ﷺ) قطعة

من الذهب كان يملكها فوزنها فكانت أربعين أُوقية كما طلب اليهودي ، ثم قال (ﷺ) لأصحابه ساعدوا أخاكم في غرس النخل فكل منهم جاء بعدد من النخل فغرس الرسول (ﷺ) ثلاثمئة نخلة بيده الكريمة ، يقول سلمان رضي الله عنه : فقد أثمرت جميع النخل التي غرسها رسول الله في العام نفسه ثم بعد ذلك دفع سلمان هذه الفدية التي طلبها منه سيده فحرر نفسه وقد غاب سلمان (رضي الله عنه) عن المشاركة في غزوة بدر وأُحد ؛ لأنه كان تحت الأسر والعبودية وبعد أن حرر نفسه شارك مع رسول الله (ﷺ) الغزوات كلّها وكان هو الذي أشار إلى رسول الله (ﷺ) بحفر خندق حول المدينة لمّا أجمع المشركون بعد معركة أُحد لغزوها فواجهوا الخندق فلم يستطيعوا دخول المدينة فرجعوا خائبين.

وقد اختصم المهاجرون والأنصار فيه، فقال الأنصار سلمان منّا ، وقال المهاجرون سلمان منا، ففضَّ رسول الله (ﷺ) النزاع بينهم بقوله: سلمان منا آل البيت .

فسلام عليك يا سلمان يوم وُلِدْتَ ويوم هاجرتَ مغنى صباك تبحث عن الدين الحق، وسلام عليك يوم توجهت الى جزيرة العرب تبحث عن رسول الله (ﷺ) وسلام عليك يوم التقيتَ بخير خلق الله كلهم ، وسلام عليك يوم متَّ وسلام عليك يوم تُبْعَثُ حيًّا.

الموعظة الحادية والعشرون : من مناقب السيرة النبوية

سراقة وسواري كسرى : يوم بُعث الرسول (ﷺ) كان هناك امبراطوريتان كبيرتان، الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية ، أمّا العرب في الجزيرة العربية فلم تكن لهم دولة، بل كانوا قبائل عربية متفرقة وكان بعضها خاضعًا أو عميلًا للفرس وبعضها خاضعًا أو عميلًا للروم.

ولما هاجر الرسول (ﷺ) مختفيًا متوجهًا إلى يثرب التي سميت فيما بعد المدينة المنورة، ولمّا لم يفلح المشركون في العثور عليه ، عليه الصلاة والسلام ، عرضوا جائزة مقدارها مئة من كرائم الإبل ، وكان سراقة بن مالك

المدلجي في ناد من أندية قومه في قُديد قريبًا من مكة، فإذا برسول من رسل قريش يدخل عليهم ويذيع فيهم نبأ الجائزة الكبرى التي بذلتها قريش لمن يأتيها بمحمد حيًّا او ميتًا ، فلما سمع سراقة بهذه الجائزة ، لبس درعه وتقلّد سلاحه وامتطى صهوة فرسه وخرج من مكة مسرعًا يشتد سيره ليدرك محمدًا (ﷺ) قبل أن يأخذه أحد سواه ويظفر بجائزة قريش، كان سراقة بن مالك فارسًا من فرسان قومه المعدودين طويل القامة عظيم الهامة (الرأس) بصيرًا باقتفاء الاثر، صبورًا على أهوال الطرق، وكانت فرسه من عتاق الجياد.

وبعد خروج الرسول (ﷺ) ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) من الغار، اتخذ لهما دليلًا، ثم مضى سراقة يطوي الأرض طيًّا يبحث عنهم حتى أدركهم، فلما اقترب منهم غاصت قوائم فرسه في الرمال فتشاءم منها، ثم نهضت وسار بها حتى إذا اقترب منهم غاصت هذه المرة قوائم فرسه في الرمال أكثر من ذي قبل، فالتفتَ إلى الرسول وصاحبه وقال بصوت خاشع ذليل ادعوَا لي ربكما أن يطلق قوائم فرسي ولكما علَي أن أكفّ عنكما ولكما زادي ومتاعي وسلاحي ، فقالا له لا حاجة لنا بزادك ومتاعك ، ولكن ردّ عنا الناس ثم دعا له الرسول (ﷺ) فانطلقت فرسه ، فلما هم بالعودة ناداهما قائلًا، تريثا أكلمكما، والله لا يأتيكما شيء تكرهانه، فقالا له ما تبتغي منا؟ فقال: والله يا محمد إنّي لأعلم أنّه سيظهر دينك ويعلو أمرك فعاهدني إذا أتيتك ، وأنت قد انتصرت وظهر ملكك أن تكتب لي، الأمان فأمر الرسول (ﷺ) الصديق أن يكتب له على لوح من عظم ودفعه له، ولما هم بالانصراف قال له النبي (ﷺ): كيف بك يا سراقة اذا لبستَ سواري كسرى؟ وقد كان وقتئذ ملك الملوك، إمبراطور اكبر إمبراطورية في العالم، وهي الإمبراطورية الفارسية، والرسول (ﷺ) الآن رجل ليس له وطن ولا بيت ولا أهل ولا مال بل هو مطارد من قومه، فلما سمع سراقة بهذا الوعد بهذه الجائزة عجب لهذا الكلام، فقال له سراقة بدهشة : كسرى بن هرمز؟ كسرى ملك دولة الفرس؟ فقال (ﷺ) نعم: كسرى بن هرمز.

عاد سراقة أدراجه، فوجد الناس قد أقبلوا يبحثون عن رسول الله (ﷺ) ليفوزوا بالجائزة، فقال لهم ارجعوا فقد بحثت عنه في هذه الأرض في كلّ مكان فلم أجد له أثرًا، ثم كتم خبره مع رسول (ﷺ) .

ثم بقى رسول (ﷺ) في المدينة حتى دخل مكة فاتحًا لها فجاء إليه سراقة ومعه العهد الذي كتبه له قبل عشر سنوات فقال يا رسول الله أنا سراقة بن مالك، وهذا كتابك لي فقال له الرسول (ﷺ) : يا سراقة أُدن مني اقترب مني هذا يوم وفاء وبرّ، إني سأوفي بالعهد الذي كتبته لك وأبرّك وأحسن إليك كما وعدتك يقول سراقة ، فأقبلتُ عليه وأعلنتُ إسلامي بين يديه ونلتُ من خيره وبرّه، ولم يمض على لقاء سراقة بن مالك برسول الله (ﷺ) غير بضعة أشهر حتى التحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى، فحزن عليه سراقة أشدّ الحزن.

ثم خلفه بعد وفاته، أبو بكر (ﷺ) ثم توفي أبو بكر (ﷺ) وتسلم الخلافة بعده عمر بن الخطاب (ﷺ) ، وفي خلافة الفاروق وفي السنة السادسة عشرة من الهجرة وقعت معركة القادسية بين المسلمين والفرس، وانتصر فيها المسلون ودخلوا قصر كسرى وغنم المسلمون غنائم كثيرة ونفيسة، ثم جيء بهذه الغنائم ووضعت بين يدي عمر بن الخطاب (ﷺ)، فنظر اليها بدهشة، فجعل عمر يقلّب هذه الكنوز الثمينة بقضيب كان في يده ثم التفت الى من حوله وهو يقول: إنّ قوما ادَّوا هذا لأمناء، أي: عجب عمر (ﷺ) كيف جيء بهذه الغنائم النفيسة دون أن ينقص منها شيء، وكان علي (ﷺ) حاضرًا فقال له : عففتَ فعفتِ الرعية ولو رتعتَ لرتعوا، أي: ولو أكلتَ لأكلوا، ولو كنت خائنًا لخانوك، فالشعوب تكون على دين ملوكها ، وبينما كان عمر (ﷺ) يقلّب الغنائم إذ وقع بصره على تاج كسرى وسواريه فتذكر وعد الرسول (ﷺ) لسراقة، فأخذ ينادي: يا سراقة، أين انت يا سراقة، فجيء به فألبسه تاج كسرى وسواريه وثيابه، عند ذلك هتف المسلمون، الله اكبر.

وكان سراقة رجلًا ضخمًا أَسود البشرة كثير شعر اليدين، فالتفتَ عمر (ﷺ) إليه وقال له: بَخٍ بَخٍ ، وهي كلمة تقال عند التعجب من شيء أو الفخر به : أُعَيرابي (وهي تصغير كلمة أعرابي) أُعَيرابي من بني مدلج على رأسه تاج كسرى وفي يديه سواراه ؟! وأخذ سراقة يطوف طرق المدينة والمسلون ينظرون إليه ويهتفون الله اكبر ، لقد تحقق وعد رسول الله (ﷺ) وما عهده لسراقة بعد أن مضى على هذا الوعد والعهد ستة عشر عامًا، ثم أخذ عمر ينظر إلى بقية الغنائم النفيسة ثم قال وهو يدعو الله ، اللهم لقد منعتَ هذا المال رسولك وكان أحبّ إليك مني وأكرم عليك ومنعته أبا بكر وكان أحبّ إليك مني وأكرم، وأعطيتني هذه الأموال أموال الغنائم، فأعوذ بك أن تكون قد أعطيتني هذه الأموال لتمكر بي، فإنّي لا أريد أن افتتن بها، ثم لم ينصرف من مجلسه حتى قسم الغنائم جميعها بين المسلمين ولم يبق منها شيئًا لنفسه.

من أخلاقه (ﷺ) : كان (ﷺ) عظيم الأخلاق كامل الصفات قبل البعثة وبعد البعثة، فقد كان (ﷺ) يسمى قبل البعثة : الصادق الأمين، فلمّا اختصمت قريش في رفع الحجر الأسود بعد تجديد الكعبة، قالوا: نحتكم إلى أول من يدخل من الباب الفلاني فكان محمد (ﷺ) أول الداخلين، فلما رأوه قالوا جميعًا: رضينا بالأمين.

وكعب بن زهير قبل إسلامه، كان قد حارب الإسلام بشعره حتى هجا رسول الله (ﷺ) وكان أخوه بجيرًا قد أسلم، فكانا يتراسلان بالأشعار يلوم بعضهم بعضًا فقد لام كعب أخاه بجيرًا وقال له في شعره : إنّ الأمين قد غرك فسماه الأمين. وفي معرض الذم والهجاء.

ولم يسجد منذ طفولته لصنم ولم يشرب الخمر، ولم يفعل أيّ فعل كان من أفعال الجاهلية التي كانت شائعة عند قومه. ولم يتلفظ بكلام فاحش، ولم يكن لعانًا ولا طعانًا وكان شديد الكرم ، وكان وفيّا لم يكذب قط وكان يفي بالوعد ولا يخن أحدًا حتى لو كان كافرًا ن وكان يصل رحمه فلعظم أمانته

وأخلاقه (ﷺ) كان المشركون يودعون عنده أماناتهم ، حتى إنّه حين هاجر (ﷺ) إلى المدينة خلف عليًّا (رضي الله عنه) ليردَّ الودائع إلى أهلها وكان (ﷺ) أشجع الشجعان وكان في كل غزوه غزاها ضد المشركين في مقدمة الصفوف أقرب الناس إلى العدو حتى إنّ عليًّا (رضي الله عنه) كان يقول : كنا إذا حمي الوطيس نحتمي برسول الله (ﷺ)، أي : كنا إذا اشتدت المعركة والتقت السيوف بالسيوف وتطايرت الرؤوس نلوذ برسول الله (ﷺ) وفي معركة حنين حين انهزم المسلمون في بداية المعركة ولم يبق مع رسول الله إلّا نفر قليل، ازداد رسول الله (ﷺ) شجاعة حتى نزل عن دابته وأخذ يلوح بسيفه ويتقدم صفوف الأعداء ويقول بصوت عال: أنا محمد بن عبد الله ، أنا رسول الله ، يريد أن يعلم العدو بنفسه، يقول العباس (رضي الله عنه) أحد الذين ثبتوا، كان رسول الله (ﷺ) يتقدم وكنت أمسك بردائه وأجرُّه إلى الخلف مخافة أن يكون بين صفوف الخصوم إلّا انّه (ﷺ) كان يدفعني إلى الأمام شاهرًا سيفه يضرب به يمينًا وشمالًا ويرتجز ويقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، وظل على هذه الحال، حتى أمرني رسول الله (ﷺ) أن استعمل صوتي وأنادي المسلمين الذين انهزموا وأثير فيهم النخوة فاذكرهم بما بايعوا ، وعاهدوا به رسول (ﷺ) وأناديهم بأسماء قبائلهم يا بني فلان ويا بني فلان حتى تجمعوا فهزمناهم ونصرنا الله سبحانه عليهم فرسول الله (ﷺ) هو الرجل الكامل في أخلاقه وسيرته ونسبه وحسبه ويكفي ثناء الله عليه، يقول عز وجل :(وإنّكَ لعلى خُلُقٍ عظيم) والرسول (ﷺ) على الرغم من أنّه كان دائمًا في الصف الأول في كل غزوة إلّا أنّه كان يتنزه عن القتل ؛ لأنه (ﷺ) بعث رحمة للعالمين.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: خدمتُ رسول الله (ﷺ) عشر سنين فما قال لي أف قط ، وما قال لشيء صنعته : لِمَ صنعته؟ ولا شيء تركته: لِمَ تركته؟

وعن عائشة (ﷺ) قالت: ما ضرب رسول الله (ﷺ) بيده شيئًا قط إلّا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا ولا امرأة.

ولم يكن رسول الله (ﷺ) سبابًا ولا فاحشًا ولا لعانًا ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن كان يعفو ويصفح.

وعن خادمه أنس (ﷺ) قال: كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) وعليه بُرْد (كساء) غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبًا شديدًا حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ﷺ) (أي: إلى رقبته) قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فألتفت إليه رسول الله (ﷺ) ثم ضحك ثم أمر له بعطاء . متفق عليه.

وعن ابن مسعود قال: قسم رسول الله (ﷺ) قسمًا (أي: قسم غنائم الحرب بين المسلمين) فقال رجل: ما أريد بهذا وجه الله ، فأتيت النبي (ﷺ) فذكرت له ذلك، فتمعر وجهه ثم قال: يرحم الله موسى قد أوذي بما هو أشد من هذا فصبر . متفق عليه.

وفي معركة أحد جعل المشركون وجه رسول الله (ﷺ) يسيل بالدماء، فأخذ عليه الصلاة والسلام يمسح الدم من وجهه وهو يقول: كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وقد قيل له : ادع على المشركين فقال: إنّي لم أُبعث لعّانًا وإنّما بعثت رحمة للعالمين.

وكان يقول اللهم إهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون . وروى الطبراني في مختصر السيرة النبوية أنّه (ﷺ) كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله عليَّ ذبحها وقال آخر: يا رسول الله عليَّ سلخها وقال آخر: يا رسول الله عليَّ طبخها، فقال رسول الله (ﷺ) وعليَّ جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل فقال (ﷺ) : قد علمت أنّكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وأنّ الله سبحانه يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله (ﷺ) يعمل في بيته، فيخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، وكان يعين زوجاته.

وعن عمر (رضي الله عنه) عن الرسول (ﷺ) قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله ، وقوله لا تطروني، والإطراء: مجاوزة الحدّ في المدح والكذب فيه ، وكان لا يتميز على صحابته في عمله وبيته فقد كان واحدًا منهم ليس بينه وبينهم حجاب وحراس، وقد اشتهر حبّ صحابته له حتى قال أبو جهل: والله ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كما يحب أصحاب محمد محمدًا، ولو أذن أن يعبروا عن حبهم له لراحوا جميعًا يُقَبِّلون يديه ورجليه صباحًا ومساء، إلّا أنّه كان يمنعهم من ذلك حتى إنّه لم يرد في السنة النبوية أن قبلت يد رسول الله (ﷺ) أكثر من أربع مرات أو خمس مرات طوال حياته (ﷺ) بل أراد رسول الله (ﷺ) أن يصافح أحد صحابته، فسحب يده فسأله عن السبب، فقال يا رسول الله : إنّ يدي خشنة من العمل وخشيت أن اؤذيك بالمصافحة : فرفع رسول الله (ﷺ) يد هذا الصحابي وراح يُقَبِّلها ويلوح بها ويقول: هذه يد يحبُّها الله ورسوله.

وكان صحابته (رضي الله عنهم) في بدء حياتهم معه يخصصون له مكانًا في مجالسهم إذا أقبل إليهم فيجعلون له مقعدًا في صدر المجلس فنهاهم عن ذلك، وقال لهم ليجلس كل منكم في المكان الذي يرغب أن يجلس فيه وإذا قدمت جلست في المكان الخالي.

وكانوا أيضًا يقومون له إذا أقبل عليهم فنهاهم عن ذلك حتى إنّ الصحابة (رضي الله عنهم) يقولون : كان رسول الله (ﷺ) يُقبل إلينا ولا نقوم بوجهه لعلمنا كراهيته لذلك ، بل ورد عنه في الحديث الصحيح : من أحبّ أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوء مقعده من النار.

ومُثِلَ بين يديه رجل فأخذ يرتجف، فقال رسول الله (ﷺ) : هَوِّنْ على نفسك فإنّي لستُ مَلِكًا، إنّما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد، والقديد هو اللحم كان يشرح ويترك فيبس ويؤكل.

وعن جابر بن عبد الله قال : ما سئل رسول الله (ﷺ) شيئًا قط فقال، لا، فكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل : وكان إذا لقيه أجود من الريح المرسلة.

وقد كانت ترد أحيانًا لرسول الله (ﷺ) أموال إلّا أنّه كان لا يبقيها عنده أكثر من بضعة أيّام إذ يبادر في إنفاقها على الفقراء من رعيته ، فعن أنس أنّ النبي (ﷺ) كان لا يدخر شيئًا لغده ، وعنه أيضًا أنّ رجلًا أتى النبي (ﷺ) فسأله فأعطاه غنمًا بين جبلين فأتى الرجل قومه فقال: أسلموا فإنّ محمدًا يعطي عطاء رجل لايخاف فاقة؟ (أي: فقرًا).

وعن سعيد بن المسيِّب أنّ صفوان بن أُمية قال: أعطاني رسول الله (ﷺ) يوم حنين وإنّه لأبغض الخلق اليَّ فما زال يعطيني رسول الله (ﷺ) حتى صار عندي أحبّ الخلق إليَّ ، وكان رسول الله (ﷺ) يجود لمن شاء من صحابته من ماله الخاص وليس من أموال الدولة او الرعية.

وكان الرسول (ﷺ) كثيرًا ما تمرّ عليه أيام وليس في بيته كسرة خبز حتى إنّه كان يواصل صيام النهار بالليل ، وقد جاءه مرة ضيف وهو على ها الحال، ما عنده ما يقدمه، فقال (ﷺ) مخاطبًا صحابته : مَن منكم يستضيف ضيف رسول الله ، فقال رجل منهم : أنا يارسول الله ، وهذا الرجل لم يكن عنده في بيته من الطعام إلّا ما يشبع رجلًا واحدًا، فجاء إلى أهله وقال لها : سيقدم إلينا ضيف رسول الله (ﷺ) فإذا دخل أطفئي السراج ، وداري الأولاد وصبريهم حتى يناموا، حتى إذا قدم الضيف قدموا له الطعام وقد أطفات زوجته السراج فكان الضيف لا يرى إلّا الطعام بين يديه ويرى الرجل وزوجته ياكلان معه إلّا أنّه ما كان يعلم أنّ كليهما كانا يمدان يديهما ويرفعانها فارغتين حتى أعطيا المجال للضيف أن يأكل وحده والذي حصل

أنّ الضيف أشبع نفسه ، أمّا الرجل وزوجته وأولادهما فقد باتوا جميعًا جائعين إكرامًا للضيف، ضيف رسول الله (ﷺ) حتى إذا أصبح ولقي الرسول (ﷺ) الصحابي الذي أكرم ضيفه قابله بقوله: إنّ الله سبحانه قد عجب الليلة من صنيعكما، هذا ما ثبت في الحديث الصحيح.

وقد كان رسول الله (ﷺ) شديد الحياء فعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله (ﷺ) أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، أي: أشدّ حياء من البنت البكر وهي في زفافها.

عيشته (ﷺ) : عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض (أي: حتى توفي) رسول الله (ﷺ) رواه البخاري ومسلم ، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: إنّ فاطمة (رضي الله عنها) ناولت (أباها) النبي (ﷺ) كسرة من خبز شعير فقال لها : هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيّام. رواه احمد والطبراني.

والرسول (ﷺ) لم يكن يتعمد أن يكون جائعًا ، وإنّما كان ذلك لقلة وجدانه الطعام.

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: عرض علَيَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلتُ لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يومًا... فإذا جعتُ تضرعتُ إليك وذكرتك ، وإذا شبعتُ شكرتك وحمدتك. رواه الترمذي وقال حديث حسن ، وكان (ﷺ) يشدّ بطنه أحيانًا بعصابة من شدة الجوع ، وعن عبد الله بن مسعود قال: دخلتُ على النبي (ﷺ) وهو في غرفته كأنّها بيت حمام (من شدة حرها) نائم على حصير قد أثَّر بجنبه، فبكيت فقال: ما يبكينك يا عبد الله؟ قلت يا رسول الله ، كسرى (ملك الفرس) وقيصر (ملك الروم) يطؤون (ينامون) على الخزّ والديباج والحرير، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر بجنبك ، فقال: فلا تبكِ يا عبد الله فإنَّ لهم الدنيا ولنا الآخرة

وما أنا والدنيا، وما مثلي ومثل الدنيا إلّا كمثل راكب (مسافر) نزل تحت شجرة ثم سار وتركها.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: توفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير . رواه البخاري ومسلم ، أي: كانت مرهونة على هذا القدر من الشعير اقترضه منه رسول الله (ﷺ) ودفع له درعه ضمانًا للوفاء ، وقد كان صحابته رضي الله عنهم قادرين على أن يجمعوا له من أموالهم ما يجعلونه أغنى الملوك ، لكنه (ﷺ) ما أراد أن يعيش كما تعيش القياصرة ، ولكن أراد أن يكون مثل رعيته يشبع إذا شبعوا ويجوع قبلهم إذا جاعوا ويعلمهم أمور دينهم كجواز التعامل مع اليهود والنصارى كالرهن ونحوه.

حبّ صحابته له (ﷺ) : كان أُسَيد بن الحضير إذا قرأ القرآن الكريم في جوف الليل تهتز لصوته الحنون فرسه حتى تدور حول نفسها، وكان إذا قرأ أجفلت الفرس وهاجت وإذا سكت سكنت: وكان إذا يقرأ يرى غمامة في السماء كالمظلة لم تر العين أبهى وأروع منها ، وقد علق بها أمثال المصابيح فملأت الآفاق ضياء وسناء وهي تصعد إلى الأعلى حتى غابت عن ناظريه ، فلمّا أصبح مضى إلى رسول الله (ﷺ) وقصّ عليه خبر ما رأى فقال له النبي(ﷺ) : تلك الملائكة كانت تستمع إليك يا أُسيد، وكان كثيرًا ما تمنّى أن يمسّ جلد رسول الله (ﷺ) وقد أتيح له ذلك ذات مرة ففي ذات يوم كان أسيد (رضي الله عنه) يتحدث للصحابة ولرسول الله (ﷺ) طرائف ممتعة يضحك لها القوم فبينما هو كذلك يمزح إذ غمزه رسول الله (ﷺ) فطعنه في خاصرته بيده كأنه يستحسن ما يقول فقال أُسيد: أَوجعتني يا رسول الله (ﷺ) فقال عليه الصلاة والسلام : اقتصَّ مني يا أسيد. أي : خذ حقك مني فقال أسيد: إنّ عليك قميصًا ولم يكن عليَّ قميص حين ضربتني ، فرفع رسول الله (ﷺ) قميصه عن جسده ، فأكب أُسيد عليه واحتضنه وراح يُقَبِّل ما بين بطنه

وخاصرته وهو يقول: بأبى انت وأُمِّي يا رسول الله إنَّها بغية كنت أتمناها منذ زمن طويل منذ تعرفت اليك وأسلمتُ وقد بلغتها الآن .

وفي معركة بدر الفاصلة بين الحق والباطل ، كان عدد المسلمين حوالي ثلاثمئة وعدد المشركين ألف رجل مدجج بالسلاح ثلاثة أضعاف المسلمين ، فوقف رسول الله (ﷺ) يعدل صفوف صحابته (رضي الله عنهم) وبيده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار، وكان قد تقدم عن الصف فضربه على بطنه بالقدح (والقِدْحُ ، بكسر القاف وسكون الدال : السهم) وقال له استو ، يا سواد اعتدل ، فقال : يا رسول أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل: فأقدني ، أي : اقتصّ لي من نفسك ، ، فكشف رسول الله (ﷺ) عن بطنه وقال استقد ، اقتصّ مني يا سواد ، أي : خذ حقك مني ، اضربني كما ضربتك ، فأكَبَّ سواد على بطن رسول الله (ﷺ) وراح يَشُمُّها ويُقَبِّلها ، فقال: ما حملك على هذا ؟ قال يا رسول الله : حضر ما ترى ونحن متوجهون للجهاد والقتال والاستشهاد فأحببتُ أن يكون آخر عهدي بهذه الدنيا وآخر عهدي بك أن يمسّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله (ﷺ) بخير.

أوصافه الجسمية : كان رسول الله (ﷺ) مربوعًا لا بالطويل ولا بالقصير ممتلئ مستوي البطن يبلغ شعره شحمة أُذنه وكان كما وصفه خادمه أنس والصحابة أنّه (ﷺ) ليس بالأبيض والأمهق، والأمهق هو الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة كلون الجص، بل كان (ﷺ) أبيض مشربًا بالحمرة، أي كان أشقر اللون ، وواسع العينين إذا رأيتَه قلتَ أكحل العينين وليس بأكحل، وكان لا يضحك إلّا تبسمًا، وإذا ابتسم أو تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه من شدة بياض أسنانه، وإذا سئل كل من صاحبه ورآه يقول: لم أرَ شيئًا قط أحسن منه.

وعن أبي هريرة (ﷺ)، قال : ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله (ﷺ) كأنَّ الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيه من رسول الله (ﷺ) كأنّما الأرض تطوى له ، إنا كنا إذا سرنا معه نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

وعن أنس خادمه قال: ما شممت رائحة أطيب من رائحته، وكان الرسول (ﷺ) كثير العرق.

وعن أنس قال: دخل علينا الرسول (ﷺ) فقال: عندنا (أي: نام وقت الظهيرة) فجاءت أُمي (أم سليم) بقارورة فجعلتْ تسلتُ العرق فيها (أي: تمسح عرقه وتجعله في القارورة) فاستيقظ النبي (ﷺ) فقال: يا أمّ سليم ، ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب، أي : نجعله عطرًا نتعطر به وأنّه لأطيب العطور رائحة . هذا حديث صحيح. وأنس خادم الرسول (ﷺ) وأمّه أم سليم اهدته للرسول (ﷺ) ليقوم بخدمته فخدمه عشر سنوات.

وعن جابر بن سمرة أنّ رسول الله (ﷺ) مسح يوما خده بيده قال : فوجدت ليده بردًا وريحًا طيبة كأنّها أخرجها من جؤنة عطار.

وفاته (ﷺ) : ولد الرسول(ﷺ) يوم الاثنين من شهر ربيع الأول وتوفي (ﷺ) في هذا اليوم وفي هذا الشهر.

وقال قبل وفاته (ﷺ) : مَن كنتُ جلدتُ له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنتُ شتمتُ له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه، ولما ارتفع الضحى واشتد به المرض دعا النبي (ﷺ) فاطمة فسارَّها لشيء ، همس في أُذنها خبرًا لم يسمعه إلّا هي فبكيتْ، ثم دعاها مرة أخرى فسارّها بشيء فضحكتْ، فسألتها عائشة (رضي الله عنها) عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي (ﷺ) أنّه يقبض ويتوفى في وجعه هذا فبكيتُ، ثم سارَّني فأخبرني أنّي أول أهل بيته تتبعه، ويتوفى بعده فضحكتُ . هذا ما رواه البخاري في صحيحه

وقد صدق رسول الله (ﷺ) فقد كان أول من توفي من أهل بيته من نسائه وبناته هي فاطمة (رضي الله عنها) توفيت بعده بستة أشهر وعمرها ٢٤ سنة، وكان رسول الله (ﷺ) كلّما تقبل إليه فاطمة تزوره في بيته يقوم (ﷺ) في وجهها ويُقَبِّلها بين عينيها ويجلسها في مكانه ، وكان يفعل هذا كلّما تزوره، فلما زارته في مرضه الأخير لم يقم في وجهها قالت (رضي الله عنها) فأيقنتُ حينئذ أنّ أبي قد ثقل مرضه وأنّه لا يشفى منه وأنّه قد حان التحاقه بالرفيق الأعلى، وحين توفي (ﷺ) كانت أشدّ الناس حزنًا عليه، وروى ابن سعد في الطبقات أنّه لما توفي رسول الله (ﷺ) أخذتْ فاطمة رضي الله عنها تقول: يا أبتاه ، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه ، يا أبتاه، من ربه ما أدناه، ما أدناه : أي : ما أشدّ قربه من الله . وروى غير واحد أنّه لما دفن رسول الله (ﷺ) جعلتْ فاطمة رضي الله عنها تخاطب مَن دفنوه: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ، وأخذتْ من تراب قبره الشريف وَوَضَعَتْهُ على عينيها وأنشأتْ تقول:

ماذا على مَن شمّ تربة أحمدٍ ألا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنها صُبَّتْ على الأيّام عُدنَ لياليا

بلال (ﷺ) مؤذن الرسول (ﷺ) : وظلّ رسول الله (ﷺ) يأنس إلى هذا الصوت، ولما انتقل الرسول الأعظم (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى وحان وقت الصلاة قام بلال يؤذن في الناس، والنبي الكريم (ﷺ) مسجى ، مغطى لم يدفن بعد، فلما وصل إلى قوله: أشهد أنّ محمدًا رسول الله ، خنقته العبرات، واحتبس صوته في حلقه وأجهش المسلمون في البكاء وأغرقوا في النحيب، ثم أذَّن بعد ذلك ثلاثة أيّام، فكان كلما وصل إلى قوله أشهد أنّ محمدًا رسول الله ، بكى وأبكى، عند ذلك طلب بلال من أبي بكر خليفة رسول الله (ﷺ) أن يعفيه من الأذان بعد أن أصبح لا يحتمله، بعد أن أصبح لا يطيق أن يؤذن في غياب رسول الله (ﷺ) واستأذن في الخروج إلى الجهاد في سبيل الله

والمرابطة في بلاد الشام، فتردد الصديق (ﷺ) في الاستجابة لطلبه، والسماح له بمغادرة المدينة، فقال له بلال، إن كنتَ اشتريتني لنفسك فأمسكني وإن كنتَ أعتقتني لله فخلّني لمن أعتقتني له، فقال أبو بكر ، والله ما اشتريتك إلّا لله، فقال أبو بكر، لك ذلك، فرحل بلال عن المدينة المنورة مع أول بعث من بعوث المسلمين ، وأقام في مدينة بالقرب من دمشق، وقد ظل ممسكًا عن الأذان حتى قدم عمر بن الخطاب (ﷺ) بلاد الشام ، فلقى بلالًا (ﷺ) بعد غياب طويل، وكان عمر شديد الشوق إليه عظيم الإجلال له ، حتى كان إذا ذكر الصديق أمامه يقول: إنَّ أبا بكر سيدنا وهو الذي أعتق سيدنا، يعنى بلالًا (ﷺ) وهناك عزم الصحابة على بلال أن يؤذن في حضرة الفاروق ، فما أن ارتفع صوته بالأذان حتى بكى عمر وبكى معه الصحابة حتى اخضلت (وابتلت) اللحى بالدموع.

وقد ظل داعي السماء يقيم في منطقة دمشق حتى وافاه الأجل المحتوم فكانت امرأته تعول الى جانبه في مرض الموت وتصيح قائلة: واحزناه، وامصيبتاه ، وكان (ﷺ) يفيق من سكرات الموت ويفتح عينيه وقد سمع ما تعول وتقول فيجيبها في كل مرة : لا تقولي وامصيبتاه، وافجعتاه، بل قولي: وافرحتاه، غدًا ألقى الأحبّة، محمدًا وصحبه.

تفضيل أُمَّة محمد (ﷺ) على بقية الأمم : روى أحمد عن أبي سعيد أنّ رسول الله (ﷺ) قال ما معناه : يُدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلّغتَ الناس بما أمر الله؟ فيقول: نعم فيُدعى قومه ويؤتى بهم فيقال لهم : هل بلغكم نوح ؟ فيقولون كاذبين: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك أنّك بلغتهم ؟ فيقول: محمد وأُمته، قال فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شـهيدًا﴾ فَتُـدعون فتشـهدون لـه بـالبلاغ ، ثـم أشـهد علـيكم . رواه البخـاري والترمذي والنسائي.

وعن أبـي سـعيد الخـدري أيضًـا قـال رسـول الله (ﷺ) يجـيء النبـي يـوم القيامة ومعه رجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه (ويؤتى بهم) فيقال لهم : هل بلغكم هذا (النبي) ؟ فيقولون: لا ، فيقال له : هل بلغتَ قومك؟ فيقول: نعم، فيقال (له) من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمته، فيدعى محمد وأُمته ، فيقال لهم : هل بلغ؟ فيقولون : نعم، فيقال لهم: ما علمكم؟ فيقولون: جاء نبينا محمد (ﷺ) فأخبرنا أنّ الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي :عدولًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.

تفضيل محمد (ﷺ) على سائر الأنبياء : قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[ال عمران: ٨١}

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى (عليه السلام) لمهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أيّ مبلغ كان من العلم، أي: مهما عظم قدره عند الله ومهما اتسع علمه بالدين فإنَّ على هذا النبي يجب أن لا يمنعه ذلك من أن يتبع هو وأمّته النبي الذي يبعث بعده ، أي: أنّ رسالة النبي اللاحق تنسخ رسالة النبي السابق بأمر الله ، وكان عليه أن لا ينخلع هو وأُمّته عن رسالته فحسب بل عليهما أن ينصروا النبي الذي بعث بعد نبيهم، ولما كان محمد (ﷺ) هو آخر المبعوثين من الرسل فإنّه وجب استنادًا الى قوله تعالى في هذه الآية أن تنخلع كلّ الرسالات السماوية السابقة عن رسالاتها ويتبعون رسالة محمد (ﷺ) وإلّا

فإنّهم يعدون عند الله قد نقضوا العهد مع الله ، قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس (رضي الله عنهما) : ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلّا أخذ عليه الميثاق و(العهد) لئن بعث الله محمدًا وهو حي أنّه وجب عليه أن يؤمن به وينصره ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمّته لئن بُعِثَ محمد وهم أحياء ليؤمنون به وينصرونه، وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر (ﷺ) إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله إني مررت برجل يهودي من قريضة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال(الراوي): فتغيّر وجه الرسول (ﷺ) قال عبد الله بن ثابت: قلت له:(أي: قلت لعمر) ألا ترى ما بوجه رسول الله (ﷺ) فلما رأى عمر (ﷺ) أنّ الرسول (ﷺ) لم يكن راضيًا مما فعله وعرضه عليه قال: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد (ﷺ) رسولًا قال: فذهب عن رسول الله (ﷺ) حينئذ ما بدا بوجهه من عدم رضا ثم قال (ﷺ) والذي نفسي بيده (ونفس محمد بيد الله) لو أصبح فيكم موسى عليه السلام (أي: لو كان موسى موجودًا الآن) ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حضّي من الأمم وأنا حظّكم من النبيين ،وروى أبو يعلى عن جابر (ﷺ) أنّ الرسول (ﷺ) قال: والله لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حلّ له إلّا أن يتبعني . وفي بعض الأحاديث قال (ﷺ): لو كان موسى وعيسى حيَّين لما وسعهما إلّا اتباعي.

شفاعته ، صلى الله عليه وسلم ، للأمم كلّها : رسولنا الكريم سيد الأنبياء والمرسلين ، وهو القائل عن نفسه : أنا سيد بني آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من يدخل الجنة ولا فخر ، وهو الذي يقبل الله من دون الأنبياء شفاعته ، فقد جاء في الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم وغيرهما، أنّ الله سبحانه يجمع الناس من مختلف الأمم يوم القيامة فيجدون أنفسهم في يوم عصيب، فيبحثون عن من يشفع لهم عند الله فيأتون آدم فيقولون : يا آدم اشفع لنا ، واستفتح لنا الجنة، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة

أبيكم ، لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله فيقول إبراهيم : لستُ بصاحب ذلك، إنّما كنت خليلًا من وراء وراء، اذهبوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم ، كلمه الله تكليما، فيأتون موسى فيقول: لستُ بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيأتون عيسى صلى الله عليه وسلم ، فيقول: لستُ بصاحب ذلك ، فيأتون محمدًا (ﷺ) فيطلبون منه أن يشفع لهم عند الله ، فيقول (ﷺ) : أنا لها، فيسجد سجدة طويلة ، وفي سجوده يلهمه الله ما شاء من الأدعية التي فيها تمجيد وثناء لله تعالى ويبقى ساجدًا يدعو حتى يسمع النداء من الله : يا محمد ، ارفع رأسك ، سَلْ تُعْطَ ، واشفعْ تُشَفَّعْ ، فيدخل هذا الجمع الغفير من الناس الذين لا يعلم عددهم إلّا الله ، يدخلون الجنة بشفاعة رسولنا الكريم (ﷺ).

ميراث رسول الله (ﷺ) : كما أحب أبو هريرة (رضي الله عنه) العلم لنفسه فقد أحبه لغيره من ذلك أنه مرّ ذات يوم بسوق المدينة فهاله وأحزنه اشتغال الناس بالدنيا واستغراقهم في البيع والشراء والأخذ والعطاء فوقف عليهم وقال: ما أعجزكم يا أهل المدينة قالوا: وما رأيتَ من عجزنا يا أبا هريرة.! فقال: ميراث رسول الله (ﷺ) يُقسَّم وأنتم هاهنا! ألا تذهبون وتأخذون نصيبكم؟ قالوا: وأين هو يا أبا هريرة؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فلما رأوه قالوا: يا أبا هريرة لقد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئا يقسم، فقال لهم، أو ما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى: رأينا قوما يصلون، وقوما يقرؤون القرآن، وقوما يتذاكرون في الحلال والحرام. فقال: ويحكم، ذلك ميراث محمد (ﷺ) .

الموعظة الثانية والعشرون : من معجزاته ﷺ

بشارة يهودي بمكة ببعثة النبي ﷺ : عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي قد سكن بمكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (ﷺ) قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش : هل ولد فيكم

الليلة مولود؟ ... واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنّهنّ عرف فرس لا يرضع ليلتين، وذلك أنّ عفريتًا أدخل إصبعيه في فمه فمنعه من الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم متعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدًا، فالتقى القوم، فقالوا هل سمعتم حديث اليهودي وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاؤوا اليهودي فأخبروه بالخبر، قال: فاذهبوا معي حتى أنظر إليه فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقال: أخرجي به إلينا فأخرجته وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيًّا عليه ، فلما أفاق قالوا : ويلك مالك ، قال: ذهبت والله، النبوة من بني إسرائيل فرحتم يا معشر قريش ، أما والله ليسطونّ بكم سطوة، يخرج خبرها من المشرق والمغرب ، وكان في النفر يومئذ الذين قال لهم اليهودي ما قال: هشام بن الوليد بن المغيرة ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعتبه بن ربيعة في نفر من بني عبد المطلب وغيرهم من قريش، وقد ولد الرسول (ﷺ) مختونًا ومقطوع السرة.

إسلام أبي بكر ﷺ : عن ربيعة بن كعب، قال: كان إسلام أبي بكر (ﷺ) شبيهًا بالوحي من السماء، وذلك أنّه كان تاجرًا بالشام فرأى رؤيا في المنام، فقصَّها على بحيرى الراهب ، وكان يتعبد الله في مدينة تدعى بصرى على طريق الشام ، إليه ينتهي علم النصرانية ، وطلب أبو بكر (ﷺ) من هذا الراهب أن يفسّر له هذه الرؤيا فقال له: من أين أنت؟ فقال: من مكة، فقال: من أيّها؟ قال: من قريش، قال: فايّ شيء أنت؟ قال: تاجر، قال: إن صدق الله رؤياك ، فإنّه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد مماته، فأسرَّ ذلك أبو بكر في نفسه، أخفى هذه القصة، حتى بُعِثَ النبي (ﷺ)، فأخبر المشركون أبا بكر بأنّ صاحبه محمدًا يزعم أنّ الله بعثه رسولًا للعالمين وأنّ جبريل قد نزل عليه ، فجاء أبو بكر إلى الرسول (ﷺ) مسرعًا ،

فقال: يا محمد، ما الذي سمعته عنك؟ فقد سمعتُ أنّك تدعي أنَّ الله بعثك رسولًا للعالمين، فقال نعم يا أبا بكر، فقال أبو بكر (ﷺ): يا محمد، ما الدليل على ما تدعي؟ فقال: الرؤيا التي رأيتَها في الشام، فقال له أبو بكر: مدّ يدك أبايعك وعانقه وقبَّل بين عينيه وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنّك رسول الله ، ثم قال أبو بكر (ﷺ): ما فرح رسول الله بإسلام أحد كما فرح بإسلامي.

إخباره (ﷺ) بما سيقع في المستقبل : من معجزاته (ﷺ) أنّ الله سبحانه وتعالى أعطاه علم ما سيحدث من فتن إلى قيام الساعة ، التي تصد الناس عن دين الله.

عن حذيفة (ﷺ) قال: لقد قام رسول الله (ﷺ) يومًا يخطب فينا ويذكر ما سيحدث في المستقبل حتى قيام الساعة ودخول الناس الجنة أو النار ما ترك شيئًا إلى قيام الساعة إلّا ذكره علمه من السامعين الحاضرين من علمه وجهله من جهله ، فإنّي قد أرى الشيء بعد وفاة الرسول (ﷺ) قد كنت نسيته بعد ما سمعته من رسول الله (ﷺ) فأراه فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه ، فرآه فعرفه.

أي: أنّ حذيفة بن اليمان (ﷺ) أدرك بعضًا من الفتن التي أخبر بها الرسول (ﷺ) هذا حديث صحيح ، أخرجه مسلم، ومما أخبر به الرسول (ﷺ) أنّه سيأتي زمان يقل فيه الأمناء ، وعن حذيفة بن اليمان أيضًا، قال: كان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله ، إنّا كنّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير (الذي هو الإسلام) فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت وهل بعد ذلك الشر خير؟ قال: نعم وفيه دخن (أي: ليس خيرًا خالصًا، بل فيه كدر وظلمة) قال: قلت، وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر (أي: يكون في هذا الزمان الذي خيره غير كامل قوم تصدر منهم

أمور تخالف الكتاب والسنة حتى إنّك تعرف ذلك المنكر فتنكره لوضوحه) فقلت: فهل بعد ذلك الخير (غير الكامل) من شر؟ قال نعم: دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها (أي: جماعات ضالة تدعو الناس إلى الكفر من استجاب لدعوتهم كان من أهل النار) قلت : يا رسول الله صفهم لنا (مَن هؤلاء، أيهود هم ام نصارى ؟ أعرب هم أم أعاجم ؟) قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا (أي: هم عرب من أبناء قومنا) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك (الزمان) ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أنّ تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . متفق عليه ، وعن ثوبان (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) يوشك الأمم (الكافرة) أن تداعى عليكم (تستولي على بلادكم ويأكلون خيراتكم) كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال قائل، يا رسول الله : أَوَمِن قلّة يومئذٍ (أي: يسيطر علينا أعداؤنا، بسبب قلتنا وكثرتهم)؟ قال: لا، بل أنتم كثير، ولكنّكم كغثاء السيل (أي: تكونون يومئذ ضعفاء لا خير فيكم شأنكم شأن ورق الشجر اليابس الذي يحمله ماء السيل يطفو فوقه لحقارته وخفته) ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم (أي: أنّ أعداءكم لايهابونكم ولا يخافونكم) وليسلطنّ في قلوبكم الوهن ، قال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

إخباره (ﷺ) بأسرار الناس : عاد عمير بن وهب الأنصاري الجمحي من بدر ناجيًا بنفسه لكنّه خلّف وراءه ابنه وهبًا اسيرًا في أيدي المسلمين، جاء عمير إلى الكعبة فوجد عندها صفوان بن أمية ، فأخذا يتذكران ما جرى لهما وللمشركين في بدر، قال عمير لصفوان: ورب الكعبة لولا ديون عليّ ليس عندي ما أقضيها به وعيال أخاف عليهم الضياع من بعدي لمضيت إلى محمد، في المدينة وقتلته وكففت شره، فالتفت إليه صفوان ، وقال له: يا عمير اجعلْ دينك كلّه عليَّ فأنا أقضيه عنك مهما بلغ، وأمّا عيالك ،

وزوجتك وأولادك، فسأضمهم إلى عيالي ما امتدت بي وبهم الحياة، وإنّ مالي من الكثرة ما يسعهم ويكفل لهم العيش الرغيد فقال عمير: إذن اكتم واخفِ حديثنا هذا ولا تطلع عليه أحدًا فقال صفوان: كذلك .

فشهر عمير سيفه فجعل في رأسه سما قاتلًا، وامتطى فرسه وتوجه إلى المدينة ليقتل هناك رسول الله (ﷺ) حتى إذا دخل المدينة رآه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال هذا الكلب عمير بن وهب عدو الله ، والله ما جاء إلّا لشر فقال لجلسائه : امضوا إلى رسول الله (ﷺ) وكونوا حوله واحذروا أن يغدر به هذا الخبيث الماكر، ثم بادر عمر إلى النبي (ﷺ) وقال: يا رسول الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه وما أظنه يريد إلّا شرًّا، فقال عليه الصلاة والسلام : أدخله عليّ فأقبل الفاروق على عمير بن وهب وأخذ بتلابيبه، أي: أمسكه من ثوبه بقوة، وطوَّق عنقه بحمالة سيفه، ومضى به نحو رسول الله (ﷺ) فلمّا راه النبي (ﷺ) على هذه الحال قال لعمر: أطلقه يا عمر، ثم قال له: استاخر عنه، فتأخر عنه ، ثم توجه الرسول (ﷺ) إلى عمير بن وهب وقال: ادنُ اقترب يا عمير، فدنا منه وقال: أنعم صباحا، وهي تحية العرب في الجاهلية فقال له رسول الله (ﷺ) : فقد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، وهي السلام تحية أهل الجنة، فقال له الرسول (ﷺ) : من الذي جاء بك يا عمير؟ قال: جئتُ أرجو أن تفكَّ أسر ابني وهب الأسير عندكم، قال: فما بال السيف الذي في عنقك؟ قال عمير: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا يوم بدر؟ قال له الرسول (ﷺ) : أصدقني، كن صادقًا معي، ما الذي جئت له يا عمير؟ قال: ما جئت إلّا لذاك، فقال (ﷺ) : بل قعدتَ أنت وصفوان بن أميه عند الحجر، الكعبة، فتذكرتما قتلاكم يوم بدر ثم قلتَ لصفوان: لولا ديون عليَّ وعيال عندي لخرجتُ حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن امية دينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بيني وبينك.

فذهل عمير لحظة، ثم ما لبث أن قال : أشهد أنّك لرسول الله، ثم أردف يقول : لقد كنّا يا رسول الله نكذبك بما كنتَ تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي ، لكن كلامي مع صفوان بن أميّة لم يعلم به أحد إلّا أنا وهو، والله لقد أيقنتُ أنّه ما أتاك به إلّا الله ، فأحمد الله الذي ساقني إليك سوقًا ليهديني إلى الإسلام ، ثم شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله واسلم.

وفرح المسلمون بإسلام عمير بن وهب أشدّ الفرح حتى إنّ عمر بن الخطاب (ﷺ) قال: لقد كان الخنزير أحب اليّ من عمير بن وهب حين قدم على رسول الله وهو اليوم بعد إسلامه احب الي من بعض أبنائي.

سقوط الأصنام : عن عبد الله بن عامر قال: دخل رسول الله (ﷺ) مكة يوم الفتح على راحلته، أي: راكبًا ناقته، وكان ذلك بعد أن غادرها ثلاثة عشر عامًا، فطاف عليها، وكان حول الكعبة، البيت الحرام أصنام مشدودة بالرصاص كانت تعبد من دون الله ، فجعل النبي (ﷺ) يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ قال ابن عباس: فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلّا وقع لقفاه، أي: سقط على ظهره ، من غير أن يمسه القضيب، وكذلك ما أشار إلى صنم في قفاه إلّا وقع على وجهه، حتى ما بقي منها صنم إلّا وقع .

شفاء المرضى بدعائه (ﷺ) : من معجزاته (ﷺ) أنّه كان بإذن الله وبدعائه يشفي المريض وقصة ذلك الرجل مشهورة الذي جاء إلى رسول الله (ﷺ) يشكو فقدان البصر ، فبالتوسل بدعاء الرسول (ﷺ) أصبح بصيرًا شديد البصر ، وظلّ على ذلك حتى وفاته ، وقد شكا ثابت بن يزيد رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله ، إنّ رجلي عرجاء لا تمس بطن الأرض، قال فدعا لي فبرئت حتى استوت مثل الأخرى.

وأصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد حتى وقعت على وجنتيه فأتى بها الى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله إنّي لي امرأة أحبها أخشى إن رأتني تقذرني فأخذها رسول الله (ﷺ) بيده وردها إلى موضعها وقال : بسم الله وقال: اللهم اكسه جمالًا، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظرًا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الاخرى . اخرجه البيهقي.

ومن معجزاته (ﷺ) عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنّه جيء بصبي قد أصبح شابًّا لم يتكلم قط منذ أن ولد، فقال له رسول الله (ﷺ) من أنا؟ قال: أنت رسول الله . أخرجه البيهقي.

وعن معرض بن معيقيب اليماني قال: حججت حجة الوداع ، فدخلت دارًا بمكة فرأيت فيها رسول الله (ﷺ) ورأيت منه عجبًا قال: جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، أي: عمره يوم واحد بل ساعات، فقال له رسول الله (ﷺ) يا غلام، مَن أنا؟ قال: أنت رسول الله (ﷺ) قال: صدقتَ، بارك الله فيك، ثم إنّ الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبّ فكنا نسميه : مبارك اليمامة . رواه البيهقي

استجابة الله لدعائه (ﷺ) : ومن معجزاته (ﷺ) أنّه كان مستجاب الدعاء ، فقد دعا لخادمه أنس (رضي الله عنه) فقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته . رواه البخاري ، وفي حديث رواه مسلم إنّ أم سليم وهي أم أنس طلبت من الرسول (ﷺ) أن يدعو له بذلك ، وفي الصحيح أن أنس (رضي الله عنه) عاش مئة سنة ، وكان له نحو مئة ولد وكثر ماله حتى ملّ من كثرة المال ، وقد أنشد النابغة الجعدي أمام الرسول (ﷺ) بيتين من الشعر فاستحسنهما الرسول (ﷺ) لغة ومعنى، فقال له الرسول (ﷺ) : لا يفضض الله فاك ،أي: لا يسقط الله أسنانك، فأصبح عمره مئة سنة ولم تسقط منه سن واحدة ، وكان من أحسن الناس ثغرًا . رواه البيهقي.

وسقى عمرو بن أحطب رسول الله (ﷺ) ماء في قدح من قوارير، فرأى فيه شعره بيضاء ، فأخذها فقال: اللهم جمله، فبلغ عمره ثلاثًا وتسعين سنة وما في عينه ورأسه شعرة بيضاء. رواه احمد.

ولما تلا رسول الله (ﷺ)﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١] قال عتيبة بن ابي لهب، كفرتُ برب النجم، فقال (ﷺ) : اللهم سلِّطْ عليه كلبًا من كلابك، فخرج عتيبة مع أصحابه في قافلة حتى إذا كانوا بالشام زأر أسد فجعلت فرائصه ترتعد، فقيل من أي شيء ترتعد؟ فو الله ما نحن وأنت في هذا إلّا سواء، فقال: إنّ محمدًا دعا عليَّ، لا والله ما أقلت هذه الأرض من ذي لهجة أصدق من محمد.

وبعد العشاء عند النوم أحاطوا به وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلًا رجلًا حتى انتهى إليه فمضغه مضغة، وهو يقول: ألم اقل لكم : إن محمدًا أصدق الناس، ثم مات. ذكر هذه القصة يعقوب الأسفراييني.

وأكل رجل عنده بشماله، فقال له : كل بيمينك، قال: مستهزئًا لا أستطيع، قال: لا استطعت، فما رفعها إلى فيه بعد، فشلّت يمينه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: أصاب الناس القحط وفقدان الماء فبينا رسول الله (ﷺ) يخطب قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادعو الله لنا أن يسقينا. قال: فرفع رسول الله (ﷺ) يديه وما في السماء أية قطعة رقيقة من السحاب ، قال فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر ينساب على لحيته، قال أنس فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقال ذلك الأعرابي أو رجل غيره : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادعو الله لنا أن يمسك عنا المطر، فتبسم الرسول(ﷺ) فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا فأخذ رسول الله (ﷺ) يشير بيده إلى

السماء، فما يشير إلى ناحية منها إلّا انقشع عنها الغمام حتى ابتعدت السحب عن المدينة وأحاطتها من جوانبها فأخذ المطر ينزل على الوديان والجبال المحيطة بها، حتى أصبح الماء يسيل في الوادي شهرًا، فلم يأت أحد من أطراف المدينة إلّا حدث الناس بغيث الله وجوده.

هيبته (ﷺ) : ومن معجزاته (ﷺ) خوف ألَدِّ أعدائه منه، فقد كان (أبو جهل) عمرو بن هشام من سادات قريش، وكان رجلًا قويًّا شجاعًا تهابه قريش ويسمعون كلامه، وهو في قومه يضاهي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حتى إنّ الرسول (ﷺ) دعا ربه أن يهدي أحدًا من هذين الرجلين فقال (ﷺ) يدعو ربه : اللهم أعزَّ الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام.

وكان رجل من قبيلة أراش ومعه جمال قدم بها إلى مكة لبيعها فاشتراها منه أبو جهل، ثم لم يعط ثمنها، وبعد مدة جاء هذا الرجل إلى مكة، ولم يكن يعرف بيت أبي جهل، فجاء إلى ناد مجتمع فيه المشركون، فقال يخاطبهم، يا معشر قريش من منكم يأتي معي إلى بيت أبي الحكم عمرو بن هشام ، وهكذا كان يلقب قبل أن لقبه الرسول (ﷺ) بأبي جهل فيأخذ حقي منه فإنّي رجل غريب ، عابر سبيل ، فقال له أهل ذلك المجلس، أترى ذلك الرجل؟ وهم يقصدون رسول الله (ﷺ) فقد كان جالسًا قريبًا منهم، هو الذي يستطيع أن يأخذ حقك منه، فاذهب إليه: فقد قالوا ذلك وهم يستهزئون به، كأنّهم يريدون أن يورطوا رسول الله (ﷺ) لأنّهم كانوا يعلمون شدة العداوة بينهما، فذهب هذا الرجل الأراشي إليه، فقال: يا عبد الله ؛ لأنّه لم يكن يعرف اسمه ولم يعلم بأنّه رسول الله : إنّ أبا الحكم مطلني حقي، فلم يعطني ثمن الإبل التي بعتها له وقد طالبته بثمنها عدة مرات فلم يأبه لي، وأنا رجل غريب عابر سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ حقي منه فأشاروا اليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله ، قال: تعال معي ننطلق إليه ، فلما رآوه قالوا لرجل منهم اتبعهما فانظر ماذا سيصنع أبو الحكم بمحمد، فذهب رسول

الله (ﷺ) ومعه الأراشي إلى بيت أبي جهل ، فطرق عليه الباب، فقال: مَن هذا؟ قال : محمد ، فاخرج إليَّ فخرج إليه وقد تغير واصفرّ وجهه. من شدة الخوف، فلمّا خرج قال له الرسول (ﷺ) : أعط هذا الرجل حقه، قال نعم، لا تبرح حتى أعطيه حقه، فدخل وخرج إليه مسرعًا ، فاعطى للرجل الأراشي ثمن الجمال التي اشتراها لم ينقص منها فلس واحد ، ثم انصرف رسول الله (ﷺ) وقال للأراشي، انصرف إلى حيث ما تريد، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، قد والله أخذ لي حقي فعجبوا لقوله، ثم جاء الرجل الذي بعثوه جاسوسًا لينظر من بعيد ماذا سيحدث، جاء إلى زملائه، فقالوا له: ويحك ماذا رأيت؟ قال: عجبًا من العجب، والله ما هو إلّا أن ضرب بابه فخرج وما معه روحه، يعني من شدة خوفه، فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل إليه بحقه فأعطاه إيّاه ، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك مالك؟ والله ما رأينا ما صنعتَ قط؟ ما رأيناك مثل هذه الحالة من قبل، فقال ويحكم، ما هو إلّا أن ضرب عليَّ بابي وسمعت صوته فَمُلِئْتُ رعبًا ثم خرجتُ إليه، فرأيتُ فوق رأسه فحلًا عظيمًا من الإبل (الجمال) ما رأيت مثل عظمته ولا عظمة رقبته ولا مثل أنيابه ، رأيته وقد فتح فاه ، والله لو أبيتُ ، لو لم أستجب لطلبه لأكلني ذلك الفحل.

كلام الجماد والحيوان : ومن معجزاته (ﷺ) أنّه قبض حصيات سبع ، وضعهنّ في كفه فسبّحنَ حتى سُمِع لهنّ طنين كطنين النحل ، وكان ذلك بحضرة أبي ذر وأبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) وهذا الحديث رواه البيهقي والطبراني.

وروي الترمذي عن علي كرم الله وجهه، قال: كنت أمشي مع النبي (ﷺ) في مكة فخرجنا إلى بعض نواحيها، فما استقبله حجر ولا شجر إلّا قال: السلام عليك يا رسول الله ، وقال رسول الله (ﷺ): إنّي لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث ، إنّي لأعرفه الآن . رواه مسلم.

وعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء ، فإذا مناد يناديه يا رسول الله فالتفتَ فلم ير أحدًا فإذا ظبية (غزالة) موثقة فقالت: ادنُ (اقترب) مني يا رسول الله، فدنا منها، فقال ما حاجتكِ؟ قالت : إنّ لي خشفين (ولدين صغيرين) في ذلك الجبل فحلّني حتى أذهب فأرضعهما ثم أرجع إليك قال: وتفعلين؟ قالت: عذبني الله بعذاب العشار إن لم أفعل، فأطلقها فذهبت فأرضعتْ خشفيها ثم رجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي فقال ألك حاجة بها يارسول الله؟ قال : نعم تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو وهي تقول أشهد أن لا غله إلّا الله ، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله ، أخرجه الطبراني عن المعجم الكبير.

وجاء أعرابي بضبٍّ وهو حيوان صحراوي صغير من جنس الزواحف يمكن قبضه وحمله باليد، جاء به إلى الرسول (ﷺ) وهو في مجلسه بين أصحابه رضي الله عنهم، فقال الأعرابي: واللات والعزى (يحلف بالأصنام) لا آمنتُ بك حتى يؤمن بك هذا الضبّ، فأخرج الأعرابي الضبّ من تحت إبطه وطرحه بين يدي رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ) : يا ضبّ ، فأجاب الضبّ بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعًا: لبيك وسعديك يا رسول الله ، فقال له رسول الله (ﷺ) : من تعبد يا ضبّ؟ قال الضبّ : الذي في السماء عرشه وعلى الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عقابه ، فقال رسول الله (ﷺ) فمن أنا يا ضبّ؟ فقال: أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، لقد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فآمن الأعرابي .

وعن عبد الله بن جعفر أنّ رسول الله(ﷺ) دخل بستان رجل من الأنصار وكان فيها جمل فلما رأى رسول الله (ﷺ) حنَّ فذرفت عيناه بالدموع ، فأتى إليه رسول الله (ﷺ) فمسح دموعه، فسكن ، ثم قال: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله، فقال: ألا تتقي

الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إيّاها ؟ فإنّه شكا إلي أنّك تجيعه وتتعبه في العمل . رواه الحاكم في المستدرك.

وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ) قال: هجم ذئب على شاة (غنم) فأخذها، فتبعة الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه، جلس، فقال الذئب للراعي، ألا تتقي الله ، تنزع مني رزقًا ساقه الله إلي ؟! فقال: يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بيثرب (بالمدينة) يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فجعل غنمه في زاوية من زوايا المدينة ثم أتى رسول الله (ﷺ) فأخبره بما رأى وسمع فأمر رسول الله (ﷺ) الصلاة جامعة، ثم خرج فقال الرسول (ﷺ) للراعي، أخبرهم، أي: أخبر أهل المدينة بما رأيت وسمعت فأخبرهم، فقال رسول الله (ﷺ) صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس . رواه أحمد والبيهقي.

ورواه أحمد ورجاله ثقات وفيه أنّ الرجل (الراعي) الذي كلمه الذئب كان يهوديًّا فأسلم وذكرت كتب السيرة ، أنّ اسمه : إهبان بن الأكوع بن عباد.

الإسراء والمعراج : أراد الله سبحانه أن يسلّي حبيبه المصطفى (ﷺ) وهو في مكة، مما أصابه من إعراض قومه عنه ومما لقي منهم من الأذى فبعث إليه جبريل في ليلة ومعه البراق وهو دابة بين البغل والحمار فأمر جبريل عليه السلام أن يصعد عليها رسول الله (ﷺ) فأُسري به في تلك الليلة إلى بيت المقدس في الشام والمسافة بين مكة وبيت المقدس مسيرة شهر في ذلك الوقت ثم من بيت المقدس عُرج به الى السماوات فاعتلاها حتى بلغ السماء السابعة ثم انتهى إلى سدرة المنتهى فتركه جبريل ؛ لأنّه مكان لم يبلغه قبله إنس ولا جانّ حتى أخذ يسمع فيها صريف الأقلام التي تكتب المقادير ثم جرى له ما جرى في هذه الرحلة ثم نزل إلى الأرض إلى بيت المقدس المكان الذي منه عرج ، فصلى الفجر فيه وعاد إلى بيته في مكه، كل ذلك في ليلة. لمّا أخبر رسول الله (ﷺ) قومه بأنّه قد أُسري به إلى بيت

المقدس وعُرج به إلى السماء كذبوه وصدقه أبو بكر (ﷺ) ثم قالوا له إنّ ما بين مكة والقدس مسيرة شهر وأنت تزعم أنّك ذهبت إليه وعدت في ليلة واحدة ، فإن كنت صادقًا فيما تقول فهات لنا علامات تدل على صدقك، فقال (ﷺ) إنّ من آية ما أقول لكم أنّي مررت بركب من الإبل (الجمال) تعود لكم في مكان كذا وكذا، يتقدمهم جمل أوصافه كذا وكذا يصلكم في يوم كذا، فلمّا كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريبًا من نصف النهار حتى أقبل الركب المؤلف من جمال أهل مكة يتقدمهم ذلك الجمل فرأوه على نفس الوصف الذي وصفه رسول الله (ﷺ). هذا ما رواه البيهقي، ثم قال: قال رسول الله (ﷺ): لمّا كان ليلة أُسري بي فأصبحت بمكة وعرفت أنّ الناس مكذبيَّ فقعدتُ معتزلًا حزينًا فمرّ بي أبو جهل فجاء حتى جلس بين يديه، فقال له كالمستهزئ هل كان من شيء؟ فقال رسول الله نعم قال: وما هو؟ قال إني أُسري بي الليلة قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فسكت عندئذ أبو جهل ولم يكذبه مخافة أن يبدل رسول الله (ﷺ) كلامه إذا دعا إليه قومه ليسمعوا منه ما سمع هو منه، فقال: أرايت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله (ﷺ) : نعم. فدعا أبو جهل بني كعب بن لؤي وجاء بهم إلى رسول الله (ﷺ) ثم قال: حدِّثْ قومك بما حدثتني، فقال رسول الله (ﷺ): إنّي أُسري بي الليلة ، فقالوا: إلى أين؟ قال إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم فصار القوم منهم من راح يصفق ومنهم من راح يضع يديه على رأسه متعجبًا ومكذبًا ثم قالوا: وهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى في القدس؟ وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال رسول الله (ﷺ) : فأخذت انعت لهم، أي اصف لهم معالم القدس ، إلّا أنّ الرسول (ﷺ) كان قد مرّ ببيت المقدس في فلسطين ليلًا فلم تتبين له كل معالمه، وصار القوم يكثرون من الأسئلة حتى التبس عليه بعض الوصف فيقول (ﷺ) : إنّه عندها كربتُ كربة ما كربتُ مثلها قط، فأوحى الله إلى جبريل أن يرفع المسجد الأقصى ويضعه بين يدي رسول الله (ﷺ) في تلك اللحظات الحرجة فأخذ القوم يسألون رسول الله (ﷺ) وأخذ هو عليه الصلاة والسلام ينظر إلى

المسجد الأقصى ويصف لهم ما يطلبونه ويجيبهم عن كل ما يسألونه حتى اعترف القوم بصدقه (ﷺ) وقالوا : أما النعت (أي الوصف) فو الله لقد أصاب . وهذا ما رواه الأئمة الثقات.

وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة، أنّ رسول الله (ﷺ) بعث دحية بن خليفة إلى قيصر ملك الروم (هرقل) فوجد أبا سفيان، وكان ذلك قبل إسلامه، فاستدعى هرقل مَن في الشام من التجار وجيء بأبي سفيان وقد كان وقتئذٍ من أعداء رسول الله (ﷺ) فأخذ هرقل يسأل أبا سفيان وأصحابه من التجار خلفه فكان يسأله عن أوصاف محمد (ﷺ) فيما يتعلق بنسبه وأخلاقه وما كان يدعوهم إليه فكان أبو سفيان يصدق في الإجابة بذكر السيرة الحسنة للرسول (ﷺ) وكان يتمنى لو يكذب عليه ليسيء من سمعة محمد (ﷺ) عند هرقل ، إلّا أنّه كما يقول لم يستطع أن يفعل ذلك خشية أن يكذبه التجار خلفه فيعلم بكذبه هرقل لذلك قال: والله ما منعني من أن أقول عليه قولًا أسقطه من عينه إلّا أنّي أكره أن أكذب عليه كذبة يأخذها علي ولا يصدقني في شيء ، حتى ذكرت قوله ليلة أُسري به قال: فقلت: أيّها الملك ألا أخبرك خبرًا تعرف أنّه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قال: قلت : إنّه يزعم لنا أنّه خرج من أرضنا أرض الحرم (مكة) في ليلة فجاء مسجدكم هذا (في القدس) مسجد إيليا ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح ، وكان أبو سفيان يتوقع أن يقول له قيصر ملك الروم بأنّ محمدًا قد كذب هذه المرة إلّا أنّه يفاجئ أبا سفيان ويؤكد له صحة ما رواه محمد (ﷺ) وصدقه ، فقال له أبو سفيان: وكيف علمت أنّه صادق في زعمه هذا؟ فقال له قيصر: إنّي كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد الأقصى، فلما كانت تلك الليلة، يقصد الليلة التي ذكر الرسول (ﷺ) أنّه أُسري فيها إلى بيت المقدس، قال: أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني فلم أتمكن من غلقه فاستعنت عليه بعمالي، ومَن كان معي فعالجناه نريد غلقه فلم نستطع جميعا أن نحركه

كأنّما نزاول به جبلًا، فدعونا إليه النجاجرة فنظروا إليه فقالوا: إنّ هذا الباب سقط عليه كذا وكذا ، فإنّنا لا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر ماذا حدث له، قال: فرجعت فتركت الباب مفتوحًا على مصراعيه فلما أصبحتُ جئت إلى المسجد في الصباح فوجدتُ الباب لا يزال مفتوحًا، فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربط لدابّة ، والرسول (ﷺ) ذكر أنّه حين وصل بالبراق غلى المقدس ربط البراق وهو الدابة التي ركبها في صخرة في ناحية المسجد، فقال: قيصر: فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة (أي: ما ترك هذا الباب مفتوحًا هذه الليلة) إلّا على نبي وقد صلى الليلة في مسجدنا.

وهرقل هذا حكم الروم إحدى وثلاثين سنه استمرت من عهد مبعث النبي (ﷺ) حتى خلافة عمر (رضي الله عنه) وقد كان مؤمنًا بأنّ محمدًا رسول الله وأنّ ملكه سيبلغ أرضه ، هذا ما كان يعلمه من الإنجيل الذي كان يدين به، وفي معركة مؤتة واجه المسلمون الروم وكانوا يبلغون مئتي ألف وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وقد عيَّن رسول الله زيد بن حارثة قائدًا لهذا الجيش ثم قال : إن قتل زيد يتولى القيادة من بعده جعفر بن أبي طالب ، وإن قتل جعفر يتولى القيادة من بعده عبد الله بن رواحة ، فلما واجه المسلمون هذا العدد الكبير من الروم في هذه المعركة قتل هؤلاء القادة الثلاثة من صحابة رسول الله (ﷺ) فبحث المسلمون عن قائد لهم فبرز خالد بن الوليد (رضي الله عنه) الذي استطاع أن ينسحب من هذه المعركة بسلام ، فأراد الرسول (ﷺ) أن يثأر من الروم، فجهز جيشا قاده بنفسه وتوجه به لقتال الروم في غزوة سميت غزوة تبوك ، فجهز هرقل جيشًا كبيرًا لمواجهة جيش محمد (ﷺ) الذي استطاع أن يدخل القرى والمدن التي كانت تحت سيطرة الروم وكان حكام هذه القرى والمدن عملاء لهم، وأصبح جيش محمد (ﷺ) قريبًا من جيش هرقل الذي كان يفوق جيش المسلمين عددًا وعدة، إلّا أنّ هرقل لم يحرك ساكنًا ، ولم يبعث

جنديًّا واحدًا من جنوده ليقاتل جنود المسلمين على الرغم من أنّه لو فعل لاستطاع أن ينتصر، إلّا أنّه لم يفعل شيئًا من هذا ، والسرّ في ذلك أنّ هرقل كان يعلم أنّ محمدًا رسول من الله وأنّ الله سبحانه سيحقق له ما يريد وأنّ جيشه سيصل الشرق والغرب بفتوحاته،

والرسول (ﷺ) أسري به الى القدس وعرج به من هناك الى السماء السابعة وإلى سدرة المنتهى حتى بلغ المكان الذي تركه فيه جبريل عليه السلام وسمع فيه صريف الأقلام التي تكتب أقدار الناس ، تم ذلك في ساعة من ليلة بروحه وبجسده نفسه ، وقد استقبله الأنبياء عند القدوم وودعوه حين هم بالرجوع إلى مكة وصلى بهم إمامًا ؛ ليكون ذلك إشارة إلى أنّه (ﷺ) سيد الرسل والأنبياء في الدنيا والاخرة.

والرسول (ﷺ) حين أسري به الى بيت المقدس ربط الدابّة بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخل في المسجد الأقصى ، وصلى به ركعتين ثم عرج إلى السماوات واعتلاها سماء بعد سماء ، فرأى فيها عددًا من الرسل والأنبياء، فقد رأى ابني الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام في السماء الثانية ويوسف عليه السلام ، وقد أعطى شطر الحسن في السماء الثالثة ، وإدريس عليه السلام في السماء الرابعة ، وهارون عليه السلام في السماء الخامسة وموسى عليه السلام في السماء السادسة، وكلٌّ منهم كان يرحب به ويدعو له بالخير ، ثم صعد إلى السماء السابعة فرأى فيها إبراهيم عليه السلام أبا الأنبياء ثم اعتلاها إلى سدرة المنتهى وعندها أوحى الله إلى نبينا محمد (ﷺ) ما أوحي وعندها فُرضتْ على أمّته الصلاة خمسين مرة في كل يوم ثم نقصت فصارت خمس صلوات . هذا ما رواه الشيخان، البخاري ومسلم. وفي حديث الإسراء والمعراج أنّ الرسول (ﷺ) رأى في السماء الأولى رجلًا وعن يمينه أسودة (أي: أسودة خلق كثير من الناس) إذا نظر إليهم ضحك ، وعن شماله أسودة إذا نظر إليهم بكى، فسأل رسول الله (ﷺ) جبريل: من هذا

الرجل وما شأنه؟ فقال: إنّه آدم عليه السلام ، والأسودة التي عن يمينه ذريته من أهل الجنة إذا نظر اليهم ضحك، والأسودة التي عن شماله ذريته من أهل النار إذا نظر إليهم بكى

انشقاق القمر : ومن معجزاته (ﷺ) انشقاق القمر قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر ١-٢].

روى البخاري ومسلم وغيرهما أن أهل مكة من المشركين سألوا رسول الله (ﷺ) أن يريهم آية ، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنوات، فقالوا له: إن كنت صادقًا فشقّ لنا القمر فرقتين ، فسأل رسول الله (ﷺ) الله أن يعطيه هذه الآية فخرج بهم إلى الفلاة في ليلة صافية في ليلة الرابع عشرة ، أي: عندما كان القمر بدرًا، فأشار إليه رسول الله (ﷺ) والملأ حوله ينظرون، بأن ينشق فانشق بإذن الله القمر نصفين، فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل ورسول الله (ﷺ) ينادي : أيّها الناس اشهدوا ، أي: اشهدوا لي هذه المعجزة، ومدة الفلق استمرت بضع ساعات، إلّا أنّ المشركين مع ذلك لم يسلموا، فقد قالوا: سحرنا محمد، فقال رجل منهم وهو أبو جهل : إن كان سحرنا فإنّه لن يستطيع أن يسحر أهل الأرض كلهم فاسالوا مَن ياتيكم من بلد آخر، فإن كانوا قد رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر.

فخرج كثير من قريش إلى مداخل مكة ووقفوا ينتظرون القادمين من السفر ، وسألوهم عن انشقاق القمر فقالوا : رأيناه فلقتين، ومع ذلك أصروا على كفرهم فقالوا : هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ وقال بعضهم: هذا سحر ابن ابي كبشة ، يزعم المشركون أنّه جدّ محمد (ﷺ) من أُمّه وقد قال (ﷺ) يوم انشق القمر نصفين بجاهه يا أيّها الناس اشهدوا، وقد استجاب الله لدعاء الرسول (ﷺ) فها هي أوربا تؤكد هذه الحقيقه، فعند صعود الإنسان على سطح القمر في النصف الثاني من القرن الماضي ١٩٦٩م لاحظ الرواد شقًّا طويلًا يمتد على طول السطح ، والمعروف فلكيا أنّ نصف القمر يكون

في ليل دائم لا يرى نور الشمس ونصفه الثاني يكون في نهار دائم ، فلمّا صعد الرواد على سطح القمر بوساطة مركبة فضائية أمريكية هبطوا على سطحه المظلم ؛ لأنّ سطحه المنير ساخن لا يمكن تحمله ، فوجدوا شقًّا واديًا يمتد على طول سطح القمر فجلب انتباههم فأخذوا تربة وصخورًا منه، فعند نزولهم إلى الأرض فحصوا هذه الصخور أو التربة فتاكد لهم بأجهزة متطورة أنّ هذه العينات كانت قد سقطت عليها أشعة الشمس في زمن مضى وتبين لهم بالفحص أنّ هذا الزمن يمتد إلى حوالي أربعة عشر قرنًا، وهو القرن الذي بعث فيه رسول الله (ﷺ) وعلى أثر ذلك نشر القسم العلمي من جريدة التايمس اللندنية ، في شباط سنة ١٩٧٢م مقالة تحت عنوان (Mohammad Cut the Moon) أي : محمد يقطع القمر ، وقد أذاعت هذا الخبر أيضًا في حينه محطة الشرق الأوسط القاهرية.

كما نشرت جريدة الإنسان التي كانت تصدر في الإستانة خبرًا مترجمًا عن الصحف الأجنبية مفاده : أنّ الاثريين الصينيين عثروا على بناء قديم مكتوب فيه : أنَّه بُني عام كذا الذي وقع فيه حادث سماوي عظيم ، وهو انشقاق القمر نصفين ، فحرر الحساب فوافق السنة التي انشق فيها القمر عند مبعث الرسول (ﷺ) وهذا يعني أنّ القمر عندما انشق بدعاء الرسول (ﷺ) رأى هذه المعجزة الناس شرقًا وغربًا إلّا أنّهم ما كانوا يعلمون سبب ذلك.

هذه المعلومات ذكرها الدكتور حسن ضياء الدين عتر في كتابه : بينات المعجزة الخالدة ، والدكتور محمد السماحي في أطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلًا بالهند مكتوبًا عليه أنّه بني في الليلة التي انشق فيها القمر ، البداية والنهاية {٦/٧٧} وفتح الباري{ ٧/١٨٣-١٨٦}.

وانشقاق القمر نصفين يعد معجزة ورجوع هذين الشقين والتحامهما معجزة نبوية اكبر.

تكثير الطعام : عن أنس (ﷺ) قال : قال أبو طلحة لزوجته أم سليم لقد سمعت صوت رسول الله (ﷺ) ضعيفًا فشعرت بجوعه فهل عندكِ شيء من طعام : فقالت نعم، فأخرجتْ أقراصًا من خبز الشعير ثم أخرجتْ خمارًا ، قال أنس : فلفّت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ، ثم أدارت ببعضه على رأسي فجعلته كالعمامة، ثم أرسلتني إلى رسول الله (ﷺ) بهذا الطعام الذي لا يشبع إلّا رجلًا أو رجلين فذهبتُ به فوجدتُ الرسول (ﷺ) في المسجد ومعه الناس فسلمتُ عليه ، فقال لي رسول الله (ﷺ) أرسلك أبو طلحة؟ فقلت نعم، قال بطعام؟ قلت نعم، فقال رسول الله (ﷺ) لمن معه من الناس قوموا فانطلقوا وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله (ﷺ) بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى أتى النبي (ﷺ) فأقبل (ﷺ) معه حتى دخلا فقال (ﷺ) : يا أم سليم هلمّي ما عندك ، فأتت بذلك الخبز فأمر رسول الله (ﷺ) أن يُفَتَّ فَفُتَّ، أي: قُطِّع قطعًا ، ثم صبّت السمن على أقراص خبز الشعير، ثم دعا رسول الله (ﷺ) فيه ما شاء من الأدعية والناس واقفون على الباب، فقال (ﷺ) لأبي طلحة إئذن لعشرة منهم فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ثم قال إئذن لعشرة أخرى ، فأذن لهم فدخلوا وأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، وهكذا أخذ القوم يدخلون ويأكلون حتى يشبعوا عشرة عشرة فأكل القوم كلّهم والقوم سبعون رجلًا او ثمانون. رواه البخاري وأنس بن مالك (ﷺ) أُمه أم سليم.

وبعد أن أطعم رسول الله (ﷺ) صحابته أكل وأكل معه أبو طلحة وأم سليم وخادمه أنس (رضي الله عنهم) وفي رواية يقول : من ثم بقيت فضلة من هذا الطعام أهديناها لجيراننا .

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: لما حفر الخندق رأيت الرسول (ﷺ) يشكو ألم الجوع فجئت

الى امرأتي وقلت لها، هل عندك شيء فقالت: صاع من شعير وشاة، قال: فذبحتها وطحنت الشعير وجعلته عجينًا ثم قطعت لحم الشاة وجعلته في قدر، فقالت لي امرأتي، لا تفضحني برسول الله ومن معه قال: فجئته فساررته، فقلت يا رسول الله إنّا قد ذبحنا شاة لنا وطحنا صاعًا من الشعير كان عندنا فتعال أنت مع عدد قليل من الرجال فصاح رسول الله (ﷺ) وقال: يا أهل الخندق، وكانوا حوالي ألف رجل: إنّ جابرًا قد صنع لكم وليمة، وإنّه يدعوكم جميعًا إليها، ثم قال لي رسول الله (ﷺ) لا تكبَّ القدر ولا تخبز العجين حتى آتيك وجئت وجاء رسول الله (ﷺ) حتى جئت امرأتي، فاخذتْ تلومني وتعاتبني ؛ لأن الرسول (ﷺ) قد أتى بأهل الخندق كلهم قلت لها : قد فعلتُ الذي قلتِ لي إلّا أنّ الرسول (ﷺ) قد دعا القوم جميعًا، فأخرجتُ للرسول (ﷺ) عجينتنا فبصق فيها وبارك فيها ثم جاء إلى القدر الذي فيه لحم الشاة وقد طبخ وبصق فيه وبارك؟ ثم قال لامرأتي: ادعي خابزه فلتخبز معك وأغرفي من القدر ولا تنزليه أو تكبيه ، فأقسم جابر بالله أنهم أكلوا جماعة بعد جماعة حتى شبعوا جميعًا وانحرفوا عن الطعام وإنّ برمتنا (أي: قدر الطعام بقي يغلي كما هو) وإنّ عجينتنا بقيت تخبز منها كما هي .

وفي حديث رواه البخاري عن أبي هريرة (ﷺ) قال أبو هريرة ، والذي لا إله إلّا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يومًا في طريقهم الذي يخرجون منه فمرَّ بي أبو بكر (ﷺ) فسألته عن آية في كتاب الله ما سألته إلّا من أجل أن يلحظ ما بي من الجوع فيدعوني أن اتّبعه إلى بيته فمرّ فلم يفعل ؛ لأنّه لم يفطن إلى ما كان يعانيه أبو هريرة ، ثم مرّ عمر فسألته عن آية في كتاب الله ما سألته إلّا ليلحظ ما بي من جوع فيدعوني أن اتّبعه إلى بيته فمرّ ولم يفعل ، ثم مرّ أبو القاسم (ﷺ) فتبسم حين رآني فعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال : يا أبا هريرة : قلت لبيك يا رسول الله قال: الحق بي فمضى فاتّبعته ، يعني قال لي : أدركني وامشِ ورائي ومشى رسول الله (ﷺ) إلى بيته فمشيت وراءه ، فاستأذن فأُذن له فدخل أحد بيوت زوجاته فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن؟ قالوا: اهداه لك فلان أو فلانة ،

قال: يا أبا هرّ وفي رواية : يا أبا هريرة ، قلت لبيك يا رسول الله ، قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، يعني: اذهب اليهم وقل لهم إنّ رسول الله (ﷺ) يدعوكم ، وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، فقد كانوا فقراء يعيشون في المسجد النبوي لا أهل عندهم ولا مال ، وكان (ﷺ) إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئًا ؛ لأنّ الصدقة حرمت عليه وعلى أهل بيته ، وإذا اتته هدية أرسل إليهم وأصاب وتناول منها شيئًا وأشركهم فيها ، يقول أبو هريرة (رضي الله عنه) : إنّه لما طلب أن ادعو هؤلاء الفقراء ساءني ذلك ؛ لأني خشيت أن لا يبقى شيء من اللبن فقلت ، وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاؤوا أمرني ، فكنت أنا أعطيهم وكانوا لا يقلّون عن أربعين رجلًا ، فقلت وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة رسول الله (ﷺ) بدّ ، أي: كان من الواجب عليَّ أن أطيع أمر رسول الله (ﷺ) فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: يا أبا هرّ: قلت لبيك يا رسول الله ، قال: خذْ فأعطهم، فأخذتُ القدح فجعلتّ أعطيه الرجل فيشرب حتى يرتوي ، ثم يردّه عليَّ حتى اكتفوا وشبعوا جميعًا ثم انتهيت إلى النبي (ﷺ) وقد روى القوم كلّهم فأخذ القدح فوضعه على يده فتبسم ؛ لأنّ القدح بقي كما هو لم ينقص منه قطرة لبن فقال: يا أبا هريرة فقلت: لبيك يا رسول الله ، قال: بقيت أنا وأنت؟ قلت: صدقت يا رسول الله قال: اقعد فاشربْ فشربتُ، فقال: اشربْ فشربتُ ، فما زال يقول اشربْ حتى قلتُ : لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا لامتلاء جوفي ، ثم قال لي : فأعطني القدح فأعطيته القدح ، فحمد الله تعالى وسمّى يعني قال: بسم الله، فشرب الفضلة . رواه البخاري وغيره والحاكم وقال صحيح على شرطهما.وقد تصرفنا ببعض ألفاظه .

وهذا الحديث من أعلام النبوة ؛ فإنّ ما في القدح من اللبن ما يكفي إلّا لواحد أو اثنين فاتساعه لهذا العدد الكثير آية ظاهرة ، وتأمَّلْ كيف أنّ الرسول (ﷺ) كان إذا جاعت رعيته جاع قبلهم ، وكان لا يشبع نفسه إلّا بعد أن يطمئنّ بأنّ رعيته جميعًا قد شبعوا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، يومًا بتمرات ، فقلتُ يا رسول الله : ادع فيهنّ بالبركة ، فضمهنَّ ، ثم دعا لي فيهنَّ ، ثم قال : خذهنَّ فاجعلهنَّ في مزودك هذا ، أو في هذا المزود ، فكلّما أردتَ أن تأخذ منه شيئًا ، أدخل يدك فيه ، وخذ ، ولا تنثره نثرًا ففعلتُ ، فلقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله ، فكنَّا نأكل منه ونطعم ، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قُتل عثمان ، رضي الله عنه ، انقطع ، رواه الترمذي,

والمزود : وعاء صغير من جلد ، أو نحوه يوضع فيه صاحبه زاده وطعامه .

والحقو : خصر الإنسان ، أي : ما كان أعلى البطن

والمعنى : أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه وضع هذه التمرات في مزوده ، كما أمره رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وربط هذا المزود على بطنه ، وكان يُخرج منه تمرات يأكلها كلما جاع ، ولم يجد له طعامًا غيرها ، وكان يُطعم منها من يشاء في سبيل الله في إقامته ، وأسفاره ، فبقي على هذا الحال يأكل منها ، هو ومن يصاحبه في زمن رسول الله ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي زمن أبي بكر ، حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه ، وفي زمن عمر بن الخطاب حتى توفي عمر رضي الله عنه ، وفي زمن عثمان بن عفان ، حتى قُتل عثمان رضي الله عنه ، وفي زمن وقوع هذه الفتنة ، واستشهاد عثمان رضي الله عنه ، انقطع هذا المزود وسقط من بطنه وضاع ، في إحدى جولاته ، فقيل لأبي هريرة : ما مقدار أكلك من هذه التمرات خلال هذه المدة الزمنية الطويلة ؟ فقال كذا وكذا من وسق ، يعني : أكل منها عشرات ، أو مئات من الأوساق ، والوسق الواحد ، هو ما يساوي اليوم حوالي ١٢٠ كيلو غرام

سجود الجمل بين يديه (ﷺ) : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يستخدمونه لسقيهم وقضاء حوائجهم فمنعهم ظهره ، فلم يستطيعوا ركوبه ، فجاء الأنصار إلى رسول الله (ﷺ) فذكروا قصة جملهم بأنّه عاد لا يسقي نخلهم وزرعهم فعطش النخل والزرع ، فقال رسول الله (ﷺ) لأصحابه قوموا

فقاموا فدخل رسول الله (ﷺ) البستان التي فيها جمل الأنصار، والجمل في ناحية البستان فمشى رسول الله (ﷺ) نحوه فقال الأنصار: يا رسول الله قد صار مثل الكلب وإننا نخاف عليك صولته ونخاف أن يؤذيك فقال رسول الله (ﷺ) : ليس عليَّ مني بأس، فلمّا نظر الجمل إلى رسول الله (ﷺ) أقبل نحوه ، أي: أقبل الجمل نحو الرسول (ﷺ) حتى خرّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله (ﷺ) بناصيته ، أي: بمقدمة رأسه وقد استذل للنبي (ﷺ) أيّما استذلال حتى أدخله في العمل ، فصار الجمل يسقي الزرع والنخيل ويعمل للأنصار. فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال رسول الله (ﷺ): لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . وهذا الحديث روي عن أنس بن مالك خادمه (ﷺ).

نبع الماء من بين اصابعه (ﷺ) : ومن معجزاته (ﷺ) نبع الماء من بين أصابعه، وقعت أيضا في عدة مناسبات، منها ما جاء عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي (ﷺ) بين يديه ركوة (والركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء) فتوضأ فجهش الناس نحوه (أي: أسرع الناس نحوه) فقال ما بكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلّا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور (ويتدفق) من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، وقد قيل لجابر كم كنتم (في ذلك المكان واليوم) قال: لو كنا مئة ألف رجل لكفانا، كنا خمس عشرة مئة (يعني كنا ألف وخمسمئة رجل) هذا ما رواه البخاري في صحيحة.

وفي مناسبة أخرى أنّ المرسول (ﷺ) كان مع صحابته في أرض صحراء يبحث صحابته عن الماء واستدعى امرأة كانت عندها قربتان لا ماء فيهما ،. وكانت هي الأخرى خرجت من بيتها تبحث عن ماء للشرب لها ولأولادها فقيل لها : إن رسول الله (ﷺ) يدعوكِ، فقالت: وما رسول الله هذا الصابئ؟ قالوا : إنّه يدعوك فجيء بها إليه، فبدعائه (ﷺ) جعل الماء يتدفق من قربتيها فاستقى من قربتيها أُناس آخرون حتى ملؤوا ما عندهم من قرب

وأوانٍ، فذهبت إلى أهلها وقومها فقالت لهم : إنّي قد جئتكم من رجل هو أسحر الناس أو هو نبي كما يقولون ، ثم أسلمت وأسلم قومها.

انقياد الشجر له (ﷺ) : ومن معجزاته (ﷺ) انقياد الشجر له، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال سرنا مع رسول الله (ﷺ) حتى نزلنا واديًا فسيحا (أي: واديًا واسعًا) فذهب رسول الله (ﷺ) يقضي حاجته فأتبعته بأداوة من ماء (والأداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء) فنظر رسول الله فلم ير شيئًا يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي. فانطلق (ﷺ) إلى أحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال. لها : انقادي. عليَّ بإذن. الله فانقادت. معه (أي:. سارت. معه). حتى أتى المشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي عليَّ بإذن الله فانقادت معه كذلك حتى إذا كان. بالمنصف مما بينهما (أي:. إذا. جعل نفسه بينهما لأم بينهما (أي:. جمع بينهما). فقال:. التئما عليَّ بإذن. الله فالتأمتا (ثم قضى حاجته مستترًا بظلهما) ويذكر جابر (ﷺ) شاهد هذه المعجزة بنفسه أنّه بعد ذلك صرف نظره عن رسول الله (ﷺ) وأخذ يفكر في أمر هذه المعجزة التي لم يرها أحد غيره ، قال ثم التفتُ إليه فرأيتُ رسول الله (ﷺ) يؤمئ برأسه اليهما كأنّه يريد أن يصرفهما عنه وأن تعود كل واحدة منهما إلى مكانها فعادتا إلى موضعهما السابق ، فأقبل اليَّ رسول الله (ﷺ) فقال: هل رأيتَ مقامي يا جابر؟! قلت نعم يا رسول الله.

وسأل أعرابي النبي عليه الصلاة والسلام أن يريه آية تدل على أنّه رسول الله ، فقال له الرسول (ﷺ) يشير إلى شجرة قريبة ، قل لتلك الشجرة أنّ رسول الله يدعوك فدعاها فجاءت إليه تشق الأرض شقا حتى وقفتْ بين يدي رسول الله (ﷺ) وقالت: السلام عليك يا رسول الله ، فقال الأعرابي لرسول الله (ﷺ): مرها فلترجع إلى منبتها فأمرها أن ترجع فرجعت إلى مكانها، فقال الأعرابي: آمنت بالله وبرسوله.

حنين الجذع له (ﷺ) : كان مسجد الرسول (ﷺ) الذي يخطب فيه مسقوفًا بجريد النخل، وكانت الجذوع له كالأعمدة وكان الرسول (ﷺ) يخطب

قائمًا واقفًا على رجليه معتمدًا متكئًا على جذع نخل منصوب على يمين المحراب، فإذا طال وقوفه (ﷺ) أو شعر بالتعب وضع يده الشريفة على ذلك الجذع وظلّ على هذه الحال مدة من الزمن ، فلما كثر عدد المصلين وضاق المسجد بأهله عاد رسول الله (ﷺ) لم يُرَ من قِبَلِ أكثر المصلين إذا وقف في مقدمة المسجد يضاف إلى ذلك تقدم سنّه (ﷺ) مما جعل الصحابة (رضي الله عنهم) يشفقون عليه إذا طال وقوفه ؛ لذا اقترحت امرأة له أو رجل هو تميم الدارمي أن يصنعوا له منبرًا فقال له بعضهم يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه فإنّ لي غلامًا نجارًا فنصنع لك منبرًا تقوم عليه يوم الجمعة فيسمع الناس خطبتك فقال، نعم فوافق (ﷺ) على ذلك فصنعوا له منبرًا من طرفاء الغابة مؤلفًا من ثلاث درجات ، فلما جاء يوم الجمعة خرج رسول الله (ﷺ) من باب الحجرة الشريفة يريد المنبر ليخطب عليه فلما جاوز الجذع الذي كان يخطب عنده وصعد المنبر وترك الاتّكاء على جذع النخلة التي كان يتكئ عليها في كل خطبة من يوم الجمعة ، فإذا بالنخلة هذه تصيح وتكاد تنشق من صياحها وتئن أنينًا شديدًا حتى ارتج المسجد وتساقط الغبار وتشقق الجذع فلم تهدأ حتى تأثر الصحابة (رضي الله عنهم) وبكوا لبكائها، فلمّا سمع النبي (ﷺ) صياحها وبكاءها نزل من على منبره ومشى إليها ثم وضع يده عليها فضمها إليه فجعلت تئنّ أنين الصبي الذي يُسَكَّت، أي: أصبح حاله حال الصبي الذي يبكي فتحضنه أُمه وتحاول أن تسكته حتى استقرت وسكنت وهدأت وانقطع بالتدريج انينها وصياحها وبكاؤها ، وفي رواية سمعنا أي: مَن كان حاضرًا في المسجد سمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار الناقة التي مرّ على حملها عشرة أشهر، وفي رواية إذ جأر الجذع كجؤار الثور، فنزل إليه رسول الله (ﷺ) ومشى إليه فالتزمه وهو يخور، أي: يصيح صياح البقرة فلما التزمه سكت، ثم قال رسول الله (ﷺ) يحلف ويقسم بالله ، والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه وأضمه اليَّ لظل

هكذا يصيح ويبكي ويئنّ الى قيام الساعة حزنًا على رسول الله (ﷺ) ، وقد أمر الرسول (ﷺ) بالجذع أن يدفن فدفن. وفي رواية أنه حين أتى الرسول (ﷺ) إلى الجذع والجذع يحنُّ إليه ويبكي وحين وضع يده الشريفة عليه ومسحه ثم ضمه (ﷺ) بين يديه إلى صدره الشريف خاطب الرسول (ﷺ) الجذع وخيّره بين أن يكون شجرة في الجنة تشرب عروقه من أنهار الجنة وعيونها ويأكل منه المؤمنون فيها، وبين أن يعود شجرة مثمرة في الدنيا، ذلك بأن يعيده إلى بستانه الذي كان فيه فيثمر من جديد ويأكل منه المؤمنون في الدنيا ، فاختار الجذع الذي هام بحبّ محمد (ﷺ) واشتاق إليه أن يكون شجرة في الجنة ، فقال عليه الصلاة والسلام: أفعل إن شاء الله ، أفعل إن شاء الله ، أفعل إن شاء الله فحين ذاك سكن الجذع وهدأ وانقطع بكاؤه .

وقال أبو القاسم البغوي رحمه الله : كان الحسن البصري إذا حدّث الناس بهذا الحديث بكى ثم كان يقول لمن يحدثهم : يا عباد الله إن الخشبة تحنُّ إلى رسول الله (ﷺ) شوقًا إليه لمكانه من الله فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا اليه.

هذا مارواه البخاري والترمذي وأحمد والشافعي وغيرهم عن جابر (رضي الله عنه) فهذا رسول (ﷺ) سيد الانبياء والمرسلين سخّر له الحجر والشجر والحيوان بإذن الله تسلّم عليه أو تكلمه ويكلمها وتمشي إليه، بل سخر له الجنّ لولا دعوة سليمان، فقد رأى رسول الله (ﷺ) وهو ذاهب إلى المسجد شيطانًا فأمسك به رسول الله (ﷺ) وأوشك أن يربطه إلى سارية المسجد (إلى عمود من أعمدته) ليتفرج عليه الغلمان، ولكنه قال (ﷺ) : تذكرت دعوة أخي نبي الله سليمان قال : (ﷺ) فاطلقتُ سراح هذا الشيطان ؛ ذلك أنّ سليمان عليه السلام كان الله سبحانه قد استجاب دعوته حين دعا ربه (قال رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) ومن هذا الملك تسخير الشياطين له.

لذلك لم يقدم رسول الله (ﷺ) إلى أن يطلب من الله سبحانه أن يسخّر له الشياطين احترامًا لسليمان عليه السلام.

حديثان في الكاسيات العاريات : من معجزاته (ﷺ) أنّه أخبر عن النساء الكاسيات العاريات اللواتي سيظهرن في آخر الزمان، وهنّ من أمّته (ﷺ) فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : يكون في آخر أمتي (يعني في آخر الزمان قبل قيام الساعة) رجال يركبون على سرج (والسرج بضم السين والراء ما يوضع على ظهر الحصان) كأشباه الرجال (أي: أنّ هذه السرج عالية ضخمة كأنّها رجال) ينزلون على أبواب المساجد (يعني أنّهم لزيادة الترف والإغراق في النعيم يذهبون إلى المساجد راكبي جيادهم، جمع جواد، وهو الفرس أو الحصان فلا ينزلون عنها إلّا على أبواب المساجد) نساؤهم كاسيات عاريات (يعني أنّهنّ يقصرن ثيابهنّ فيكشفن عن بعض أجسادهن كالسيقان والأذرع والصدور ، كما نراه اليوم في نساء هذا الزمان، وقيل المراد أنّها تلبس ثوبًا رقيقًا يصف حجم عظامها ويكشف عما تحته من جسدها فكأنّها عارية) على رؤوسهنّ كأسمنة البخت العجاف (والأسنمة جمع سنام وهو أعلى ظهر الجمل والبخت : نوع من الجمال، والعجاف: المهازيل..... رواه ابن حيان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، ويخيل لمن يقرأ هذا الحديث أنّ النبي (ﷺ) كان يعني نساء هذا الزمان اللاتي يخرجن من بيوتهنّ ويمشين في الأسواق وهنّ قد قصرن ثيابهنّ وكشفن عن أفخاذهنّ ولبسن في رؤوسهنّ الباروكات ونحوها كأنّها أسنمة الجمال.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما (يعني: لم يكنَّ في حياتي ولكن سيظهرن في آخر الزمان) قوم معهم سياط كأذناب البقر (أي معهم سياط من جلد تشبه آذان البقر) يضربون بها الناس (ظلمًا وتجبّرًا) ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات (يعني أنهنّ يمشين متبخترات مميلات لأكتافهنّ ورؤوسهنّ، ومائلات يعني أنّهنّ مائلات منحرفات عن طاعة الله ، وقيل في معنى مميلات أنّهن لتبرجهنّ وزينتهنّ يجعلن الرجال يميلون اليهنّ) رؤوسهنّ كأسنمة البخت

المائلة(لأنهنّ بالغن في تصفيف شعورهنّ) لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . رواه مسلم وأحمد أي: أنهنّ لا يدخلن الجنة ولا يشمن ريحها مع أنّ ريحها يُشمُّ من مسافات بعيدة أي يُشمُّ من مسيره أربعين عامًا كما جاء في الحديث.

خمس خصال : عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : كنّا عند رسول الله (ﷺ) فقال: كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس خصال، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهنّ (أي: دعا الرسول (ﷺ) أن لا تكون هذه الأمور في عهده أو عهد صحابته بعد وفاته) ما ظهرت الفاحشة (أي: الزنا) في قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلّا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم (يعني: لم تكن في آبائهم وأجدادهم الذين مضوا قبل أن تظهر هذه الفاحشة ولعل من هذه الأوجاع والأمراض مرض الآيدز) وما منع قوم الزكاة إلّا منعوا القطر من السماء (أي: حبس عنهم المطر) ولولا البهائم لم يمطروا وما بخس (أي: نقص) قوم المكيال والميزان إلّا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة (أي: أصابهم القحط والجدب وثقل المعيشة) وجور السلطان (أي: سلط عليهم ظلم الحكام عليهم) ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله (في القرآن) إلّا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما في أيديهم (أي: استلبوا منهم بعض أموالهم وأرضهم وبلادهم) وما عطلوا كتاب الله ولا سنة نبيه إلّا جعل الله بأسهم بينهم (أي: يتعادون ويقتل بعضهم بعضًا) رواه البيهقي ورواه الحاكم بنحوه من حديث بريدة وقال: صحيح على شرط مسلم.

الموعظة الثالثة والعشرون : هرقل وصورة محمد (ﷺ)

عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال بُعثتُ أنا ورجل آخر من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام وكان ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، حتى إذا وصلنا قصر ملك الروم استضافنا هرقل وأكرمنا فأقمنا عنده ثلاث ليال ، فأرسل إلينا ليلا فدخلنا عليه ثم جلب إلينا صندوقًا كبيرًا مذهبًا ، أو إناءً مربعًا فيه بيوت صغار عليهاأبواب ففتح بابًا وقفلًا واستخرج حريرة سوداء وإذا فيها صورة رجل ضخم

العينين عظيم الهيئة لم نر مثل طول عنقه له ظفيرتان من شعر رأسه وليست له لحية جميل الصورة ، قال هرقل لنا: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا: قال: هذا أدم عليه السلام، أي: هذه هي صورته حقيقة.

ثم فتح لنا بابًا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء ، أحمر العينين ضخم الرأس حسن اللحية فقال لنا: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا قال: هذا نوح عليه السلام.

ثم فتح بابًا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة رجل شديد البياض، حسن العينين، أبيض اللحية، كأنه يبتسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا ابراهيم (عليه السلام).

ثم فتح لنا بابًا آخر فإذا فيه صورة بيضاء، قال أتعرفون من هذا؟ فصحنا: الله أكبر ، إنّه محمد نبينا إنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّه هو بعينه كما رأيناه وعشنا معه فبكينا، قلنا: نعم إنّه لهو كأننا ننظر إليه فأمسك ساعة ينظر إلينا ثم قال : أما إنّه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم ، أي : أن صورته (ﷺ) كانت آخر الصور إلّا أنّ هرقل ملك الروم أخرجها قبل إخراج بقية صور الأنبياء ليرى صدق الوفد الإسلامي، بأنّ هذه الصورة التي كان هرقل يعلم أنّها صورة آخر الأنبياء محمد (ﷺ) فإذا قالوا بأنّنا نعرفه علم بأنّ الذي أُرسل اليهم ورأوه وعاشوا معه هو محمد نفسه (ﷺ) الذي كان هرقل قد عرف اسمه ورأى صورته من الإنجيل وكتب النصرانية.

ثم قال هشام بن العاص: فأخذ هرقل يرينا صور الأنبياء واحدًا تلو آخر ويعرفنا بأشكالهم وأسمائهم ٠

قال ابن العاص: فقلنا لهرقل : من أين لك هذه الصور؟ وإننا نصدقك بأنّها صور الأنبياء ؛ لأننا رأينا صورة نبينا محمد (ﷺ) كما هي فقال : إنّ آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم، وكان

في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال ثم توارثها الملوك حتى وصلت إليَّ.

قال: فلما أتينا أبا بكر رضي الله عنه حدثناه بما رأينا عند هرقل ملك الروم وبما استقبلنا به من حسن الضيافة والتوديع قال: فبكى أبو بكر (ﷺ) وقال: مسكين هرقل ، لو أراد الله ، عز وجل به خيرًا لأسلم ، ثم قال أبو بكر (ﷺ) : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّهم ، أي النصارى، واليهود، يجدون نعت محمد، أي: صفته (ﷺ) عندهم في التوراة والإنجيل.

وكان هرقل هذا نفسه في بداية توليه عرش الروم لما سمع بمبعث النبي (ﷺ) قدم إلى حمص في سورية وجمع عظماء الروم في دسكرة له، والدسكرة كما وردت في لسان العرب لابن منظور بناء ضخم كالقصر الفخم العالي حوله بيوت للاعاجم وللحشم والخدم.

ولا تكون هذه الدسكرة إلّا للملك وحاشيته، وفي حديث أبي سفيان وهرقل أنّه أذنَ لعظماء الروم في دسكرة له ، وفي كتب دلائل النبوة أنّه أمر بغلق الأبواب ثم اطلع على حشمه فقال : يا معشر الروم إن كنتم ترغبون في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فبايعوا هذا النبي فقد بينت كتب النصرانية التي نقرؤها ونؤمن بها بأنّه هو النبي الذي بشّر به عيسى (عليه السلام) وأنَّ ملكه وفتوحات صحابته ستبلغ عتبة قصري ، فلمّا سمعوا منه ذلك حاصوا حيصة حمر الوحوش إلى الأبواب فوجدوها قد أُغلقت ، أي : أخذوا يجولون ويذهبون ويجيئون فأحدثوا هرجًا ومرجًا، فلما رأى هرقل تفرقهم وشعر بعدم رضاهم بقوله ، قال لجلسائه وحشمه : ردوهم عليَّ ، وقال : إني قلت مقالتي آنفًا قبل قليل لأختبر بها شدتكم على دينكم ولأختبر قدر تمسككم به وقد تبين لي ذلك فصدقوا قوله فسجدوا له ورضوا عنه

هرقل هذا الذي عرف الإسلام ورسوله يقينًا لم يكن كالنجاشي ملك الحبشة الذي آمن برسالة محمد (ﷺ) حتى إنّه لما مات وصله نعيه فصلى عليه الرسول محمد (ﷺ) صلاة الغائب ؛ لأنه مات ولم يصلِّ عليه أحد ، إذ

أخفى إسلامه عن قومه فمات وهم يظنون أنّه مات على دين النصرانية ولم يعلموا أنّه مات على ملّة الإسلام.

الموعظة الرابعة والعشرون : علامات الساعة

عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحَجّاج، فقال: اصبروا فإنّه لا ياتي عليكم زمان إلّا الذي بعده أشرّ منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم (ﷺ) حديث صحيح ومثل هذا روى عبد الله بن مسعود.

وعن عبد الله عن النبي (ﷺ) قال: لا تقوم الساعة إلّا على شرار الخلق ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ) : إنّ الله يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحرير لا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلّا قبضته، وفي رواية أخرى لعائشة (رضي الله عنها) فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم،

علامات الساعة الصغرى : أخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء، قيل وما هي يا رسول الله. قال :

١. إذا كان الغُنْم دُوَلا (يعني : أن الأموال يتداولها الناس ، فمرة يغتني الفقير ومرة يفتقر الغني).
٢. والأمانة مغنمًا (أي: يخون المرء الأمانة التي ودعها عنده أخوه أو أحد أقاربه أو صديقه، فلا يردها إليه، بل جعلها كانها غنيمة اغتنمها).
٣. والزكاة مغرمًا (أي: أنّ الغني لا يؤدي الزكاة إلّا وهو مكره على ذلك، أو أنه يعد الزكاة كأنّها غرامة فلا يخرجها للفقير عن طيب نفس).
٤. وأطاع الرجل زوجته ،
٥. وعقّ أمَّه (وأساء اليها).
٦. وبرَّ صديقه (وأحسن اليه)

٧. وجفا أباه (أي: قطعه وأعرض عنه وابتعد)
٨. وارتفعت الأصوات في المساجد (لتشاجر المصلين بينهم فيها ، أو علت أصواتهم فيما يتعلق بأمر البيع والشراء واللعب واللهو)
٩. وكان زعيم القوم أرذلهم(أي: أصبح شيخ القوم أو رئيسهم او المتكلم عنهم أرذلهم وأخسّهم طبعًا وأخلاقًا وشرفًا ونسبًا)
١٠.وأُكرِم الرجل مخافة شره (أي: أصبح الناس يكرمون الرجل خوفًا منه، خوفًا من أن يسلط عليهم شره)
١١.وشربت الخمور (أي: كثر شاربوها والمدمنون عليها)
١٢. ولبست الحرير (أي: لبسه الرجال من غير ضرورة)
١٣.واتِّخذت القينات (أي: اتخذ الناس لهم الإماء المغنيات)
١٤.والمعازف (أي: اتخذ الناس المعازف وهي الدفوف وآلات الطرب والموسيقى)
١٥. ولعن آخر هذه الأمة اولها (أي: أخذ الخلف من الأتباع يلعنون الرعيل الأول من هذه الأمة كأبي بكر وعمر وعثمان وبقية الصحابة (رضي الله عنهم) فليرتقبوا عند ذلك (إذا حصلت هذه الأمور) ريحًا حمراء (أي: حدوث هبوب ريح حمراء) أو خسفًا (في الأرض) أو مسخًا (لصورهم وأشكالهم فيحولهم من صورة إلى أخرى).

وقد سأل جبريل عليه السلام رسول الله (ﷺ) عن الساعة، فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، أي : لا علم لي بوقتها، فقال أخبرني عن أماراتها قال: أن ترى الحفاة العراة العالة (الفقراء) يتطاولون في البنيان ، وأن تلد الأمة ربتها (أي: أن تلد العبدة سيدتها) فقال له جبريل: صدقت.

وهذا ما حصل في العصر العباسي، فقد كان الخليفة العباسي يتزوج جارية من جواريه ، وهي أَمة وعبدة، فتلد له بنتًا، تكون هذه البنت سيدة ؛

لأنّ أباها خليفة سيد، مع أن أمَّها أَمة وعبدة، وهذا ما عناه (ﷺ) : أن تلد الأمة ربتها

ومن علامات الساعة الصغرى شيوع الزنا وقلة الرجال وكثرة النساء وكثرة الفتن والمظالم حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانك.

علامات الساعة الكبرى : من علامات الساعة الكبرى ظهور المهدي، وقال (ﷺ) عنه إنه يواطئ اسمه اسمي .

نظر علي (رضي الله عنه) إلى ابنه الحسن وقال: إن هذا سيد كما سماه النبي (ﷺ) وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق (الأخلاق) ولا يشبهه في الخَلْق (الشكل) وأنّه يملأ الأرض عدلًا . وأخرج مسلم وغيره عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا النبي (ﷺ) ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون؟ قلنا نتذاكر الساعة قال: إنّها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان ، والدجّال ، والدابّة ، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم (ﷺ) ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (وقالوا من القيلولة: أي النوم وقت الظهيرة) وقد اختلف في ترتيب هذه الآيات من حيث ظهورها، فقد قيل إنّ أول الآيات الدجّال ، ثم خروج الدخان ، ثم نزول عيسى عليه السلام ، ثم خروج ياجوج وماجوج ، ثم خروج الدابّة ، ثم طلوع الشمس من مغربها، فإنّ الكفار يعلنون إسلامهم في زمن نزول عيسى عليه السلام، حتى يكون الناس كلهم أُمَّة واحدة، ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال أو نزول عيسى عليه السلام لم يكن الإيمان مقبولا من الكفار، فالواو لمطلق الجمع.

الدخـــان : قال حذيفة : يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا رسول الله (ﷺ) (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين){الدخان : ١٠} قال يملأ ما بين

المشرق والمغرب يمكث اربعين ليلة ، أمّا المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة (أي: ألم خفيف) وأمّا الكافر (فيكون بعد أن يصيبه من الدخان ما يصيبه) بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأُذنيه ودبره

وفي رواية أن هذا الدخان ينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه وينتفخ رأسه

خروج ياجوج وماجوج : اختلفت الآراء في اشتقاقهم ، فقيل من أجيج النار، وهو التهابها وقيل من الأجّة بالتشديد، وهي الاختلاط أو شدة الحر، وقيل غير ذلك ، وهم من نسل نوح ، فلنوح عليه السلام ثلاثة أبناء: سام ومن نسله العرب ، وحام ومن نسله شعوب الصين واليابان، ويافت ومن نسله الترك ، وشرذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين

ويأجوج أُمَّة، ومأجوج أُمَّة أُخرى. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] وفي تفسير ابن كثير روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: تفتح يأجوج ومأجوج (أي: يفتح السد الذي يحجز هاتين الأمتين من الخروج وهم جموع غفيرة كثيرة لا يحصى عددهم أكثر من عدد الإنس والجنّ) فيخرجون على الناس كما قال تعالى: (وهم من كل حدب ينسلون) فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم (من جماعات يأجوج ومأجوج) ليمرّ بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسًا حتى إنّ من بعدهم (تأتي جماعات أخرى) ليمرّ بذلك النهر فيقولون قد كان هاهنا ماء مرة ، ويذكر الحديث أنّهم يملأون الأرض قتلًا وخرابًا، ثم يسلط الله عليهم دودًا يصيب أعناقهم فيموت جميعهم لا يسمع لهم حس، فيخرج رجل من المسلمين من حصنه الذي تحصن به من شرهم ليرى إن كانوا مازالوا أحياء أم لا، فيخرج فيراهم جميعًا

موتى بعضهم فوق بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا إنّ الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم.

ووردت أحاديث تعبّر عن كثرتهم، قال الحافظ في الفتح : أخرج ابن حبان، بشاهد صحيح ، من حديث ابن مسعود رفعه أنّ يأجوج ومأجوج (وكل منهما أُمَّة لوحدها) أقلّ ما يترك أحدهم ألفًا من الذرية، وللنسائي من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رفعه، أنّ يأجوج ومأجوج (أُمَّتان) يجامعون ما شاؤوا ويتزوجون ما شاؤوا من النساء ولا يموت رجل منهم إلّا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا، ومثل هذا ذكرت أحاديث أُخرى مرفوعة.

وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام مثل ما سبق، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عمر قال: الجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس.

وأشارت الأحاديث المرفوعة أن يأجوج ومأجوج هم من ولد آدم وهم من ذرية نوح ، فهم إخواننا من الأب والأم.

ويقضي عليهم وعلى الدجال عيسى ابن مريم عليه السلام ومعه المهدي من نسل الحسن (ﷺ) وبعد أن يقضي الله على أُمَّة يأجوج ومأجوج وينقذ أُمَّة محمد (ﷺ) من شرهم وردت أحاديث صحيحة أن المسلمين بعد ذلك يحجون ويعتمرون وهذا يعني أن باب التوبة لا يزال مفتوحًا، وأنّ خروج يأجوج ومأجوج يكون قبل طلوع الشمس من مغربها ؛ لأنّه عند وقوع هذه العلامة يسد باب التوبة.

خروج الدجال : من علامات الساعة الكبرى ظهور الدجال، والدجال مأخوذ من الدجل، بمعنى التمويه والالتباس من دجل الشيء إذا موّه ولبس، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن أُمي وغير أُمي وله مساعدة ، تسمى الجساسة، وسميت ذلك ؛ لأنها تتجسس الأخبار له.

ومن صفاته أنّه عقيم لا يولد له، وأنّه يدخل المدن كلها إلّا مكة والمدينة فإنّه لا يستطيع أن يقتحمهما .

وإنّه ياتي من جهة بلاد فارس ، إذ يخرج من خرسان، ويتبعه خلق كثير من أهل أصبهان، ويمكث أربعين يومًا ، يومًا كسنة ويومًا كشهر ويومًا كأسبوع ، وسائر أيامه كأيامنا ، هذا ما أخبرت به السنة النبوية، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ، فذلك اليوم كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا ولكن قدروا له.

والناس يفتنون بالدجال للخوارق التي أعطاها الله له، من ذلك كما جاء في الحديث، أنّه يقول للأعرابي: أريتَ، أي: أخبري إن بعثت لك أباك وأمّك أتشهد أنّي ربك؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمّه فيقولان: يا بني اتبعه فإنّه ربك.

ومن ذلك أيضًا، ما روي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّه قال: حدثنا رسول الله عن الدجال فقال أو كما قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل المدينة إلّا أنّه يصل إلى أماكن قريبة منها، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، يتصدى له، فيقول له : الدجال : أتؤمن بي إذا قتلتك ثم أحييتك فيقول له : بل أنت الدجال الذي أخبرنا بك رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأخذ الدجال هذا الرجل فيقتله ثم ينشره بالمنشار، ثم يحييه، فيقول له الدجال : ألا تؤمن بي الآن؟ فيجيبه الرجل المؤمن، والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرة مني الآن، وإنّي الآن قد ازددت يقينًا بأنّك أنت الدجال ؛ لأنّ رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عنك وعن أوصافك وما أعطاك الله من فتن ليفتن بها الناس التي منها أنّه يحيي من تميته ، وأنّ مِن فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، وأن مِن فتنته أن يمرّ بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائحة من المواشي إلّا هلكت ، وأن من فتنته أن يمرّ بالحي فيصدقونه

فيأمر السماء ان تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من البقر والغنم إلى المرعى فتعود كأسمن ما تكون قد امتلأت ضروعها باللبن.

وأنّ الله سبحانه يعطي الدجال مثل هذه الأمور بعد أن يصيب الناس ثلاث سنوات قحط وبلاء شديد، فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت، فيكون ذلك من أسباب فتنة الناس بالمسيح الدجال لما معه من خبز وماء ، فمن أجل ذلك يتبعونه وأكثر ما يتبعه اليهود والنساء، وأخلاط الناس والفرق الضالة التي كانت محسوبة على الإسلام.

وصفه الرسول (ﷺ) أنّه يزعم أنّه الله ، وبأنّه اعور وأنّ ربكم ليس بأعور ، وأنّه يشفي الأعمى والأبرص ويحيى الموتى ويقول: أنا ربكم، يلبث فيكم ما شاء الله، وعينه اليسرى كأنّها كوكب دري، ومعه مثل الجنة والنار، لكن جنته نار وناره جنة.

وفي حديث رواه مسلم أن النبي (ﷺ) صعد المنبر فضحك، فقال: ليلزم كل منكم مصلاه، ثم قال أتدرون لِمَ جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم ؛ لأنّ تميمًا الدارمي (نسبة إلى جده ، اسمه الدار) كان رجلًا نصرانيًّا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال : إنّ ناسًا من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر مع ثلاثين رجلًا من قبيلتي لخم وجذام ، فجالت بهم السفينة إلى غير الجهة التي كانوا ينوون التوجه إليها حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هم بدابّة لبَّاسه (أي: التبس أمرها) لكثرة ما عليها من البسة مختلفة ، أو أصبحت كذلك ؛ لأنها كانت ناثرة شعرها ، أي كثيرة الشعر، لا يُدرى قبلها من دبرها، أي : لم يتبين للناظر عورتها من كثرة الشعر الذي غطاها.

وجاء عن عبد الله بن عمر بن العاص أنّها دابّة الأرض المذكورة في القرآن، فقالوا لها : من أنتِ قالت : أنا الجسّاسة، قالوا: فأخبرينا، قالت: لا أخبركم بشيء ولا أطلب منكم أن تخبروني بشيء ، ولكن اذهبوا الى أقصى هذه القرية ، فإنّ فيها مَن يسألكم وتسألونه ، فأتينا أقصى القرية فإذا برجل موثق بسلسلة من حديد وقد رأيناه أعظم إنسان خلقة ، وقد اشتد وثاقه، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد فقال لنا: أخبروني: مَن أنتم؟ قلنا: نحن ناس من العرب ، قال : أخبروني عن عين زغر، وهي مدينة في الشام قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له: نعم ، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن البحيرة ، وهي بحيرة طبرية في الأردن، قلنا: ما زال ماؤها يتدفق قال : أخبروني عن نخل بيسان الذي بين الأردن وفلسطين هل أثمر؟ قلنا: نعم، قال: أخبروني عن النبي الأُمي هل بعث ؟ قلنا: نعم، قال: أخبروني كيف الناس إليه ؟ قلنا سراع ، يسارعون في الالتحاق به والانضمام إلى دعوته، وأنّه قد خرج من مكة ونزل يثرب، المدينة، قال: فوثب وثبة حتى أوشك أن يتخلص من الوثاق الحديدي الذي قيّده ، قال: اقاتلة العرب؟ قلنا: نعم ، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنّه ظهر وانتصر عليهم وأطاعوه، قال لنا: هل حدث ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، قلنا: من أنت؟ قال: أنا الدجال، وأني مخبركم عني أني أنا المسيح أوشك ان يؤذن لي في الخروج فأخرج ، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلّا دخلت فيها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة التي هي المدينة ، مدينة الرسول (ﷺ) فهما محرمتان علي كلتاهما : كلما أردتُ أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده سيف بتار قاطع يصدني عنها ، وأنّ على كل ناحية منها ملائكة يحرسونها، قال الذي روى هذا الحديث، فطعن رسول الله (ﷺ) بخاصرته وهو على المنبر يروي لنا هذه القصة التي حدثه بها تميم الدرامي

، وهو يقول : ألّا إني قد حدثتكم بهذا من قبل فوافق حديث تميم الدرامي حديثي.

تقدم أنّ الله سبحانه يعطي الدجال هذا عند خروجه إلى الناس أمورًا خارقة للعادة فيشفي الأمراض المستعصية حتى يحيي الموتى ، وحتى يأتي إلى أهل قرية أصابهم القحط وقلة الماء والنبات فيأمرهم إن آمنوا بأنّه رب العالمين جعل قريتهم تنعم بأنواع الشجر والأثمار، فيجعلها كذلك فيؤمنون به، وأنه يقتل الإنسان ويحييه ويقول له ألَمْ تؤمن بي بأنّي أنا الله؟ فمن كان يعلم به بأنّه الدجال فيقول: لا، بل فد زدتُ يقينًا أنّك أنت الدجال الذي أخبرنا بأوصافك نبينا محمد (ﷺ)

وأكثر الناس حينئذ غير متسلّح بهذا السلاح من العلم والإيمان ؛ لذلك يتبع الدجال خلق كثير من اليهود ومن النساء ، ومنهم النساء المسلمات حتى إنّ الرجل المؤمن ليقيد امراته أو بنته بالحديد في البيت خشية أن تخرج فتومن بالدجال وتتبعه ، وقد قال عنه الرسول (ﷺ) بأنّه شر فتنة تصيب الناس منذ خلق آدم حتى قيام الساعة يقتله عيسى عليه السلام.

نزول عيسى عليه السلام : بعد أن يستفحل أمر الدجال ويكثر أتباعه ينزل عيسى عليه السلام ويكون نزوله من السماء إلى الأرض عند المنارة البيضاء شرقي دمشق كما ورد هذا في الحديث الذي رواه مسلم.

ويكون الدجال عند نزول عيسى عليه السلام قد ذهب قاصدًا بيت المقدس فيلحق به عيسى عليه السلام ، عند باب (لدّ) وهي بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس، حتى إذا راى الدجال عيسى عليه السلام يذوب الدجال كما يذوب الملح في الماء، ثم يتداركه عيسى عليه السلام فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه ، وأكثرهم من اليهود ، فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر الذي يختبئ وراءه اليهودي، يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي

خلفي تعال فاقتله إلّا الغرقد فإنّه من شجر اليهود، كما قال عليه الصلاة والسلام.

وصف الرسول (ﷺ) عيسى (عليه السلام) بأنّه رجل مربوع أشقر اللون ، يقاتل الناس ويكرههم على دخول الإسلام ، ويكسر الصلبان جميعها فلا يُبقي صليبًا منها في الأرض، ويقضي على الخنزير ويقرضه، فينقطع نسله، ويضع الجزية، أي: لا يقبل من غير المسلمين أن يدفعوا الجزية من أجل أن يبقوا على دياناتهم ، بل لا يقبل منهم إلّا أن يدخلوا في دين الإسلام أو يقتلوا ، بل يقضي المسيح عليه السلام بعد نزوله على الملل كلّها ، ولم يُبق إلّا ملة الإسلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ويقضي على الدجال، ويملأ الأرض إسلامًا وعدلًا بعد أن مُلئت كفرًا وظلمًا ، ويكثر المال في زمانه فلا يبقى في الأرض فقير، حتى يهان المال بين الناس فلا يرغبون فيه بل يرغبون في طاعة الله وعبادته، وتذكر رواية أخرى أنّه يبقى في الأرض سبع سنين، وهذه لا تنافي الرواية السابقة التي ذكرت أنّه يبقى في الأرض أربعين سنة ؛ ذلك أن الاربعين سنة قصد بها مدة مكوثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله ، وقصد بسبع السنوات التي يقضيها عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء إلى الأرض ؛ ذلك أنّه عليه الصلاة والسلام رفع وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

وفي حديث رواه مسلم أنّ الرسول (ﷺ) قال إنّ عيسى ينزل إلى الأرض كأنّه عروة بن مسعود شبها ، ثم يقضي على الدجال ويعيش الناس بعد ذلك سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ولا شحناء، ولا تباغض ولا تحاسد بل تعيش الذئاب والأسود والنمور والأغنام جنبًا إلى جنب لا يفترس أحدها الآخر ، وتلعب الصبيان بالأفاعي والحيات ولا تؤذيها ، ويُدعى الناس إلى المال فلا يقبله أحد.

وأخرج مسلم من حديث ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم يعني أنّه يلتقي بهم ويلتقون به فيقول: أميرهم أمير هذه الطائفة المحمدية يقول لعيسى (عليه السلام) : صلِّ لنا ، كن إمامنا في الصلاة ، فيعتذر عيسى بن مريم ويقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أُمراء تكرمة الله لهذه الأمة، وفي رواية أنّ عيسى عليه السلام يدخل مسجد المسلمين، فيهمون للصلاة فإذا هم بعيسى، يعرفونه فيقولون: تقدم صَلِّ بنا إمامًا يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصلِّ بكم.

وفي رواية أخرى، بينا المسلون في بيت المقدس وإمامهم رجل صالح، قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص، ليتقدم عيسى فيصلي بهم إمامًا ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول: تقدم (أيها الإمام) فإنّها لك اقيمت ، وجاء في الحديث أنّ الرسول (ﷺ) بعد أن أخبر أصحابه بنزول عيسى (عليه السلام) وذكر لهم أوصافه ، قال: إن ادركتموه، فأقرؤوه من رسول الله (ﷺ) السلام.

وأخرج أحمد بإسناد في رجالهما رجال الصحيح من حديث أبي هريرة، أنّ الرسول (ﷺ) قال: إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم، فإن عجل بي موت فمن لقيه (منكم يا صحابتي) فليقرئه مني السلام. وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة أيضًا بلفظ : ليهبطنّ عيسى بن مريم حكمًا وإمامًا مقسطًا وليسلكن فجاجًا (طويلة من الأرض فيأتي إلى مكة والمدينة) حاجًّا أو معتمرًا ، وليأتينّ قبري حتى يُسَلِّمَ عَلَيَّ ولاردَّنّ عليه ، ومما هو ثابت بالأحاديث الصحيحة والسنة المطهرة واتفاق أهل السنة أنّ عيسى (عليه السلام) هو الآن في السماء حي لم يمت، وأنّه سينزل إلى الأرض بجسمه وروحه التي رفع إلى السماء بهما، وأنّه يموت في آخر الزمان ، وأنّ أهل الكتاب جميعًا

من اليهود والنصارى سيؤمنون به بعد نزوله يبشرهم برسالة محمد (ﷺ) لا برسالته التي بعثه الله بها قبل رفعه الى السماء .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة (٣٣ سنة قبل رفعه وسبع سنوات بعد نزوله) لو يقول للبطحاء (للأرض والصحراء) سيلي عسلًا لسالت . وأخرج الترمذي وحسنه عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه . وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني عن عبد الله بن سلام قال: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله وصاحبيه (أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)) فيكون قبره رابعًا. وإنّه يتوفى في طيبة، في المدينة، ويدفن بالحجرة النبوية .

طلوع الشمس من مغربها : قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] روى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها (أي: آمن الناس وراحوا يصلون ويدعون ربهم أن يقبل إيمانهم وصلاتهم لكن بعد فوات الأوان) فمن شروط التوبة أن يتوب العبد عن ذنبه قبل طلوع الشمس من مغربها ، هذا ما نصّ عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة في هذا الباب .

وعن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه (أي: قبلت منه التوبة).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إنّ الهجرة خصلتان، أحدهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله (ﷺ)... ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع (أي: ختم) على كل قلب بما فيه (من إيمان وأعمال) وكفى الله

الناس العمل. هذا الحديث حسن الإسناد أي: تختم الأعمال بعد طلوع الشمس من مغربها ولا ينفع الناس يومئذ إيمانهم وصلاتهم وزكاتهم وأعمالهم الصالحة.

وأخرج ابن مردويه عن حذيفة قال: سألت رسول الله (ﷺ) فقلت: ما أية طلوع الشمس من مغربها. قال تطول تلك الليلة (ليلة طلوع الشمس من مغربها) حتى تكون قدر ليلتين، فبينما الذين كانوا يصلون فيها (أي: يقيمون الليل ويصلون الفجر جماعة في المسجد فيصلون الليل كما كانوا، والنجوم لا ترى قد قامت مقامها (أي: ترى واقفة) ثم يرقدون (ينامون بعد ان انتظروا طلوع الشمس ولم تطلع) ثم يقومون فيعملون (ويصلون صلاة الليل وينتظرون طلوع الشمس ولم تطلع) ثم يرقدون (ينامون) ثم يقومون حتى يتطاول عليهم الليل، فيفزع الناس (يخافون) ولا يصبحون (يرقبون الصباح ولا يصبحون) فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذا هي طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس (من الذين ما كانوا يصلون ويصومون) آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم (وصومهم وصلاتهم).

ذلك أن الله سبحانه قد وعدنا بأنّ باب التوبة سيبقى مفتوحًا حتى طلوع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت من المغرب سد باب التوبة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الانعام: ١٥٨]

وبعض آيات ربك : هي طلوع الشمس من مغربها ، يُسدّ باب التوبة ، فمن كان مؤمنًا يبقى عند الله مؤمنًا ، ومن كان كافرًا يبقى عند الله كافرًا ، وبعد أن يُسدَّ باب التوبة يخرج الله الدابة لتكلم الناس وتعلمهم من هو المؤمن؟ ومن هو الكافر؟

خروج الدابة : أخرج الترمذي عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ﷺ) قال: تخرج الدابة (فيل من مكة وقيل من غيرها) معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن (أي: تصقله وتبيضه، وقيل تجلو وجه المؤمن بالعصا)

وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى إنّ أهل الخوان (أي: حتى إنّ أهل البيت الذين يجتمعون على ما يوضع عليه الطعام عند الأكل) ليجتمعون (وهم أسرة واحدة ، أب وأم وأولاد وإخوة وأخوات إلّا أنّ الدابة فرقت بينهم فصقلت وجه بعضهم لإيمانه وتقواه وسوّدت وجه بعضهم لكفره ومعصيته) فيقول (يخاطب أحدهم الآخر) ها ها يا مؤمن (لجلاء وجهه واستنارته) ويقول ها ها يا كافر، أي للختم على أنفه .

أما حديث أمامه فأخرجه أحمد وابن مردويه عنه عن النبي (ﷺ) قال: تخرج الدابّة فتسم على خراطيمهم (أي: تضع علامة على أنف الكافر تدل على أنّه كافر) ثم يعمرون فيكم (يبقون يعيشون طويلًا بهذه العلامة) حتى يشتري الرجل الدابّة (أي: يشتري حاجة له) فيقال له (يقول له صديقه أو قريبه) ممن اشتريتها؟ فيقول من الرجل المخطم (أي: من الرجل الكافر)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال ابن جريج عن أبي الزبير أنّه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأُذنها أُذن فيل وقرنها قرن إيل (والإيّل : الوعل أكبر من الغزال له قرنان طويلان) وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هرّ ، وذنبها ذئب كبش ، وقوائمها قوائم بعير (أي: أرجلها أرجل جمل).

تخرج هذه الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلّا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو (وتتسع) تلك النكتة حتى يبيض بها وجهه، ولا يبقى كافر إلّا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو (وتتسع) تلك النكتة حتى يسودّ بها وجهه ، حتى إنّ الناس يتبايعون (يبيعون ويشترون) في الأسواق (يقول بعضهم لبعض) بكم ذا يا مؤمن؟ وبكم ذا يا كافر؟ وحتى إنّ أهل البيت (العائلة الواحدة) يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابّة يا فلان أبشر أنت

من أهل الجنة، ويا فلان أبشر أنت من أهل النار ، فذلك قول الله تعالى: (وإذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون) لذلك ورد في الحديث أنّ الدابة حين تخرج وتكلم الناس تريد أن تُعلم كل واحد منهم : أمؤمن هو أم كافر؟ يهرب الناس منها ؛ لأنّ كلًّا منهم يخشى أن تكلمه الدابة وتقول له : يا فلان أنت كافر من أهل النار.

خروج النار : أخرج الترمذي عن سالم بن عبد الله بن عمر عنأبيه قال: قال رسول الله (ﷺ): ستخرج نار من حضرموت (اسم مدينة في اليمن جنوب الجزيرة العربية) قبل يوم القيامة تحشر الناس (أي: تجمعهم النار وتسوقهم) قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا؟ (أي: في ذلك الوقت) قال عليكم بالشام(لحفظ ملائكة الرحمة إيّاها).

رفع القرآن : عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال ما معناه : يُدرس الإسلام أي: يمحى حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا زكاة ولا صدقة ، ويمسي على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ، فتمحى كلّ آياته وتبقى طوائف من الناس ممن أدركوا الإسلام قبل أن يمحى والشيخ والعجوز يقولون لمن هم دونهم في العمر: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة ، لا إله إلّا الله ، ونحن نقولها فقال له : صلة بن زفر أحد الحاضرين أي: قال لحذيفة بن اليمان راوي هذا الحديث : فما تغني عنهم لا إله إلّا الله ، وهم لا يدرون ما الصلاة ولا الصيام ولا نسك ولا صدقة ؟! أي: ماذا تنفعهم قولهم لهذه الكلمة وهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحجون ولا يتصدقون ولا يزكون ؟! قال له حذيفة : ينجون بها من النار لقوله عليه الصلاة والسلام : من قال لا إله إلّا الله دخل الجنة. وفي رواية حرم الله عليه النار.

وهذا محمول على أنّ هؤلاء الذين اكتفوا بقولهم :لا إله إلّا الله ، أنّهم حينئذ لم يكونوا عالمين بوجوب هذه الأركان ، وينجون بها آخر الزمان ولو كان بعد دخولهم النار ، ثم أعاد حذيفة مقالته وهو يمد بها صوته : يا صلة بن زفر لا تستهين بعظم هذه الكلمة ، يا صلة ينجون بها من النار. وأخرج الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ) : لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وقد أخرجه أحمد ومسلم وهذا يعني أنّ القيامة لا تقوم إلّا على شرار الخلق.

وأخرج مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لا يذهب الليل والنهار (أي: لا تقوم الساعة وينقطع الزمان) حتى تعبد اللات والعزى ثم يبقى الناس كما قال(ﷺ) على هذه الحالة من الكفر والضلال إلّا من رحم الله ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحًا طيبة تميت كلّ مَن في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم وهو عبادة الأصنام.

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد لله فيه حاجة ، وحتى تؤخذ المرأة جهارًا تنكح (يزنى ويفعل بها وسط الطريق والناس ينظرون) لا ينكر عليه ذلك أحد فيكون أمثلهم (أي : أشرفهم وأكثرهم غيرة) يقول (لهذا الرجل الذي يزني بامرأة وسط الناس) لو نحّيتها (وأبعدتها عن الطريق) قليلًا ، فذاك فيهم (أي: مثل هذا الرجل يكون في ذلك الزمان) مثل أبي بكر وعمر فيكم.

وأخرج الترمذي عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (ﷺ) لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع بن لكع ، والمعنى: أنّه لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس ، أي : أكثرهم مالًا وأطيبهم عيشًا وأرفعهم

منصبًا هو اللكع بن اللكع وهو اللئيم بن اللئيم والرديء الحسب ، أو الذي لا يُعرف له أصل ولا تحمد له أخلاق.

الموعظة الخامسة والعشرون : ما بعد سكرات الموت

عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يتمّ حفره بعده ، فجلس رسول الله وجلسنا حوله كأنّما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه، فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة (أي: إذا كان في آخر ساعة من عمره) نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأنَّ وجوههم الشمس (من شدة جمالها) معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة (والحنوط ما يوضع على جسد الميت لتطييب رائحته ومنع تعفنه) حتى يجلس منه مدّ البصر (أي: بمقدار ما يمتدّ إليه بصره من الأشياء) ملك الموت عليه السلام (قيل إنّ اسمه عزرائيل) حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيّها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة مِن في السقاء (يعني من فم القربة) فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها (أي: لم تتركها ملائكة الرحمة في يد ملك الموت) طرفة عين (لاشتياقهم إلى روح المؤمن) فيجعلونها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلّا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمّى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون بها (أي: ملائكة الرحمة الحاملة لروح المؤمن يطلبون من الملائكة الموكلين بأبواب السماء الدنيا أن يفتحوا لروحه كي تصعد إلى ربها عبر السماء الأولى إلى السماء الثانية) فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها (أي: يذهب معه ويشيعه من كل سماء رؤساؤها من الملائكة) إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين (ذكر أنّ عليين مكان في السماء

السابعة وفيها تجتمع أرواح المؤمنين ثم يقول سبحانه) وأعيدوه إلى الأرض في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان (له): من ربك؟ فيقول ربي الله ، فيقولان: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول هو رسول الله، فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها (أي: نسيمها) وطيبها ويفسح له في قبره مدَّ بصره (أي: بمقدار ما يمتد إليه البصر من الجهات الأربع) قال ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيّب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك (أي: أبشر بالذي يملأ قلبك فرحًا وسرورًا) هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الحسن، يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي (أي: حتى أدخل الجنة وألقى ما وعدني به ربي من الحور العين ونعيم ورضوان) وإنّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة (أي: في آخر ساعة من عمره) نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح (والمسوح كساء من شعر خشن يلبسه أهل التقشف والرهبنة) فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيّتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضبه فتفرَّق في جسده (أي: أنّ روحه تغوص في أعماق جسده من شدة خوفه) فينتزعها (الملك، أي يجذبها بشدة) كما ينتزع السفود من الصوف المبلول (والسفود، هي الحديدة التي يشوى عليها اللحم) فإذا أخذها (ملك الموت) لم يدعوها (لم تتركها ملائكة العذاب) في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على سطح الأرض ، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلّا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له (أي: يطلبون من الملائكة الموكلة بأبواب السماء الدنيا أن يفتحوا له أبوابها ليصعدوا بروحه إلى السماء التي تليها) فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله (ﷺ) (لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى

يلج الجمل في سم الخياط){الأعراف : ٤٠} ومن المستحيل أن يدخل الجمل في ثقب إبرة الخياط. ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى (قيل هو مكان تحت الأرض السابعة، وهو أضيق الأمكنة وأظلمها) ثم تطرح روحه طرحًا... فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان (له) من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك (أي: أبشر بالذي يحزنك ويؤلمك) هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه القبيح يأتي بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة (ذلك أنّه لما تبين له أنّ ما سيلقاه عند قيام الساعة هو أشدّ عذابًا مما يلقاه في القبر دعا الله أن لا تقوم الساعة).

وفي رواية له بمعناه وزاد... بشرك الله بالشر من أنت؟ فيقول : أنا عملك الخبيث كنت بطيئا عن طاعة الله سريعًا في معصيته فجزاك الله بشر، ثم يُقيَّض له أعمى أصمّ أبكم (أي: يُهيأ له ملك على هذه الصورة لا يسمع لا يرى لا يتكلم) بيده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابًا (أي: بيده مطرقة من حديد لو ضرب بها جبل لاندكَّ الجبل وصار ترابًا) فيضربه ضربة فيصير ترابًا ثم يعيده الله كما كان ، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلّا الثقلين (أي: يسمع صراخه كل مخلوق إلّا الإنس والجنّ لا يسمعون صوته) ولو سمعوا لصعقوا (أي: ماتوا من شدة الصيحة) قال البراء ثم يفتح له باب من نار ويمهد له من فراش النار . وفي رواية أخرى عن البراء بن عازب أيضًا... وقال في ذكر الكافر فيأتيانه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويلحفان الأرض بشفاهما (أي: يحفران الأرض

بشفاهما) أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ، فيجلسانه ثم يقال له : من ربك فيقول: لا أدري ، فينادى من جانب القبر، لا دريت، ويضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم يقلّوها (أي: لو اجتمع لها أهل الأرض ليحملوها لما استطاعوا أن يحملوها من عظم ثقلها) يشتعل منها قبره نارًا ، ويضيق عليه حتى تختلف أضلاعه (أي: يدخل بعضها في بعض).

وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: إنّ المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء (أي: بقطعة من الحرير الأبيض) فيقولون له: اخرجي إلى روح الله (أي: اخرجي إلى نعيم الله وكرامته) فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنّه ليناوله بعضهم بعضًا فيشمونه (يعني أنّ ملائكة الرحمة الموكلين بالصعود بروح المؤمن يتناولها بعضهم من بعض ليشمها حتى يأتوا به باب السماء فيقولون (أي: سكان السماء الدنيا) ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من الأرض، ولا ياتون سماء إلّا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين (يعني المكان الذي يجتمع فيه أرواحهم في عليّين) ، فلهم أشدّ فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم، فيقولون (أي: يقول له الذين كانوا يعرفونه في الدنيا يسألونه): ما فعل فلان؟ (فيذكرون له اسمه ويسألونه عن حاله، أما يزال حيا) فيقولون (أي: تقول الملائكة التي تحمل روحه) دعوه (اتركوه) حتى يستريح فإنّه كان في غم الدنيا (أي كان في كربها وشدتها) فيقول (أي: يجيبهم عن سؤالهم) : قد مات أما اتاكم؟ فيقولون ذُهب به إلى أُمّه الهاوية (يعني أنّه ذهب الى جهنم ؛ لأنّ أهل النار لا يصعدون بعد موتهم إلى عليين المكان الذي تجتمع فيه أرواح المؤمنين ؛ لذلك لا يعلمون بموته) هذا ما رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إذا أُقبر الميت المؤمن (يعني: اذا وضع في قبره) أتاه ملكان...يقال لأحدهما: المنكر والآخر:

النكير، فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل (بعني: محمد (ﷺ)؟ فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول هذا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين (أي: يوسع له قبره سبعين ذراعًا طولًا وعرضًا) ثم ينور له فيه، ثم يقال له (أي: يقال له بعد الفراغ من السؤال) : نم ، فيقول: أرجع إلى أهلي فأُخبرهم (أي: اسمحوا لي ان أعود الى زوجتي وأولادي وأُخبرهم بأنّني قد أصبحت في روضة من رياض الجنة) فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلّا أحبّ الناس إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (يوم القيامة) .

وأخرج ابن ماجه من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل الميت المؤمن القبر مثلت (له) الشمس عند غروبها ، فيقعد يمسح عينيه ويقول دعوني أصلي . رواه ابن ماجه وهو حديث حسن.

وان كان(الميت الذي وضع في قبره) منافقًا فُيسال عن محمد (ﷺ) فيقول: سمعت الناس يقولون قولًا فقلت مثله، لا أدري، فيقولان (أي: ناكر ونكير) قد كنّا نعلم أنّك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه (يعني ضيقي واضغطي عليه) فتختلف أضلاعه فلا يزال فيه معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (أي: يوم القيامة) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ، والعروس يطلق على الرجل وعلى المرأة ما داما في عرسهما.

الموعظة السادسة والعشرون : القيامة وأيَّامها

من مشاهد يوم الحساب : تقدم الحديث الذي روته عائشة (رضي الله عنها) زوجة رسول الله (ﷺ) وأحبّ نسائه إليه ، قالت : ذكرتُ النار (أي: تذكرتُ النار) فبكيتُ (خوفًا من أن أكون من أهلها) فقال رسول الله (ﷺ) : ما يبكيكِ (أي شيء يحملكِ على البكاء)؟ قلت: ذكرت النار فبكيتٌ فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة (أي: هل تتذكرون زوجاتكم يوم القيامة) فقال: أمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا (الموطن الأول) عند الميزان حتى يعلم

أيخفّ ميزانه (فيكون من أهل النار) أم يثقل (فيكون من أهل الجنة ففي هذا الموطن لا يتذكر إنسان إلّا نفسه حتى الأنبياء) وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره (أي: كذلك لا يتذكر أحد أحدًا في هذا الموطن الثاني وهو عند تسلم النتائج) وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز (فهذا هو الموطن الثالث وهو عند عبور المرء الصراط فإنّه في أثناء عبوره لا يتذكر أحد أحدًا حتى الأنبياء فإنّهم لا يتذكرون زوجاتهم ولا أمّهاتهم ولا أولادهم إلّا بعد أن يعبروا الصراط) رواه ابو داود .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول يحشر الناس (أي: يساقون إلى أرض يحاسبون عليها) حفاة عراة غُرْلا (أي: يحشرون على هيئتهم التي خلقوا عليها أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم فلا نعال ولا ثياب ولا ختان) قالت: عائشة الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض (أي: ينظر بعضهم إلى عورة بعض) قال: الأمر أشدّ من أن يهمهم ذلك (يعني أن شدة الهول والفزع في ذلك اليوم تجعلهم لا يلقون بالًا لمثل هذه الأمور).

وعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة ، فقالت أم سلمة يا رسول الله : واسوأتاه (أي: واعورتاه وافضيحتاه) ينظر بعضنا الى بعض فقال: شغل الناس (أي: نزل بهم ما يشغلهم عن التفكير في ذلك الميل الجنسي بين الرجال والنساء) قلت ما شغلهم قال: نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل. رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح.

يعني أنّ صحفهم التي يعطونها في هذا اليوم قد أُحصي فيها كل صغير وكبير من أعمالهم ، وعن سودة بنت زمعة عنها ، قالت : قال رسول الله (ﷺ) : يبعث الناس حفاة عراة غُرلا قد ألجمهم العرق ، أي : غاصوا في

عرق أجسادهم قد بلغ أفواههم وشحوم آذانهم ، فقلت يبصر بعضنا بعضًا (أي: ينظر الرجل إلى المراة وتنظر المراة إلى الرجل) فقال: شغل الناس، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه (أي: يلهيه فهو في شغل شاغل عن غيره) وعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف (أي: من حيث الوسيلة التي يذهبون بها من قبورهم بعد بعثهم حتى يصلوا أرض المحشر والحساب) صنفًا مشاة (أي: ماشين على أقدامهم) وصنفًا ركبانًا (أي: راكبين على خيل أو جمال أو ما شاء الله أن يعده لهم من أنواع المراكب) وصنفًا على وجوههم (أي: يمشون على وجوههم) قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال : إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنّهم يتقون كل حدب وشوك. والحدب : الأرض المرتفعة

وقال (ﷺ): يبعث الله يوم القيامة ناسًا في صور الذرّ (أي: في هيئة صغار النمل لهوانهم على الله عز وجل) يطؤهم الناس بأقدامهم، فقيل: ما هؤلاء في صور الذرّ؟ قال : هؤلاء المتكبرون في الدنيا.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ﷺ) قال: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين (في الجنة) وراهبين (من النار) واثنان على بعير (جمل) وثلاثة على بعير ، وعشرة على بعير ، وأربعة على بعير (أي: كل حسب عمله وايمانه).

وعن المقداد (ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : تُدنى الشمس (تقترب من الرؤوس) يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل... قال فيكون الناس على قدر أعمالهم من العرق (أي : كل إنسان يغوص في عرق جسده بقدر سوء عمله) فمنهم من يكون(ويرتفع العرق) إلى كعبيه (فيغطي قدميه) ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا ، وأشار رسول الله (ﷺ) إلى فيه (أي: أشار إلى فمه) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال يوم يقوم الناس لربِّ العالمين) (أي: يوم الحساب قبل دخول الناس الجنة أو النار) مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة (وهم في حالة غوصهم في عرق أجسادهم) وفي رواية أنّ الصحابة (رضي الله عنهم) لما سمعوا ذلك من رسول الله (ﷺ) صعب عليهم هذا الأمر حتى قالوا : ما أطول هذا اليوم يا رسول الله ، فقال (ﷺ) : يهون ذلك (أي: يخفف ذلك اليوم الطويل) على المؤمن كتد لِّي الشمس للغروب إلى أن تغرب . رواه أبو يعلى بإسناد صحيح وابن حبّان في صحيحه، أي : أنّ المؤمن لا يحسّ بطول هذا اليوم ، بل يحسّ كأنّه الوقت الذي يكون محصورًا بين العصر والمغرب ، أو يكون عليه أقصر وأخفّ من الوقت الذي يقضيه المسلم في أداء صلاة واحدة من الصلوات المكتوبات كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر، أمّا الكافر فإنّه يحسّ بطول المدة كما هي فيشتد ضجره من طول الموقف ومن خوضه وغوصه في عرقه حتى يقول ، كما يذكر الحديث: يا ربّ إرسالك بي إلى النار أهون عليّ مما أجد ، وهو يعلم أنّ عذاب جهنم أشدّ من عذاب يوم الحساب ، وفي رواية يقول الكافر يا رب : أرحني (أي: من هذا الموقف) ولو إلى النار.

حوض الكوثر : سئل رسول الله (ﷺ) عن حوضه الذي أعطاه إيّاه ربه الذي سيكون في عرصات يوم القيامة يوم الحساب ، فقال : إنّه أشدّ بياضًا من الثلج وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ (لم يعطش) بعدها أبدًا ولم يسود وجهه ، ووصفه أيضًا بأنّه أحلى مذاقًا من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء وهو نهر يجري على سطح الأرض حافتاه اللؤلؤ.

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة (أي: جماعة، أراها من بعيد) حتى إذا عرفتهم (أنّهم من أمّتي) خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم : هَلُمَّ ، (أي : تعالوا) فقلت (له) إلى أين؟ (تذهب بهم) قال: إلى النار والله ، فقلت (هؤلاء من أمّتي) ما شأنهم؟ فقال: إنّهم ارتدوا (أي: غيّروا بعد وفاتك وبدّلوا دينهم فأحدثوا وابتدعوا فيه الضلالات) ثم إذا زمرة أخرى (جماعة أخرى أراهم من بعيد) حتى إذا عرفتهم (أنّهم من أُمّتي) خرج رجل من بيني وبينهم، فقال لهم : هلمَّ ، قلت

(له) إلى أين؟ قال: إلى النار والله ، قلت (هؤلاء من أمّتي) ما شأنهم ؟ قال إنّهم (بعدك) ارتدوا (وغيّروا وبدّلوا) فلا أراه يخلص منهم (أي: لا أرى ينجو منهم إلّا مثل همل النعم (أي: لا ينجو من هذه الجماعات من الذهاب بهم إلى النار إلّا القليل) رواه البخاري ومسلم.

الصراط : الصراط كحدِّ السيف ، فيه تزلُّ الأقدام ، يوضع فوق متن جهنم ، فيمرّ منه الناس جميعًا ، فمنهم من يمرُّه ويعبره بسرعة البرق ، ومنهم من يمرّه ويعبره كمرّ الريح ، ثم كمرّ الطير ، يمرّه الناس ويعبرونه حسب أعمالهم ، ويقول (ﷺ) ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم ،أي: يدعو لأمته يطلب لها من الله النجاة والسلامة حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير على الصراط إلّا زاحفًا، يحبو كما يحبو الصبي وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة ، أي: أمرها الله بخطف أهل النار فمخدوش ناج ومكدوش في النار ، أي: أنّ هذه الكلاليب تخدش أجساد العابرين ، فمنهم من يستطيع أن يفلت منها في كل مرة حتى ينجو ويعبر الصراط ، فيعبره ، ولكن بعد أن لم يبق لحم في جسمه إلّا وخدشته وانتزعته الكلاليب ، فيعود بعد عبور الصراط عبارة عن هيكل عظمي ، ومنهم من لا يستطيع أن ينجو منها فيسقط في وسط الطريق في جهنم، ويقول (ﷺ) ما معناه في الحديث الذي رواه مسلم : إنّ قعر جهنم يبعد سبعين خريفًا، أي: سبعين سنة ، يعني أنّ الذي تزلّ قدمه عند عبور الصراط ويهوي في النار فإنه يبقى يهوي سبعين سنة قبل أن يصل إلى قعر جهنم أو أسفلها.

من صور الحشر التي رأها الرسول(ﷺ) في منامه : عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) في صفة (اسم مكان) بالمدينة فقام علينا فقال: إنّي رأيت عجبًا (أي: في منامي ورؤى الأنبياء وحي وحق) رأيت رجلًا من أُمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فردّ ملك الموت عنه ، ورأيت رجلًا من أمّتي قد احتوشته (وأحاطت به) الشياطين، فجاء ذكرُه الله فطيَّر الشياطين عنه ، ورأيت رجلًا من أمّتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلًا من أُمّتي

يلهث عطشًا كلما دنا (واقترب) من حوض (ماء) منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ، ورأيت رجلًا من أُمّتي ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا (أي: جماعات جماعات) كلما دنا (واقترب) إلى حلقة طرد ومنع فجاءه غسله (اغتساله) من الجنابة فأخذ بيده فاقعده إلى جنبي ، ورأيت رجلًا من أُمّتي من بين يديه ظُلْمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه (متحير بين هذه الظلمات لا يدري كيف يخرج منها وقد أحاطته من كل جهة) فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلًا من أُمّتي يتقي وهج النار وشررها (يحاول أن يكفّها عنه وأن يبتعد عنها وهي تلحقه) فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظلًّا على رأسه (أي: أصبحت الصدقة كالظل فوق رأسه) ورأيت رجلا من أُمّتي يكلم المؤمنين ولا يكلّمونه فجاءته صلته لرحمه (لأقربائه) فقالت يا معشر المؤمنين إنه كان وصولًا لرحمه فكلِّموه ، فكلمه المؤمنون وصافحهم وصافحوه ، ورأيت رجلًا من أُمّتي قد احتوشته الزبانية (زبانية جهنم أحاطت به) فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه (وأنقذه) من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلا من أُمّتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب (حاجز) فجاءه (حسن أخلاقه) فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلًا من أُمّتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله (تسلّم كتابه بشماله، أي: إنه من اهل النار) فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته (أي: صحيفة أعماله) فوضعها في يمينه، ورأيت رجلًا من أُمّتي خفَّ ميزانه (ومن يخفّ ميزانه فهو من أهل النار) فجاءه أفراطه (أي: أولاده الذين ماتوا وهم صغار) فثقلوا ميزانه (ومن ثقل ميزانه فهو من أهل الجنة) ورأيت رجلًا من أُمّتي قائمًا على شفير جهنم (قد تهيأ لدخولها والسقوط فيها) فجاء رجاؤه من الله فاستنقذه من ذلك وأبعده عن حافة النار ، ورأيت رجلًا من أُمّتي هوى (قد سقط) في النار فجاءته دمعته التي قد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته وأخرجته من النار ، ورأيت رجلًا من أُمّتي قائمًا على الصراط (واقفًا على الصراط المقام فوق جهنم) يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف (يرجف كما ترجف ورقة الشجرة أمام ريح هب عليها

بقوة) فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكّن روعه (ورعدته وهدأ خوفه ورجفته) ومضى (يمشي على الصراط) ورأيت رجلا من أُمّتي انتهى إلى ابواب الجنة فَغُلقتْ الأبواب دونه (فلم يجد بأًبا مفتوحا ليدخل منه إلى الجنة) فجاءته شهادة أن لا إله إلّا الله ، ففتحت له الأبواب وادخلته الجنة.

قال الحافظ أبو موسى هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيِّب.

الموعظة السابعة والعشرون : الجنة والنار

من صفة النار : عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم . وقال (ﷺ): أترونها حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون ، إنّها لأشدّ سوادا من القار (الزفت)

وعن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال : أُوقد على النار الف سنة حتى احمرّت ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت، فهي سوداء كالليل المظلم.

وإنّ الرجل من أهل النار يشتد عطشه فإذا طلب ما يرويه ويذهب عطشه قُدِّم له ماء يغلي فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة رأسه فيه، فإذا شربه قطّع أمعاءه حتى يخرج من دبره

ويُصبُّ فوق رؤوس أهل النار الماء المغلي فيخرق رؤوسهم ويدخل في أمعائهم فيمزقها حتى يخرج من أسفل أقدامهم ، أمّا طعام أهل النار فهو الزقوم ، وقد قال رسول الله (ﷺ) لو أنّ قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم (من بشاعة طعمه وشدة رائحته الكريهة) ثم قال (ﷺ) : فكيف بمن ليس لهم طعام غيره.

ويقبّح الله صور أهل النار ، ويكبّر أجسادهم حتى يصبح سنّ الكافر بقدر جبل أحد ، ويغلظ الله جلودهم حتى يكون جلد أحدهم اثنين واربعين

ذراعًا أو يكون غلظ جلده ، مسيرة ثلاثة أيّام ، ويفعل الله ذلك بالكافر ليزداد عذابه ؛ لأنّه يعذب بحرق جلده الذي تكثر فيه الأعصاب الحسية.

ويطيل الله لسان الكافر حتى يكون طوله الفرسخ والفرسخين فيزحف في الأرض ويطؤه الناس بأقدامهم ، وتسترخي شفة الكافر العليا حتى تبلغ رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته.

وعن النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) قال: إنّ أهون (أخفّ) أهل النار عذابًا رجل (يوضع) في أخمص قدميه جمرتان (من نار) فيغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم . رواه البخاري ومسلم والقمقم: وعاء من نحاس يسخن فيه الماء. وفي رواية : إنّه ما يرى أنّ أحدًا أشدّ منه عذابًا ، وإنه لأهونهم عذابًا.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: لمّا خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها (من السعادة والنعيم) قال: فجاء فنظر إليها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها قال: فرجع إليه قال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلّا دخلها (أي: لا يسمع أحد بهذه الجنة إلّا سعى لها وعمل لها ودخلها) فأُمِر بها فَحُفَّتْ بالمكاره (أي: أمر الله فأحاط الجنة بالمكاره ، بالأشياء التي تكرهها النفس كالعبادات والابتعاد عن المعاصي والشهوات أي: أحيطت بالمشقات والمتاعب) فقال: ارجع إليها فانظر الى ما أعددتُ لأهلها فيها قال: فرجع إليها فإذا هي قد حُفّت بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفتُ أن لا يدخلها أحد (وذلك أنّ الناس لا يصبرون على اقتحام تلك المشقات والشدائد ليدخلوا الجنة).

وقال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء إليها فنظر: إلى ما فيها فإذا هي يركب بعضها بعضًا فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها (يعني يجتهد في البعد عن كل ما يقربه إليها) فأُمِر بها فَحُفَّتْ بالشهوات(أي: حُفت بالمعاصي التي تشتهيها النفس) فقال: ارجع إليها فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد

إلّا دخلها . رواه أبو داود والنسائي والترمذي واللفظ له قال: حديث حسن صحيح.

من صفة الجنة واهلها : يدخل أهل الجنة الجنة وصورهم كصورة القمر ليلة البدر، وهم في الجنة لا يتغوّطون ولا يبولون ولا يمتخطون لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يتكلفون في هذا التسبيح بل يجري عندهم مجرى التنفس عند الإنسان.

وإنّهم يدخلون الجنة جُردًا، ليس في أبدانهم شعر، ومُردًا لا لحية لهم ، عيونهم سوداء جميلة كأنها مكحلة بالكحل بني ثلاث وثلاثين ، وهو السنّ التي رفع فيها عيسى عليه السلام ، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ، وهم على خلق آدم ستون ذراعًا في عرض سبعة اذرع.

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: رسول الله (ﷺ) إنّ في الجنة شجرة يسير الراكب (على) الجواد المضمر السريع (في جرية) مئة عام لا يقطعها رواه مسلم (أي: يسير على فرسه مسرعًا مئه عام لا يقطع ظل هذه الشجرة)

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ) : إنّ أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا وقعودًا ومضطجعين . رواه البيهقي وليس في ثمار الجنة نَوى.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفَس . رواه مسلم وأبو داود. والجشاء (بضم الجيم) : ريح يخرج من الفم مع صوت عند شبع.

والمعنى: أنّهم يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ومع ذلك لا يخرج منهم شيء ، وقوله: كما يلهمون النفس، يعني: أن ذلك يصدر عنهم بلا تكلّف بل بالخلقة كما يصدر النفَس ، أي : كما يحصل تنفس الإنسان ، وقد سأل رجل من أهل الكتاب فقال للرسول (ﷺ) : فإنّ الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، يعني يحتاج إلى أن يتغوّط ويبول لإخراج الفضلات وليس

في الجنة أذى ، يعني ليس فيها قذارة ولا خبث ، فردّ رسول الله (ﷺ) بقوله : تكون حاجة أحدهم رشحا، أي: عرقًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه، أي: يخلو مما فيه من طعام وشراب .

والمؤمن في الجنة يكون في صحة دائمة لا يصيبه فيها مرض وفي حياة خالدة لا موت فيها وفي شباب دائم ، وليس فيها بؤس أو شقاء ، ليس فيها إلّا التنعم بالملذات.

أول من يدخل الجنة : ثبت في صحيح مسلم ، عن أنس، قال: قال رسول الله (ﷺ) أنا أوّل من يقرع باب الجنة ، وعنه أيضًا آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح (أي: أطلب فتح باب الجنة) فيقول الخازن (الملك المسؤول عن أبواب الجنة) : من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرْتُ أن لا أفتح لأحد قبلك . رواه مسلم.

وأوّل من يدخل الجنة بعده (ﷺ) من أُمته أبو بكر (رضي الله عنه) وأنّ أُمة محمد (ﷺ) أكثر الأُمم يكونون في الجنة، وأنّهم فيها يعدلون ثلثي أهلها ، فأهل الجنة مئة وعشرون صفًّا ، وأُمّة المصطفى (ﷺ) ثمانون منها.

وعن أبي هريرة مرفوعًا : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم (وهو خمسمئة عام) وإسناده على شرط مسلم.

وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة باربعين خريفًا . رواه مسلم ، أي: باربعين سنة

أدنى منازل الجنة وأعلاها : عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة قال : هو رجل يجيء بعد أن أُدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول: أي رب (أي: يا رب) كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له : اترضى أن يكون لك مثل مَلك من ملوك الدنيا فيقول : رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ،

ومثله ومثله ، فقال في الخامسة رضيت ربي فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك فيقول : رضيت ربِّ، قال(موسى) : ربِّ فما أعلاهم منزلة؟ قال: أُولئك الذين أردت غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين) رواه مسلم.

وعن صهيب (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . رواه مسلم ، وهذا يفسر قوله تعالى :﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي رؤية الله في الجنة.

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] والوجوه الناضرة : الحسنة البهية لها رونق ونور مما هم فيه من نعيم وبهجة ، ينظرون إلى ربهم على حسب مراتبهم منهم من ينظر إليه كل يوم بكرة وعشيًّا، ومنهم من ينظر إليه مرة في كل اسبوع .

أنهار الجنة : عن أنس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): لعلكم تظنون أنّ لأنهار الجنة خدودًا في الأرض، لا والله إنّها لسائحة على وجه الأرض حافاتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الأذفر (والمسك أسمى أنواع العطور) والأذفر: الخالص الذي لا خلط له . رواه بن أبي الدنيا موقوفًا.

نساء الجنة : وعن أبي سعيد ، عن رسول الله (ﷺ) قال أدنى أهل الجنة منزلة (أي: أقلّهم منزلة) الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة تنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية وصنعاء . رواه أحمد وفي حديث دراج عن أبي سعيد مرفوعًا أنّ الرجل في الجنة يتكئ (على سريره) سبعين سنة قبل أن يتحول (أي: عنه الى سرير آخر) ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه (كتفيه) فينظر وجهه في خدها (أي: يرى صورته على خدها ، إذ خدها) أصفى من المِرآة ، وإنّ أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما

بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنتِ؟ فتقول: أنا من المزيد..؟ رواه أحمد في المسند.

وعن أنس (ﷺ) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما (أي: لملأت ما بين الدنيا وسمائها ريحًا (اطيب من ريح المسك) ولنصيفها على رأسها (أي التاج الذي فوق رأسها) خير من الدنيا وما فيها. رواه أحمد. ومثل هذا روى البخاري.

وعن ابن عباس قال: لو أنّ حوراء أُخرجت بين السماء والأرض لافتتنت الخلائق لحسنها، ولو أَخرجت نصيفها (التاج الذي فوق رأسها) لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أَخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض.

وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ مرفوعًا : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلّا قالت زوجته من الحور العين قاتلكِ الله ، إنّما هو عندكِ دخيل ، يوشك أن يفارقكِ إلينا . رواه أحمد. وفي الحديث الصحيح قال (ﷺ) : إنّ الرجل يُعطى قوة مئة رجل في مجامعة زوجاته ، وإنّه لا يضعف وإنّه لا يملّ منهنّ ولا يملنَ منه.

وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ) أنّ نبي الله (ﷺ) قال: إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، وعن أبي سعيد قال: قيل يا رسول الله : أيولد لأهل الجنة؟ فإنّ الولد من تمام السرور؟ فقال: نعم، والذي نفسي بيده ما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه . رواه الحاكم.

وهذا السياق يدل انّ هذا أمر يقع خلافًا لما حكاه البخاري والترمذي عن إسحاق بن راهويه أنّ ذلك محمول على أنّه لو أراد ذلك ، ولكن لا يريده ونقل جماعة من التابعين كطاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي وغيرهم أنّ الجنة لا يولد فيها، وهذا صحيح وذلك أنّ جماعهم لزوجاتهم لا يقتضي ولدًا كما هو الواقع في الدنيا، فإنّ الدنيا دار يراد منها بقاء النسل لتعمر ، وأمّا الجنة فالمراد اللذة ؛ ولهذا لا يكون في جماعهم لزوجاتهم مني يقطع لذة

جماعهم ، ولكن إذا أحبّ أحدهم الولد وقع ذلك كما يريد، قال تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين﴾ [النحل: ٣١].

وفي الحديث أنّ الحور العين يغنين لأزواجهن في الجنة بأعذب الألحان وأجمل الأصوات ما سمع الخلائق مثله ، وجاء في كتاب حادي الأرواح لابن قيّم الجوزية أنّ رجلًا من قريش قال لابن شهاب : هل في الجنة سماع ، أي : غناء فأجابه بأنّ الحور العين يغنين بالقرآن يقلنَ نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضًا فأجَبْنَ غناء الحواري ، فلا يُدرى أصوات الحواري ألَذُّ وأطرب أم أصوات الشجر

من تمام نعيم أهل الجنة : جاء في الأثر إنّ أهل الجنة تأتيهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث ، تطير بهم حيث شاؤوا لمواضع النعيم أو لزيارة الأهل والإخوان.

وعن أنس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعًا فيقول أحدهم لصاحبه أتعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه، كنّا في موضع كذا وكذا ، فدعونا الله فغفر لنا . رواه بن أبي الدنيا ، وقد بينت الأحاديث أنّ في الجنة خيولًا وجِمالًا.

ومن فضل الله على المؤمنين من أهل الجنة أنّه سبحانه يجمع المؤمن مع أبيه وأُمه وزوجته وأولاده ، وإن كانوا أقلَّ منه عملًا ودرجة ومنزلة من دون أن ينقص الله من أجر عمله شيئًا ؛ ذلك لتقرَّ عينه باجتماعه بهم. قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١]

وقال تعالى (بإيمان، ولم يقل سبحانه (بالإيمان) لأنّ المراد بأيِّ إيمان كان صغر أم عظم ، فإنّ الله سبحانه يرفع درجة هذه الذرية إلى درجة المؤمن لتتمّ سعادته بلقائه بهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله (ﷺ) : أولاد المؤمنين (أي: الذين ماتوا صغارًا) في جبل في الجنة يلقاهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة . رواه البيهقي.

وإنّ أهل الجنة لا يموتون فيها لكمال حياتهم ، وكمالهم في ازدياد من قوة الشباب، ونضرة الوجوه، وحسن الهيئة وطيب العيش، ولهذا جاء في بعض الأحاديث أنّهم لا ينامون فيها لكيلا ينشغلوا بالنوم عن الملذات والحياة الهنيئة، ولا يعتري أهل الجنة ملل ، ولا ضجر، كما يضجر أهل الدنيا

وعن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنّه بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة يناديهم مناد من الله : إنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا ، وإنّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا (ولا تمرضوا) أبدًا ، وإنّ لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا (ولا تشقوا) أبدًا . رواه أحمد ، كما رواه مسلم والترمذي فذلك قوله تعالى: ﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الاعراف: ٤٣].

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ) : إنّ الله يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعد يك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربنا، فأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط (فلا أغضب) عليكم بعده أبدًا . رواه البخاري ومسلم.

آخر من يدخل الجنة : عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قال: آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ويكبو (على وجهه) مرة أخرى وتسفعه (وتمسه) النار مرة ، فإذا ما جاوزها (وابتعد عن النار قليلًا بعد أن خرج منها) التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله (بخروجي منك) شيئًا ما أعطاه الله أحدًا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة (يراها من بعيد) فيقول أي ربِّ (أي: يا ربِّ) ادنني (قربني) من هذه الشجرة لاستظلّ بظلّها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلي أن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا

يسأله غيرها، وربه يعذره (أي: أن الله يعذر هذا العبد إن خالف العهد) لأنّه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه (ويقرّبه) منها فيستظلّ بظلّها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة (يراها من بعيد) هي أحسن من الأولى، فيقول أي ربِّ (يا ربِّ) ادنني (قربني) من هذه لأشرب من مائها وأستظلّ بظلّها لا أسألك غيرها فيقول (الله له) يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول (الله سبحانه له) لعلي إن أدنيتك (قربتك) منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره ؛ لأنّه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه (ويقرّبه) منها فيستظلّ بظلّها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولَيينِ فيقول (هذا العبد) أي ربِّ (يا ربِّ) ادنني (وقربني) من هذه (الشجرة) لأستظل بظلّها وأشرب من مائها لا اسألك غيرها فيقول (الله له) يا ابن آدم ، ألم تعاهدني أن لا تسالني غيرها، قال: بلى، هذه لا أسالك غيرها، وربه يعذره ؛ لأنّه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه ويقربه منها فإذا أدناه (وقرَّبه) منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي ربّ (يا ربِّ) أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يرضيني منك؟ (أي: أيّ شيء أعطيك حتى ترضى؟) أيرضيك أن (أدخلك الجنة) وأعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا ربِّ : أتستهزئ مني وأنت ربّ العالمين؟ فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسالوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مِمَّ تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله (ﷺ) فقالوا (وسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام) مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك ربِّ العالمين حين قال (عبده) أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: والله إنّي لا أستهزئ منك ، ولكني على ما أشاء قادر . رواه مسلم

وقد ورد نحوه في آخر أهل الجنة دخولًا الجنة بعد أن يخرجه الله من النار، وهو آخر أهل النار خروجًا من النار ، وآخر الداخلين من أهل الجنة.

ذبح الموت : عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح (والكبش الأملح ما كان في صوفه بياض وسواد والبياض أكثر) فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون (أي: يرفعون رؤوسهم) وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلّهم قد رآه ، ثم ينادي، يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟

فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح (أمام أعينهم في مكان بين الجنة والنار) ثم يقول (المنادي) يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم . هذا حديث متفق على صحته.

نسال الله سبحانه أن يجعلنا من أوّل الذين يدخلون الجنة بِمَنَّه ورحمته وكرمه ، وأن يمتّعنا بمتعة النظر إلى وجهه الكريم ، وصحبة نبيه المصطفى (ﷺ) وأن يجمعنا هناك مع والدينا وزوجاتنا وأولادنا وذرياتنا . اللهم امين.

الموعظة الثامنة والعشرون : ثقل (لا إله إلّا الله) في الميزان

عن عبدالله عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (ﷺ) ما مفاده أنّ الله سبحانه سيعرض رجلًا من أُمّتي ، من أُمَّة محمد (ﷺ) يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كلّ سجل مدّ البصر، مملوءة بالفسق والفجور والمعاصي والآثام، سجلات رجل لم يعص الشيطان طوال عمره ، ثم يقول الله تبارك وتعالى لهذا الرجل أتنكر من هذه الذنوب شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون الذين كانوا يراقبونك ويسجلون سيئاتك وحسناتك؟ هل كتبوا عليك سيئة لم تعملها؟ هل نسوا كتابة حسنة واحدة كنت قد عملتَها وسهت الملائكة عن كتابتها؟ فيقول: لا يارب لا أُنكر من ذلك شيئًا وأنّي لأعترف باقترافي الذنوب كلها المسطرة في سجلاتي ، ثم يقول له الله سبحانه وتعالى: أَلَكَ عذر ؟ هل عندك أي عذر كان؟ هل عندك ما تستطيع أن تدافع به عن نفسك؟ فيقول الرجل: لا يا ربِّ ، ويقول له سبحانه : هل عندك حسنة واحدة عملتَها؟ فيقول: لا يا رب ليس عندي أي حسنة كانت ، إلّا أنّ الرجل يُفاجأ حين يقول له رب العزة : بلى إنّ لك عندنا حسنة واحدة قد عملتها إلّا أنَّكَ قد نسيتها، فيقول الرجل وما هي ؟ فيقول سبحانه : حسنة واحدة فقط لا غير، إنّها بطاقة واحدة مكتوب عليها : أشهد ان لا إله إلّا الله وأشهد أن محمدًاعبده ورسوله، فأَحْضِرْ وزنك ، فيقول الرجل : يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات، ماذا تغني عني هذه البطاقة الصغيرة بجانب هذه السجلات الكثيرة ، فيقول له ربّ العباد : أَحْضِرْ وزنك فإنّك اليوم لا تُظْلَم ، فَيُؤْتَى بالميزان فتوضع السجلات في كفة ، حتى إذا وضعت البطاقة في

الكفة الأخرى طاشت السجلات وخَفَّ وزنها بجانب الشهادة ، وثقلت البطاقة : فيقول (ﷺ) إذ لا يثقل مع اسم الله شيء . رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه

فتثقل هذه البطاقة ميزانه ، ومن ثقل ميزانه فهو من أهل الجنة.

الموعظة التاسعة والعشرون : فضل الخوف من الله والبكاء من خشيته

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ الا ظلّه، ذكر من هؤلاء السبعة ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه. رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس(رضي الله عنه) أنّ النبي (ﷺ) قال : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن أبي ريحانة (رضي الله عنه)عن النبي (ﷺ) قال : حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله . رواه أحمد واللفظ له والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد، وفي حديث أنّها لا تمسّها النار. وفي حديث آخر أنّها لا تنالها النار . وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) لا يلج النار (أي لا يدخل النار) رجل بكى من خشية الله . رواه الترمذي.

وروي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) كلّ عين باكية يوم القيامة (أي كل إنسان سيبكي يوم القيامة مما يرى من أهوالها) إلّا عينًا غضت عن محارم الله (أي لا تنظر إلى ما حرم الله) وعينًا سهرت في سبيل الله ، وعينًا خرج منها مثل رأس الذباب (أي خرج منها دمع ولو كان بحجم رأس ذبابة) من خشية الله عز وجل . رواه الأصبهاني وقد قال (ﷺ): طوبى لمن بكى على خطيئته.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (ما معناه) كان الكفل ، وهو اسم رجل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب

عمله ، أي كان كثير الذنوب فأتته إمرأة فأعطاها ستين دينارًا ، وكان الدينار من قبل من ذهب ، على أن يطأها، أي من أجل أن يواقعها ويزني بها، فلما أرادها على نفسها، أي جعلها تضطرّ لأن تقبل بذلك، ارتعدت وبكت فقال: ما يبكيكِ ، أي لماذا بكيتِ ؟ قالت لأنّ هذا عمل ما عملتُه من قبل ولم أتعود عليه فأنا لستُ زانية ، وما حملني عليه إلّا الحاجة والفقر فقال: تفعلين أنتِ هذا من مخافة الله! فأنا أحرى وأولى وأحق أن أكون أكثر منكِ خوفًا من الله ، فتركها ولم يفعل ما أمرته به نفسه ، ثم قال لها اذهبي ولك ما أعطيتكِ من المال ووالله ما أعصيه بعدها أبدًا ، فمات من ليلته ، فأصبح مكتوبٌ على بابه إنّ الله قد غفر للكفل ، فعجب الناس من ذلك رواه الترمذي وحسنه والحاكم وقال صحيح الإسناد، أي: دهش الناس من غفران الله ومسامحته له مع كثرة ما ارتكب من المعاصي ، ولما تاب عاجلته المنية فمات من ليلته قبل أن يعمل شيئًا من الصالحات وقد غفر الله له ؛ لأنه خاف الله في هذا المقام وتاب توبة صادقة والتوبة تجبُّ ما قبلها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي (ﷺ) قال ما مفاده : كان رجل ممن كانوا قبلكم والظاهر أنّه من بني إسرائيل يسرف على نفسه ، أي : يتجاوز حدّه في ارتكاب المعاصي والشرور لم يعمل حسنة قط ، لما حضره الموت ، أي : أشرف على الموت ، قال لبنيه إنّني لم أعمل خيرًا قط فأوصاهم بقوله : إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني واسحقوني حتي تجعلوني رمادًا ، ثم ذرّوا في يوم عاصف شديد هبوب الرياح ذرّوا نصف جسمي الذي صار رمادًا في البر ، ونصفه الآخر في البحر ، أي : طيّروا أجزاء جسمي وفرقوها هنا وهناك ، فوالله لئن قدر الله عليّ ، أي : إذا قدر على إعادتي حيًّا بعد مماتي فإنّ الله سبحانه سيعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين وقد ظنّ هذا الرجل بأنّ هذه الطريقة تخلصه من العودة حيًّا بعد الممات ولم يعلم جهلًا منه أنّ الله على كل شيء قدير، ولما مات نفّذ أبناؤه وصيته

وفعلوا ما أمرهم به ، فأمر الله سبحانه البَرَّ أن يجمع ذراته فَجُمِعَتْ ، وأمر الله سبحانه البحر أن يجمع ذراته فجُمعت ، فإذا هو قائم بروحه وجسمه بين يدي الله ، فَمَثُلَ بين يدي رب العزة فخاطبه الله : يا فلان ما الذي حملك على فعل ذلك؟ لماذا صنعت بنفسك هذا؟ فقال الرجل: والله يا ربّ وأنت تعلم ما فعلت هذا بنفسي إلّا من خشيتك ومن مخافتك ، فقد خشيت أن تعذبني وقد أسرفتُ على نفسي بالذنوب ، فقال الله له جلّ وعلا : بما أنّك فعلتَ هذا خوفًا مني فقد غفرت لك . رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس(ﷺ) قال النبي (ﷺ) : يقول الله عز وجل (لملائكته يوم القيامة) أخرجوا من النار من ذكرني يومًا (مرة في حياته) أو خافني في مقام (مرة في حياته) رواه الترمذي والبيهقي.

اللهم أبعدنا عن الآثام، وأوزعنا أن نذكرك والناس نيام، وأن نخافك في كل مقام، وأدخلنا برحمتك جنة الفردوس بسلام.

الموعظة الثلاثون : من مساوئ الأخلاق

الكِبْرُ (الكبرياء) : قال الله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦] وقال تعالى:﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍجَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]] وقال تعالى:﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥].

وعن النبي (ﷺ) قال: بينما رجل يمشي في حلّة تعجبه نفسه مُرَجَّل، أي: ممشط رأسه مختال في مشيه ، إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة . رواه الشيخان ، وقال عليه الصلاة والسلام : بينما رجل ممن كان قبلكم يجرّ إزاره من الخيلاء خسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة . رواه البخاري ومسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام: أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، وقال عليه الصلاة والسلام: إنّ الله لا ينظر إلى من يجرّ إزاره بطرًا .رواه مسلم.

وقال (ﷺ) : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْرٍ: قيل : إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة ، قال: إنّ الله جميل يحب الجمال، الكِبْرُ: بطر الحق، وغمط الناس.

وبطر الحق: ردّ الحق ودفعه، وغمط الناس: احتقارهم .

وقال (ﷺ): لا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر. رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

والكِبْرُ عواقبه وخيمة يوم القيامة ، فقد روى أحمد بسنده ، والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: التقى عبد الله بن عمرو (ابن العاص) رضي الله عنهما، وعبد الله بن عمر (ابن الخطاب) رضي الله عنهما ، على المروة (تل، مرتفع من الأرض) فتحدثا (جرى بينهما حديث وكلام) ثم مضى ابن عمرو (ابن العاص) وأقام (عبد الله) بن عمر (بن الخطاب) يبكي (وقد كان أبوه من قبل كثير البكاء من خشية الله ومن يشابه أبه فما ظلم) قالوا(له يا ابن عمر بن الخطاب) وما يبكيك (ما الشيء الذي جعلك تبكي) يا أبا عبد الرحمن؟ قال : هذا يعني ، عبد الله بن عمرو (بن العاص) زعم أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: من كان في قلبه حبة من خردل من كِبْر أكَبَّه الله في النار على وجهه.

وروي أنّ محمد بن واسع رأى مطرف المهلب يتبختر ويمشي مختالًا فخورا متكبرًا لكثرة أمواله في جبة خزّ ، أي: يمشي وعليه جبة من حرير ، فقال له: يا عبد الله ناداه عبد الله ، ليشعره بأنّه هو عبد من عباد الله ، لا يختلف عن بقية الناس من حيث المنشأ، والمصير ، فقال له : يا عبد الله إنّ هذه مشية يبغضها الله ورسوله ؛ لأنّ فيها تكبرًا وإعجابًا بنفسك واستصغارًا لمن سواك فقال له المهلب: أما تعرفني؟ بأني أنا فلان بن فلان نسبي كذا وكذا وحسبي كذا وكذا؟ فقال له : بلى أعرفك جيدًا: أولك نطفة مذرة ، مني الرجل

وبيضة المرأة وكلاهما سائل مهين ، وآخرك جيفة قذرة ، هذه نهايتك بعد الممات، وأنت بين ذلك تحمل العذرة أي : تحمل في بطنك الغائط ، فلما سمع المهلب هذا الكلام ترك مشية التبختر .

وصرحت الأحاديث النبوية أنّ المتكبرين يحشرون يوم القيامة وقد صغّرهم الله حتى جعلهم كحجم النمل يطؤهم الناس بأقدامهم لهوانهم على الله . ذلك أن العقاب من جنس العمل.

وقال (ﷺ) : يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي فمن نازعني في ردائي فصمته ، أخرجه الحاكم.

وفي رواية قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعز إزاري من نازعني في شيء منهما عذبته. وفي رواية قذفته في النار. وفي رواية : ألقيته في جنهم وقال (ﷺ) : ما من رجل يتعاظم في نفسه ويختال في مشيته إلّا لقي الله وهو عليه غضبان ، أخرجه الحاكم وقال (ﷺ) : من حمل سلعته فقد برئ من الكِبْر رواه البيهقي: أي: حمل بضاعته أو حاجته بيده.

وقال (ﷺ): ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ وملك كذاب ،.وعائل مستكبر، أي: فقير ، وهو الذي على الرغم من فقره، يتكبر رواه مسلم والنسائي.

وقال (صلى الله عليه وسلم) : أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاف (الذي يكثر من الحلف الكذب لترويج سلعته) والفقير المختال ، والشيخ الزاني والإمام (الحاكم) الجائر (الظالم) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه

وقال (ﷺ) : عرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط (حاكم ظالم) وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فيه ، وفقير فخور (متكبر) رواه ابن خزيمه وابن حبان في صحيحه.

الاستهزاء بالناس : معنى السخرية والاستهزاء هو الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة

في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء

والسخرية والاستهزاء بالآخرين محرم وبخاصة عندما يتأذى به المستهزأ به.

عن الحسن (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) إنّ المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم بابٌ من الجنة فيقال: له هلم هلم، فيجيء بكربه وغمه فإذا جاءه أُغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال :هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاءه اغلق دونه، فما يزال كذلك حتى إنّ أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة، فيقال له : هلم فما يأتيه من الإياس، أي: إن الله يستهزيء بهم يوم القيامة كما كانوا يستهزئون بالناس في الدنيا.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله (ﷺ) قال: بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . رواه مسلم.

وقال ابن عباس في قوله تعالى:﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف:٤١] إنّ الصغيرة : التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة : القهقهة بذلك.

النميمة : قال الإمام النووي في تعريفها : هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد.

وقال الله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة){الهمزة : ١} وقال تعالى: (هماز مشاء بنميم){القلم : ١١} وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله (ﷺ) مرّ بقبرين فقال: إنّهما يعذبان وما يعذبان في كبير .وفي رواية البخاري قال: بلى إنّه كبير ، أمّا أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: لا يدخل الجنة نمام . رواه البخاري ومسلم.

الغيبــة : الغيبة : هي ذكرك الإنسان بما فيه مما يكرهه ، وقد سأل الرسول (ﷺ) أصحابه رضي الله عنهم عن الغيبة ، فقال : أتدرون ما الغيبة؟.قالوا: الله ورسوله أعلم ؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره.قيل: أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول. ، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه .رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي (ﷺ) : حسبك من صفية كذا وكذا ، يعني أنّها قصيرة. فقال رسول الله (ﷺ) : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته.أي: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها.

وقال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيه مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات : ١٢]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): لما عرج بي، مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم . رواه أبو داود

سماع الغيبــة : قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : اعلم أنّ الغيبة كما يحرم المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها ، فيجب على من سمع إنسانا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه إن لم يخف ضررًا ظاهرًا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، فإن قدر على الإنكار بلسانه، أو على قطع الغيبة بكلام آخر، لزمه ذلك، فإن لم يفعل عصى. فإن قال بلسانه : اسكتْ، وهو يشتهي بقلبه استمراره ، قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: ذلك نفاق، لا يخرجه عن الإثم، ولا بد من كراهته

بقلب ، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار، أو أنكر فلم يقبل منه، ولم يمكنه المفارقة بطريق من الطرق حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة.

ما يباح من الغيبة : قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: اعلم أنّ الغيبة وإن كانت محرمة، فإنّها تباح في أحوال للمصلحة ، والمجوز لها غرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلّا بها، وهو أحد ستة أسباب:

الأول : التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية ، أو له قدرة على إنصافه من ظالمه ، فيذكر أنّ فلانًا ظلمني، وفعل بي كذا، وأخذ منّي كذا، ونحو ذلك.

قال تعالى:﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا.﴾ [النساء: ١٤٨]

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك، أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه ?وتحصيل حقي ودفع الظلم عني؟ ونحو ذلك.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه منها: جرح المجروحين من الرواة للحديث، والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: إذا استشارك إنسان في مصاهرة إنسان أو مشاركته، أو إيداعه، او الإيداع عنده، أو معاملته ونحو ذلك، وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه عنه على جهة النصيحة ، فإن حصل الغرض بمجرد قولك : لا تصلح لكَ معاملته، او مصاهرته، أو لا تفعل هذا، او نحو ذلك ، لم تجز لك زيادة بذكر المساوئ،

وان لم يحصل الغرض إلّا بالتصريح بعينه فاذكره بصريحه.

ومنها إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخفتَ أن يتضرر المتفقّه بذلك، فعليك ببيان حاله، ويشترط أن يقصد النصيحة.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، فالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة أموال الناس، يجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

السادس: التعريف، فإن كان معرَّفًا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى وغيرهم، جاز تعريفه بذلك بنية التعريف، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنّ رجلًا قال له : إنّ فلانًا قد اغتابك، فبعث إليه رطبًاعلى طبق ، وقال: قد بلغني أنّك أهديتَ إليَّ من حسناتك، فأردتُ أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام ، أي : لا أقدر أن أغتابك كما اغتبتني.

وكان الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول: لو كنتُ مغتابا احداً لاغتبتُ والديَّ، لأنهما أحق بحسناتي

كفارة الغيبة : قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: اعلم أنّ الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ، ليخرج من حق الله سبحانه، ثم يستحل المغتاب فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو: حزين، متأسف، نادم على ما فعله، إذ المرء قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفي الباطن لا يكون نادمًا، فيكون قد قارف معصية أخرى

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال. وربما استدل في ذلك بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول (ﷺ): كفارة من اغتبته أن تستغفر له .اخرجه ابن ابي الدنيا

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه، وتدعو له بخير.

وسُئل عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه عن التوبة من الغيبة فقال: أن تمشي إلى صاحبك فتقول له: كذبتُ فيما قلتُ، وظلمتكَ وأسأتُ إليكَ، فإن شئتَ أخذتَ بحقكَ وإن شئتَ عفوتَ.

وهذا هو الأصح، فقد ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة (ﷺ) أنه (ﷺ) : قال: من كانت لأخيه عنده مظلمه، في عرض أو مال، فليستحللها منه قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، إنّما يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته

وفي الحديث أنّ رجلًا اعترف على نفسه بالزنا فرجم بالحجارة حتى مات فسمع (ﷺ) رجلين يقول أحدهما للآخر : انظرْ إلى هذا الرجل كيف فضح نفسه حتى رُجِمَ رَجْمَ الكلب. ، فسكت عليه الصلاة والسلام ولم يرد عليهما، ثم سار ساعة فمر بجيفة حمار ميت قد انتن وتغيرت رائحته فقال (صلى الله عليه وسلم): أين فلان وفلان؟ فقالا ها نحن يا رسول الله، ماذا تريد منا؟ فقال لهما: كُلا من جيفة هذا الحمار، فقالا يا رسول الله غفر الله لك مَن يأكل من هذا؟ فقال رسول الله (ﷺ) : مانلتما من عرض هذا الرجل آنفًا (أي: غيبتكما للرجل الذي رجم وقولكما عنه بأنّه فضح نفسه ورجم رجم الكلب) أشد من أكلِ هذه الجيفة فو الله الذي نفسي بيده إنّه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها . أخرجه ابن حبان في صحيحه.

ذلك أنّ هذا الرجل الذي زنى طهر نفسه عند ما اعترف بذنبه أمام الرسول الله (ﷺ) وطلب منه أن يطهره بإقامة حد الزنا عليه الذي هو رجمه بالحجارة حتى الموت، فلما رجم طهره الله بهذه العقوبة فمات طاهرًا مغفور الذنب .

وفي الحديث أنّ الرسول (ﷺ) أتى على قبر يعذب فيه صاحبه فقال: إنّ هذا كان يأكل لحوم الناس، أي: يغتابهم ثم دعا بجريدة رطبة فوضعها على القبر وقال: لعله أن يُخفف عنه مادامت هذه رطبة ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

الكذب : عن ابن مسعود (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : إيّاكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا . رواه الشيخان

وعن أبي هريرة (ﷺ) أنّ الرسول الله (ﷺ) قال: برُّ الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد القضاء . رواه الأصبهاني

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : عن النبي (ﷺ) قال: إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلًا من نتن ما جاء به . رواه الترمذي وقال حديث حسن والنتن : الرائحة الكريهة . وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه : لا اشتهيه، أيعدّ ذلك كذبا؟ !قال: إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة . رواه أحمد وغيره ، وعن أبي هريرة (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) أنّه قال : من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه، فهي كذبة . رواه أحمد وغيره. هاك : أي : أقبل خذ

وعن عبد الله بن عامر (ﷺ) قال : دعتني أُمي يومًا، ورسول الله (ﷺ) قاعد في بيتنا، فقالت: هاكَ تعال أعطكَ، فقال لها رسول الله(ﷺ) : ما أردتِ أن تعطيه؟ قالت: أردتُ أن أعطيه تمرًا ، فقال لها رسول الله (ﷺ) : أما أنّك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة. رواه أو داود والبيهقي

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له، ويل له . رواه أبو داود والترمذي وغيرهما

وعن أبي أمامة (ﷺ) أنّ النبي (ﷺ) قال: أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا . رواه البيهقي وأبو داود والترمذي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: من كذب في حلم كُلِّف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدًا . رواه البخاري.

ما رخص من الكذب : الكذب حرام إلّا لضرورة بيَّنها الشرع ، قال

ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أرايتَ لو أنّ رجلًا سعى خلف إنسان ليقتله فدخل فانتهى إليك: فقال: أرأيت فلانًا؟ ما كنت قائلًا؟ الست تقول: لم أره؟ وما تصدق به وهذا الكذب واجب.

والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت: ما سمعت رسول الله (ﷺ) يرخص في شيء من الكذب إلّا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدّث امرأته والمرأة تحدّث زوجها. رواه مسلم

وعن أم كلثوم قالت: قال رسول الله (ﷺ): ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرًا أو أنمى خيرًا . متفق عليه . وقالت أسماء بنت يزيد: قال رسول الله (ﷺ) : كل الكذب يكتب على ابن آدم ، إلّا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما . رواه احمد.

اللعـن : اللعن هو عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وقد يكون لإنسان أو لحيوان أو جماد أو غير ذلك، وحكمه أنَّه مذموم في الإسلام، وغير جائز، ويجوز لعنة كل شخص ثبتت لعنته شرعًا كقولك: الشيطان لعنه الله، وفرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله ؛ لأنّه قد ثبت أنّ الشيطان ملعون وأنّ فرعون وأبا جهل ماتا على الكفر وعرف ذلك شرعًا. ولا يجوز لعن شخص معين لم يمت ولو كان كافرًا؛ لأنّه لا ندري ما يختم له ، ويجوز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين والمعروفين كما ورد في قول الله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب:64]. وقوله سبحانه : ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود:18] .وقوله سبحانه:﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[ال عمران:٦١] وقد ثبت في الأحاديث النبوية أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لعن الله الراشي والمرتشي والرائش . رواه أحمد عن ابن عمر ، وقال: لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء. رواه البخاري عن ابن عباس

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن اللعن ، وعن ثابت بن الضحاك (رضي الله عنه)

وكان من أصحاب الشجرة قال: قال رسول الله (ﷺ) : لعنُ المؤمن كقتله . متفق عليه . وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة . رواه مسلم وعن سمرة بن جندب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار، رواه أبو داود والترمذي ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي (ﷺ) قال : من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه . رواه أأبو داود والترمذي.

الموعظة الحادية والثلاثون : حق الفقراء على الأغنياء

قال الله تعالى:﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: 180] ، والمقصود بهم مانعو الزكاة من الأغنياء فإنّ أموالهم التي لم يزكوها ستطوق أصحابها، قال (ﷺ): من أتاه الله مالًا فلم يودّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع (افعى) له زبيبتان (أي: له نكتتان سوداوان) يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهمزتيه يعني شد قيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك. رواه البخاري ومسلم . وجاء في الحديث: كل ما أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا تحت الأرض، وكل مالا تؤدي زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا . رواه البيهقي.

وقال تعالى:﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: 35] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ) : ما من صاحب ذهب ولا فضة (وحلّ الآن محلهما الأوراق النقدية) لا يؤدي منها حقها إلّا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأُحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، أي : يوسع جسمه لها كلها وان كثرت . أخرجه الشيخان

وغيرهما. . وروى الطبراني عن ابن مسعود مامعناه أنّه (ﷺ) قال : في الأموال التي لم يزكّها صاحبها إنّها تُحوَّل جميعها مهما كثرت كل دينار منها ودرهم إلى صفائح فتحمى في نار جهنم ثم توضع فوق ظهر صاحبها وجنبه وجبينه وإذا ضاق عنها وسّع جسمه حتى يسعها جميعا ، وإنّها كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى إذا انتهى يوم الحساب فيرى سبيله بعد ذلك إمّا أن يغفر الله له بعد أن عوقب بترك الزكاة فيدخل الجنة ، أو يدخل النار إذا كانت له معاصٍ أخرى ، فهذا جزاء من كان صاحبها ولم يؤدِّ زكاتها ، قيل : يا رسول الله فالإبل : قال ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها إلّا إذا كان يوم القيامة جُعلت هذه الإبل في أرض ملساء وجيء بها وهي سمينة أسمن ما كان فتطؤه بأخفافها وأقدامها وتعضُّه بأفواهها كلما مرّ عليه أولاها رُدّ عليه أخراها. ، تدوسه الإبل جميعها واحدة تلو أخرى حتى إذا انقضت جميعها عادت عليه لتطأه مرة ثانية وثالثة وهكذا في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إمّا الى الجنة وإمّا إلى النار ، وكذلك يفعل بصاحب البقر والغنم ، وأيُّ أموال أخرى لا يؤدي صاحبها زكاتها.

ويقول ﷺ يحذرنا: لا ألفينّ أحدكم، أي: لا أريد أن أرى أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته أمواله التي لم يودِّ حقها من الزكاة وقد تحولت إلى أفعى تمسك بطرفي فمه ويقول أنا كنزك أنا مالك فينادي يا محمدًا أغثني يا محمد أغثني فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا فقد بلغتك.

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدّوا للبلاء بالدعاء . رواه الطبراني.

وقال عليه الصلاة والسلام: إذا أديتَ زكاة مالك فقد أديت ما عليك .رواه الترمذي. ، وقال عليه الصلاة والسلام: إذا أديتَ زكاة مالك فقد أذهبت عنك

شرّه . رواه الحاكم. وقال (ﷺ): ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا يعفو إلّا عزّا وما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله . رواه مسلم وأحمد والنسائي.وقال ﷺ: ما طلعت شمس قط إلّا وبجنبيها ملكان يناديان: اللهم من أنفق فأعْقِبْه خلفًا (أي: عوض له ما أنفق وتصدق به) ومن أمسك (بخل) فأعْقبْه تلفًا . رواه أحمد وابن حبان والحاكم.

الموعظة الثانية والثلاثون : لا يُقبل العمل إلّا اذا ابتُغي به وجه الله

إذا قُبل العمل الصالح لأنّ صاحبه ابتغى به وجه الله، بلغ هذا العمل درجة جواز التوسل به لتفريج الكربات فعن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت (أي: ألجأهم) إلى غار (وهو الكهف في الجبل) فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا (أي: قال بعضهم لبعض) إنّه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان (أم وأب) شيخان كبيران وكنتُ لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا (أي: كنت لا نأكل أنا وزوجتي وأولادي عشاءنا إلّا بعد أن أقدم لهما عشاءهما) فنأى بي طلب شجر (أي: بعد الطريق الذي سلكته في يوم ما لجلب الشجر وبيعه) فلم أرُحْ عليهما (فلم أعد إليهما مساء ذلك اليوم) حتى ناما فجلبت لهما غبوقهما (أي: جلبت لهما الحليب الذي أطعمهما إيّاه) فوجدتهما نائمين (أي: جئت إليهما متأخرًا وطعامهما في يدي فوجدتهما قد ناما) فكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا (أي: كرهت أن أطعم نفسي أو زوجتي أو أولادي قبل أن أطعمهما) فلبثتُ والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر (أي: بقيت انتظرهما حتى أصبح النهار)،والصبية يتضاغون عند قدمي (أي: بات أولادي جائعين) حتى استيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك

ابتغاء وجهك ففرِّجْ عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئًالا يستطيعون الخروج منها، قال النبي (ﷺ) .قال الآخر اللهم كانت لي ابنة عمٍّ كانت أحبَّ الناس إليّ فاردتها عن نفسها (أي: طلبت منها أن تخلي بيني وبين نفسها) فامتنعت مني حتى ألمّت بها سنة (أي: حتى أصابتها سنة قحط وجوع وفقر) من السنين فجاءتني فاعطيتها عشرين ومئة دينار(وكان الدينار من قبل من ذهب) على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلتْ حتى إذا قدرتُ عليها (وقعدت منها مقعد الرجل من زوجته) قالت : لا يحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلّا بحقّه فتحرجتُ وامتنعتُ من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبّ الناس إلي وتركتُ الذهب الذي أعطيتها.اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرجْ عنّا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنّهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال النبي (ﷺ): وقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أُجراء (أي: عمالًا كانوا يعملون عندي) وأعطيتهم (بعد أن فرغوا من عملهم) إجرتهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب (فلم يأخذ إجرته) فثمرتُ (كثَّرتُ ونمَّيتُ) أجره حتى كثرتْ منه الأموال فجاءني بعد حين (بعد مدة بعد أشهر وسنين) فقال : لي يا عبد الله أدِّ (أعطِ) إليّ أجري فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق (أي: العبيد والجواري) فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت : إني لا استهزىء بك فأخذه كله فساقه فلم يترك منه شيئًا . اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرجْ عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون. رواه البخاري ومسلم والنسائي

وعن الضحاك بن قيس قال: قال رسول الله : إنّ الله تبارك وتعالى يقول : يا أيّها الناس اخلصوا أعمالكم (أي: اجعلوها لله لا لمصلحة أو سمعة) فإنّ الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلّا ما خلص . رواه البزار بإسناد لا

بأس به.

وعن أبي الدرداء عن النبي (ﷺ) قال: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلّا ما ابتغي به وجه الله تعالى . رواه الطبراني بإسناد لا بأس به.

وحين هاجر المسلمون من مكة الى المدينة كان لأحد المشركين امرأة يحبّها وكان يريد الزواج منها هاجرتْ فهاجر مع المسلمين بسببها فأُخبر بذلك الرسول (ﷺ) فقال: إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسول (يعني أنّ هجرته مقبولة ومأجور عليها) ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها (يريد أن يتزوجها) فهجرته إلى ما هاجر اليه . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

الموعظة الثالثة والثلاثون : من صلة الأرحام والإحسان إلى الجار

صلة الرحم : صلة الرحم هي أن تزور أقرباءك تسأل عن أحوالهم وإن كنت غنيًّا تساعد الفقير بما تقدر عليه ، ومن معاني هذه الصلة أن تزورهم لله سبحانه تبغي من ذلك الأجر وطاعة الله، وليس من صلة الرحم أن تزورهم إن زاروك وتقطعهم إن قطعوك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: إنّ لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ وأحلم عليهم ويجهلون علي (أي: أعفو عن المسيء اليّ منهم وهم يقابلون هذا العفو والإحسان بالجفاء والإساءة) فقال له النبي (ﷺ) : لئن كنت (صادقًا) كما قلت فكأنما تسفّهم الملَّ (أي: كأنما تذر على وجوههم الرماد الحار) ولا يزال معك من الله عز وجل ظهير عليهم (ناصر ينصرك عليهم) ما دمت على ذلك ، أي ما استمررت على هذه الحال واستمروا هم على تلك الحال . أخرجه مسلم.

وقال (ﷺ) : ليس الواصل بالمكافئ (أي: لا يعدّ الذي يصل أقرباءه إن وصلوه ويقطعهم إن قطعوه، لا يعد هذا من الذي يصل رحمه) ولكن الواصل الذي إذا قطعه رحمه وصلها.

وقال (ﷺ) : أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح؟ أي: الذي يضمر عداوة في كشحه، أي: خصره كناية عن باطنه وهو في معنى قوله (ﷺ) وتصل مَن قطعك . هذا ما رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم والعبارة الأخيرة رواها مسلم.

فأفضل الصدقة هي أن تتصدق على قريب لك يخفي عداوته لك.

وعن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: لقيتُ رسول الله (ﷺ) فأخذتُ بيده، فقلتُ : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال؟ فقال: يا عقبة : صِلْ مَن قطعك ، وأعطِ مَن حرمك ، واعفُ عمن ظلمك . رواه احمد. وفي رواية الطبراني وبسند محتج به قال (ﷺ) لرجل : ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة : أن تصل مَن قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) : إنّ الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت : بلى قال: فذاك لك. وذكر الحديث الذي رواه الترمذي عن رسول الله (ﷺ) أن ذنبين يعجل الله عقوبة صاحبيهما في الدنيا قبل الآخرة ، الأول البغي الذي هو الظلم والاعتداء على الناس وهضم حقوقهم والذنب الثاني قطيعة الرحم.

وروى الشيخان عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: لا يدخل الجنة قاطع ، قال سفيان: يعني قاطع الرحم.

وأخرج أحمد بسند رواته ثقات أنّ الرسول (ﷺ) قال: إنّ أعمال بني آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم . وروى الطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ونحن

مجتمعون فقال : يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنّه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، وإيّاكم والبغي (الاعتداء والظلم) فإنّه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي ، وإيّاكم وعقوق الوالدين فإنّ ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق لوالديه ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جارّ إزاره خيلاء (وتكبرًا) إنّما الكبرياء لله رب العالمين.

وروى الشيخان عن رسول الله (ﷺ) أنّه قال: الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله.

وروى الحاكم وابن حبان أنّه أتى النبي رجل فقال: إني أذنبتُ ذنبًا عظيمًا فهل لي من توبة؟ قال: هل لك أم ؟ قال: لا، قال: هل لك خالة؟ قال: نعم، قال: فبرَّها، أي: صلها وأحسن إليها.

برّ الوالدين : من حقوق الوالدين أنّ الله سبحانه قرن إحسان الأولاد اليهما بالتوحيد قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[الإسراء : ٢٣] وجعل من البرّ إليهما أن لا نضجر منهما ، وأن لا نتفوه أمامهما بلفظ (افٍ) أي: أن لا نظهر أمامهما ضجرنا منهما ولو بهذه الكلمة فقال تعالى: (فَلاَ تَقُل لهما أف) وأن نتذلل لهما وندعو لهما قال تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ .

وقد جعل الرسول (ﷺ) برّ الوالدين من أحب الاعمال بعد الصلاة على وقتها وقبل الجهاد في سبيل الله ، هذا ما رواه البخاري، وكذلك روى البخاري ومسلم أنّ الإحسان إلى الوالدين ممّا يعوِّض المرء عن الجهاد في سبيل الله بل جعل الخروج إلى الجهاد منوطًا باستئذانهما وذلك إذا كانا مريضين مقعدين يحتاجان إلى من يتعهدهما بالعناية؟ وجعل برّ الولد أُمّه أجره أجر الحاج والمعتمر والمجاهد، وخدمتها من الأمور التي توصل الى الجنة بل جعل الرسول (ﷺ) الجنة تحت أقدام الأمهات، وجعل الله سبحانه برّ الوالدين من الأسباب التي تؤدي إلى طول العمر وزيادة الرزق، فقال (ﷺ) : ومن برّ

والديه عند كبرهما قيّض الله له من يبرّه عند كبر سنه، وجاءت الأحاديث الصريحة تقول بأنّ رضا الله من رضا الوالد ، أبا كان أم أُمًّا ، وأنّ غضب الله في غضبهما ، وأنّ طاعة الله في طاعتهما ومعصيته في معصيتهما. وجاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال يا رسول الله هل بقى من برّ والديَّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال نعم : الصلاة عليهما، أي: الدعاء لهما والاستغفار لهما ، أي: أن تقول: اللهم اغفر لهما، وأن تصل أقربائهما ، أي: أن تصل وتحسن إلى اقرباء الأم وأقربهم إخوانها وأخواتها، وأن تصل وأن تحسن إلى اقرباء الأب، وأقربهم إخوانه وأخواته وإكرام أصدقائهما. هذا ما رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

وروى مسلم أنّ عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) لقيه رجل من الأعراب وهو من سكان البادية ، لقيه بطريق مكة ، فسلّم عليه عبد الله بن عمر، ونزل عن حماره الذي كان يركبه، وحمله عليه ، أي: أعطاه حماره ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن دينار فقلنا له : أصلحك الله إنّهم الأعراب ويرضون بالعطاء اليسير والقليل ، فقال عبد الله بن عمر: إنّ أبا هذا الأعرابي كان محبًّا وصديقًا لعمر بن الخطاب ، وإنّي سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنّ أبرَّ البرِّ صلة الولد أهل ود أبيه، أي: أن يحسن الى أصدقاء أبيه والذين كان يصادقهم ويمشي معهم ويحبهم ويحبونه وقد جعل رسول الله (ﷺ) عقوق الوالدين من الكبائر.

حقوق الجار : كما أوصى الله سبحانه بالوالدين أوصى بالجار، وبيَّن الرسول (ﷺ) حقوقه ، وجعل عليه الصلاة والسلام عدم أذيّة الجار من لوازم الإيمان بالله واليوم الآخر ، بل أقسم رسول الله (ﷺ) ثلاث مرات أنّه لا يعدُّ المرء مؤمنًا كامل الإيمان الذي يخيف جاره ويجعله لا يحسّ بالأمن والطمأنينة بل قال(ﷺ) لا يدخل الجنة عبد لا يؤمن جاره بوائقه ، أي: لا يؤمن جاره شروره ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رجل : يا رسول الله إنّ فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها ، أي: تكثر من نوافل الصلاة والصيام

والصدقة بعد أداء الفرائض لكنّها تؤذي جيرانها بلسانها فتسبهم وتشتمهم قال : هي في النار، قال: يا رسول الله فإنّ فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها ، أي: مقتصرة على أداء الفرائض وإنّها تقلل من النواقل ولكنّها لا تؤذي جيرانها، قال هي في الجنة.

وعن ابن عمر وعائشة (رضي الله عنهما) قالا : قال رسول الله (ﷺ): ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه . رواه البخاري ومسلم ، أي: حتى ظننت أنّه سيجعله وجاره أحدهما شريكا للآخر في الميراث.

وعن رجل من الأنصار قال: خرجت مع أهلي أريد النبي (ﷺ) وإذا به قائم ، أي: أراه من بعيد وهو واقف ، وإذا برجل مقبل عليه فظننت أنّ له حاجة، أي: له حاجة عند رسول الله(ﷺ) فجلست وأنا أنظر إليهما، فقد قام رسول الله (ﷺ) أي: ظل واقفًا حتى جعلتُ أرثي له من طول القيام ، أي : حتى أصبحتُ حزينًا على رسول الله (ﷺ) من وقوفه وقتًا طويلًا ، والرجل يكلمه لا أدري في أي شيء يكلمه ثم انصرف عنه الرجل فقمت إليه، وجئت إلى رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام، قال أتدري من هذا؟ ، قلت لا قال: هذا جبريل (ﷺ) ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه أما إنّك لو سلمتَ عليه لردّ عليك السلام٠ رواه أحمد بإسناد جيد ورواته رواة الصحيح.

الموعظة الرابعة والثلاثون : أجر الصبر على المصيبة

عن مصعب بن سعد عن أبيه (رضي الله عنه) : قلت يا رسول الله : أيّ الناس أشدّ بلاءً (أي: أعظمهم امتحانًا بالشدائد والكروب) قال: الأنبياء، ثم الأمثل ثم الأمثل (أي: المقارب لهم في الفضل والطاعة والإيمان) يُبتلى الرجل (أي: يختبر ويمتحن) على حسب دينه إن كان صلبًا (أي: قويًّا ثابتًا غير مهتز ولا ضعيف) اشتدّ بلاؤه وإن كان في دينه رقة (ضعف ووهن) ابتلاه الله على

حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة . رواه ابن ماجه.

يعني: ما يزال البلاء يصيب المؤمن مرة بعد أخرى حتى ينقيه من ذنوبه كلها فيمشي على الأرض لا يحمل ذنبًا.

وفي رواية : فمن ثخن دينه (أي: عظم) اشتدّ بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه.

وعن أبي هريرة (ﷺ) : أنّ رسول الله (ﷺ) قال: من يرد الله به خيرًا يصب منه، أي: يوجه إليه مصيبة ويصيبه ببلاء.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: ما يصيب المؤمن من نصب (تعب) ولا وصب (مرض) ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلّا كفر الله بها من خطاياه . رواه البخاري ومسلم ولفظه... إلّا كفر به من سيئاته.

وعن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت: بلى (أرني إياها) قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي (ﷺ) فقالت إني أُصرع (بمعنى يغمى عليّ فأسقط على الأرض) وإني أتكشّف (فيكشف شيء من جسدي وقد أُصاب بالصرع وأنا بين الناس الأجانب) فادع الله لي (أن يشفيني) قال: إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيكِ ، فقالت : أصبر(فقد اختارت الصبر على المرض لما بشّرها النبي ﷺ بالجنة) فقالت: إني أتكشّف فادع الله لي أن لا أتكشّف (فيرى الناس عورتي عند الصرع) فدعا لها . رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية البزار وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال لها : إن شئتِ دعوتُ الله فشفاكِ وان شئتِ صبرتِ ولا حساب عليك قالت : بل أصبر ولا حساب عليَّ ، أي: لا يحاسبها الله سبحانه يوم القيامة

فتدخل الجنة بغير حساب كما قال ﷺ : سبعون ألف من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب.

وعن أبي موسى (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ) : إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا . رواه البخاري وأبو داود .

يعني أنّ العبد إذا مرض أو سافر فضعف لذلك عمله وقلَّتْ نوافله في الصلاة والصيام بسبب مرضه فإنّ الله سبحانه يكتب له الحسنات نفسها التي كان يحصل عليها لكثرة صلاته وصيامه أيّام صحته ومعافاته وإقامته.

وفي رواية لأحمد قال رسول الله ﷺ : إنّ العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض (فضعفتْ عبادته) قيل للملك الموكل به (الذي كان يكتب حسناته) اكتب له مثل عمله (الذي كان يعمله في صحته) حتى أطلقه (وأشافيه) أو أكفئه إليَّ بموته ، أي : تكتب له الحسنات نفسها حتى يشفى أو يموت ، وفي رواية أنس عند احمد أيضًا : قال الله عز وجل للملك اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل (في صحته) وإن شفاه غسله وطهره (لأنّ المرض يغسل خطايا بني آدم) وإن قبضه (أماته) غفر له ورحمه.

وعن عطاء بن يسار (رضي الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ قال: إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين (وهما غير الملكين الموكلين بكتابة الحسنات والسيئات) فقال: انظروا ما يقول لعواده (أي: ماذا يقول لزائريه الذين يريدون أن يسألوه عن صحته) فإن هو إذا جاؤوا حمد الله وأثنى عليه رفعا (رفع الملكان) ذلك (الحمد والثناء) إلى الله وهو أعلم (بما قال عبده المريض) فيقول لعبدي عليَّ (له حق عليَّ) إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه وأن أُكفِّر عنه سيئاته . رواه مالك مرسلًا ، وروي هذا الحديث أيضًا عن سعيد الخدري رضي الله عنه ، رواه مالك عن زيد بن أسلم عن عطا.

يعني حقًّا عليَّ وهو حق كتبه الله سبحانه وأوجبه على نفسه ، إذ لا يجب على الله شيء ، فهنيئًا لمن ابتلاه الله بمرض أو مصيبة ثم صبر وحمد الله وأثنى عليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رجلًا من المسلمين قال: يا رسول الله أرأيتَ هذه الأمراض (أي: أخبرني عن الأمراض) التي تصيبنا ما لنا بها (يعني ماذا نستفيد منها) قال: كفارات (أي: تزيل وتمحو خطايا بني آدم) قال أُبيَّ بن كعب سيد القراء (رضي الله عنه) : وإن قلَّتْ يا رسول الله قال: وإن شوكة فما فوقها (أي: وإن أصيب الإنسان بشوكة أو أصغر منها) فدعا (أُبيَّ بن كعب) على نفسه أن لا يفارقه الوعك (أي: الحمّى) حتى يموت وأن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة (يعني أن لا تشغله الحمَّى التي تصيبه القيام عن أداء الفرائض) قال: فما مسَّ إنسان جسده إلا وجد حرَّها حتى مات . رواه احمد وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه.

وأُبَي بن كعب أو الرجل الذي لم يذكر الراوي اسمه لم يدع على نفسه كراهة للعيش وسخطًا وغضبًا على القدر وإنّما دعا على نفسه بأن يبقى في حالة حمّى لتبقى تكفر عن ذنوبه حتى مماته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: إنّ الله ليبتلي عبده بالسقم (بالمرض) حتى يكفر عنه كل ذنب . رواه الحاكم.

وعن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيّب فقال: مالكِ تزفزفين (أي: ترتعدين)؟ قالت: الحمّى لا بارك الله فيها قال: لا تسبي الحمى فإنّها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير (منفاخ الحداد) خبث (وصدأ) الحديد . رواه مسلم.

الموعظة الخامسة والثلاثون : (وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها) :

طلب الرزق : عن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال: لا تستبطئوا الرزق (أي: لا تتعجلوا طلب الرزق ولا تيأسوا من بطئه وتأخره) فإنّه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب (أي: تأنّوا في طلب الرزق ولا تتكالبوا عليه فإنّ لكل عبد رزقه لا ينصرف عنه إلى غيره فتحروا) أخذ الحلال وترك الحرام . رواه ابن حبان في صحيحه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : يا أيّها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب وإنّ نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها.. خذوا ما حلّ ودعوا (واتركوا) ما حرم . رواه ابن ماجه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله (ﷺ) قال: ... فلا يستبطئنّ أحد منكم رزقه فإنّ جبريل ألقى في روعي (بضم الراء، أي: ألقى في قلبي) أنّ أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيّها الناس وأجملوا في الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه (أي: إذا تأخر عنه رزقه فليصبر) فلا يطلبه بمعصية الله فإنّ الله لا ينال فضله بمعصيته . رواه الحاكم.

أي: أنّ رزق كل عبد مكتوب وأنّه لا بدّ أن يأتيه قبل أن يموت لكنه قد يتأخّر ، فلا يستعجل فيحصل عليه بمعصية الله بل عليه أن يصبر ليحصل عليه بطاعة الله.

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : رسول الله (ﷺ) إنّ الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله ، أي: أنّ الرزق يأتي صاحبه كما يأتيه الموت ، فالرزق لا بد من حصوله ، إن لم تذهب إليه جاء إليك ، فاظفر به بطاعة الله خير لك من أن تظفر به بمعصية الله ؛ لأن رزقك أيّها العبد لا بدّ من أن يأتيك لكنه قد يتأخر عنك فلا تستعجل بحصوله فتناله عاجلًا بمعصية الله ، فاصبر لتناله آجلًا بطاعة الله.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي (ﷺ) رأى تمرة غابرة (أي: باقية ساقطة) فأخذها فناولها سائلًا (جائعًا) فقال له الرسول (ﷺ) : أما إنّك لو لم تأتها لأتتك . رواه الطبراني بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه والبيهقي. والرسول (ﷺ) قال له ذلك ؛ لأنّه لما أخذها دل على أنّها من رزقه الذي كتبه الله له الذي لا بد من أن يصل إليه سعى إليه أم لم يسع.

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ)... وإنّ العبد له رزقه فلو اجتمع عليه الثقلان الجن والإنس أن يصدوا عنه شيئًا من ذلك (الرزق) ما استطاعوا . رواه الطبراني.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

وعن عباس بن سهل بن سعد رضي الله عنهم قال: سمعت ابن الزبير على منبر مكة في خطبته يقول: يا أيّها الناس إنّ النبي (ﷺ) كان يقول: لو أنّ ابن آدم أعطي واديًا من ذهب أحبّ إليه ثانيًا ، ولو أعطي ثانيًا أحبّ إليه ثالثًا، ولا يسدّ (يملأ) جوف ابن آدم إلّا التراب (تراب القبر) ويتوب الله على من تاب، رواه البخاري.

عواقب الكسب الحرام : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من اشترى سرقة (يعني شيئًا مسروقًا) وهو يعلم أنّها سرقة فقد اشترك في عارها وإثمها . رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة أيضًا (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ) : ولأن يأخذ (أحدكم) ترابًا فيجعله في فيه (في فمه) خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه . رواه احمد باسناد جيد.

وجاء في الحديث أنّ الله سبحانه لا يقبل التصدق بالمال الحرام.

وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: ما تزول قدما عبد يوم القيامة ، أي: أن كلّ إنسان لا يستطيع أن يبتعد عن موطن الحساب خطوة واحدة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ،

وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه . رواه البيهقي.

فالله سبحانه يحاسب صاحب المال يوم القيامة عن ماله مرتين، من أين اكتسبه أبالحلال اكتسبه وجمعه أم بالحرام؟ ويسأله كذلك أفي وجوه الخير الحلال انفقه أم في وجوه الحرام.

وعن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله (ﷺ) يا كعب بن عجرة إنّه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا (وتربيا) على سُحْت (أي: على كسب حرام) رواه الترمذي.

وفي رواية: أنّه لا يربو (وينمو) لحم نبت من حرام إلّا كانت النار أولى به.

وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: لا يدخل الجنة جسد غُذي بالحرام . رواه ابو يعلى والبزار والطبراني.

الموعظة السادسة والثلاثون : الظلمة وحقوق الناس

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ) : الظلم ظلمات يوم القيامة . رواه الشيخان.

وروى مسلم وغيره فيما يروى عن ربه عز وجل أنّه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.

وفي الحديث: اتقوا الظلم ما استطعمتم فإنّ العبد يجيء يوم القيامة بالحسنات، أي: يأتي بأعمال صالحة يرى أنّها ستنجيه فما زال كما يذكر الحديث يأخذ منه مَن ظلمهم من حسناته كل بقدر مظلمته حتى إنّه لم تبق له حسنة.

وعن النبي (ﷺ): قال من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء أي: إذا كان أحدكم يا صحابتي قد اعتدى على أحد ، فليتحلله منه اليوم، أي: ليعطيه حقه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان

له.(أي: للظالم) عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن (للظالم) حسنات أُخذ من سيئات صاحبه (المظلوم) فحمل عليه ، أي: جعلت سيئات مَن ظلمه فوق سيئاته . رواه البخاري.

وقد قال (ﷺ) لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: اتق دعوة المظلوم فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب . رواه الشيخان.

وقال ﷺ: ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين . رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما.

وقال (ﷺ) : دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه، أخرجه الإمام احمد.

وقال (ﷺ) : دعوة المظلوم ، وإن كان كافرًا ، ليس من دونها حجاب . رواه أحمد .

وقال (ﷺ) : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ويشير (ﷺ) إلى صدره (أي: إلى قلبه) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . رواه مسلم.

وجاء في الحديث عن النبي (ﷺ) قال : من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، قيل يا رسول الله : وان كان شيئًا يسيرًا؟ قال: وان كان قضيبًا من إراك . رواه مسلم ، أي ، وان كان بقدر عود السواك. وقال (ﷺ) لتودُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . أخرجه مسلم ، أي : حتى يؤخذ حق الشاة التي لم يكن لها قرن من الشاة التي كان لها قرن يعني تنطحها يوم القيامة كما نطحتها في الدنيا بقرنها .

وروى الطبراني في المعجم الأوسط وابن أبي الدنيا والبيهقي: الغيبة أشدّ من الزنا، قيل وكيف؟ قال: الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه ، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ذلك أنّ الغيبة تعدّ اعتداء على حقوق الناس.

ونقول بشيء من التفصيل بأنّ الذنوب تقسم على أربعة اقسام ، ذنب لا يغفره الله وهو الإشراك بالله ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنَ شَاء﴾{النساء : ٤٨} وذنوب تغفرها التوبة الصادقة والندم على فعلها والإقلاع عنها، وهي الكبائر كالزنا وشرب الخمر وترك الصلاة ، وذنوب تغفرها الصلاة والوضوء والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والأعمال الصالحة التي سماها الله سبحانه وتعالى اللمم ، وذنوب لا تغفر لأنّها متعلقة بحقوق الناس كاغتيابهم وسبهم وشتمهم أو سرقة أموالهم أو ضربهم أو قتلهم وسفك دمائهم بغير حق أو بذنب لا يوجب القتل ، فمن ظلم الناس بمثل هذه الأمور فإنّ الله سبحانه قد توعد الظالم كائنًا مَن كان، مسلمًا كان أم غير مسلم بأنّه سبحانه سيجعله يقف يوم الحساب مع من ظلمهم ، والمظلوم إن لم يأخذ حقه من ظالمه في الدنيا فإنّه سيأخذ حقه كاملًا غير منقوص من ظالمه وبالعملة الصعبة وهي عملة الحسنات يوم القيامة ، بل الله سبحانه لم يضيع حتى حقوق البهائم ، فقد نظر الرسول (ﷺ) إلى شاتين إحداهما لها قرنان تنطح بهما شاة عزلاء لا قرن لها ، فتبسّم الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : إنّ الله يوم القيامة يأتي بهاتين الشاتين فينزع من الناطحة قرنيها ويجعل للمنطوحة قرنين فتنطحها كما نطحتها في الدنيا فتاخذ حقها منها ثم يقول الله سبحانه وتعالى لهما وللبهائم بعد أن يأخذ حقوق بعضهم من بعض: كونوا ترابا فيصيرون ترابا ، وقد نبَّه رسولنا الكريم (ﷺ) من مغبة هضم حقوق العباد والاعتداء عليهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما المفلس ؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع ، فقال: إنَّ المفلس من أُمَّتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته ، قبل أن يُقضى ما عليه ، أُخِذ من خطاياهم ، فطُرِحت عليه ، ثمَّ طُرِح في النار . رواه مسلم

فيعود الرجل الظالم الذي قد صلى وصام وزكى وحج وعمل صالحا وعبد الله طوال حياته كأنّه لم يعمل حسنة قط ، بل لا ينجو من أن تزداد سيئاته ثم يؤمر به فيدخل النار مع الداخلين ، فالمرء الفاسق مثلًا إذا زنى بامرأة زانية تمتهن الزنا فإنّ ذنبه هذا يختلف عمن اغتصب امرأة عفيفة كرهًا فدنس وأهان كرامتها ، فهذا العمل يعد زنا واعتداء على أعراض الناس ، فالزنا قد يغفره الله إذا تاب مرتكبه وعاد إلى رشده وتقوى الله ، أمّا اغتصاب النساء فذنب لا يغفره الله ؛ لأنّه من حقوق الناس فلا بدّ من أن تاتي المغتصبة يوم القيامة وتسأل الله سبحانه وتعالى أن ياخذ حقها من الذي اغتصبها ، وإن تاب وعمل صالحًا ، فالله سبحانه وتعالى يتسامح في حقوقه ويعفو عن المسيء فيها ما عدا الإشراك به ، لكنّه لا يعفو عن حقوق الناس ولا يتسامح فيها.

ويوم القيامة يجسم الله الأفعال والمعاني ويجعل لها وزنًا وحجمًا ثم توزن في ميزان الله ، في ميزانٍ أعدل وأدق من ميزان الذهب ليعطى الإنسان ما له وليؤخذ منه ما عليه ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : جاء رجل فقال: يا رسول الله إنّ لي مملوكين (أي عبيدًا اشتريتهم ليخدموني ويقضوا لي حاجاتي إلّا أنّهم كانوا) يكذبونني (يكذبون عليّ) ويخونونني ويغضبونني فأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ (أي : أيحاسبهم الله يوم القيامة لخيانتهم لي أم يحاسبني لسبِّي وضربي إيّاهم ؟) فقال رسول الله (ﷺ) يحسب (ويوزن بميزان لها لسان وكفتان) ما خانوك وكذبوك وعصوك (توزن أفعالهم هذه)

ويحسب (ويوزن في هذا الميزان أيضًا)عقابك إيّاهم (وسبك وضربك لهم) فإن كان (عقابك إيّاهم) بقدر ذنوبهم كان كفافًا ، لا لك ولا عليك (أي: أنّك أخذت حقك منهم بغير زيادة ولا نقصان) وإن كان (عقابك إيّاهم) دون ذنوبهم (أي: عاقبتهم لكنك لم تأخذ حقك كاملًا منهم بهذا العقاب) كان فضلًا لك (أي: أنّ الله سبحانه يأخذ باقي حقك منهم) وإن كان (عقابك إيّاهم) فوق ذنوبهم اقتص لهم الفضل منك (أي حاسبك الله يوم القيامة على هذه الزيادة فحسب) فتنحَّى الرجل يبكي ، فقال رسول الله (ﷺ) : ألم تقرأ قول الله عزوجل:﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ {الأنبياء : ٤٧} فقال الرجل : يا رسول الله ، ما أجد لي ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم ، أُشهدك أنّهم كلهم أحرار. أخرجه الترمذي.

الموعظة السابعة والثلاثون : (وحور عين)

بسم الله ، والحمد لله والصلآة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

كان من البحوث التي قدمتها للترقية إلى مرتبة أستاذ مساعد بحث بعنوان (التابع المقطوع في القرآن الكريم بين النحو والبلاغة) كان من بين ما كتبته في هذا البحث الفقرات الاتية :

حين كنتُ أُدَرِّسُ مادة التربية الاسلامية في معهد إعداد المعلمات سألتني طالبة ، وقد بدتْ على وجهها ملامح الغضب والأسى: لِمَ يستخدم الرجال المرأة دائمًا متاعًا رخيصًا لشهواتهم؟ حتى إنّ القرآن الكريم حين يعد المؤمنين بنعيم الجنة يعدهم بالحور العين.

ولم أتذكر كيف كان جوابي لها وقتئذ، وقد يجاب عن هذا السؤال بأنّ الذي جعل المرأة متاعًا رخيصًا لشهوات الرجل هو النظم العلمانية والأُوربية ؛ لأنّها هي التي دعتها إلى التبرج وإلى إبداء زينتها ومفاتنها للرجال في وسائل

الإعلام المختلفة وفي كل مكان ، وليس الإسلام الذي فرض عليها العفة والحجاب وأمرها أن لا تبدي زينتها إلّا لزوجها، كما أنّ الإسلام. وبما هو مثبت في تشريعاته وتوجيهاته ، كما جعل المرأة متاعًا لزوجها فقد جعل الرجل متاعًا لزوجته ، فكل منهما متاع للآخر.

وكذلك يمكن أن تكون هذه هي الإجابة نفسها فيما يتعلق بالحور العين بأنّه كما جعل الحور متاعًا للرجل في الجنة فقد جعل الرجل متاعًا لهنّ.

بيد أنّني فيما بعد تذكرتُ حقيقة أهمّ مما مرَّ ذكره عسى أن تكون صحيحة ، هي أنّ الحور العين حيثما ذُكرن في القرآن الكريم ما قُصد بهنّ نساء الدنيا المؤمنات اللواتي يدخلن الجنة ، فهنّ أسمى وأكرم عند الله من أن يُذكرن في سياق المتاع ، والحور ما ذُكرن إلّا في هذا السياق والدليل على ذلك وصفهنّ بقوله تعالى: ﴿لم يطمثهن إنسٌ قَبلَهم ولا جانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي: لم يجامعهنَّ من قبل رجل من الإنس أو رجل من الجن ، ذلك أنّهنّ لسنّ من ولد آدم ولا من أهل الدنيا ، والدليل على ذلك أيضًا وصفهنّ بقوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهنّ انشاء﴾ [الواقعة: ٣٥] ويؤيد ذلك الحديث الذي يرويه الترمذي : عن أم سلمة ... قلتُ: يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهار على البطانة.

قلتُ يا رسول الله، وبِمَ ذلك؟ قال: بصلاتهنّ وعبادتهنّ الله عزوجل.. وفي حديث الصور الطويل أنّ رسول الله (ﷺ) يقول : فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشا الله بعبادتهن الله في الدنيا.

وهذا ما يتضح في السورة التي ورد فيها الشاهد التي بينتْ أنّ الناس في الآخرة على ثلاثة أصناف، صنفين في الجنة وصنف في النار قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ۞ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ

الْمُقَرَّبُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ ثُلَّةٌ مِّنَ الأوَّلِينَ ۞ وَقَلِيلٌ مِّنَ الأخِرِينَ ۞ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۞يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۞ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ۞ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۞ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٧-٢٤].

ومما هو معروف في اللغة أنّ كل جمع يضمّ ذكورًا وإناثًا يعبَّر عنه في العربية بصيغة التذكير، فإذا قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم: ٨] فالمراد الذين آمنوا واللواتي آمَنَّ ، وإذا قال سبحانه : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فالمراد أيضًا : وكان بالمؤمنات رحيما ، فقوله تعالى:﴿ والسابقون السابقون﴾ قُصد به السابقون من المؤمنين والسابقات من المؤمنات، فهذه الثلة تضمّ الجنسين جالسين على سرر منسوجة بالذهب، يُقَدَّمُ لهم كؤوس الخمر والفاكهة ولحم الطير والحور العين ، فالحور العين جُعِلْنَ متاعًا تتمتع بهنَّ السابقات من نساء الدنيا، كما يتمتع بهنَّ السابقون من الرجال ، والواو في قوله تعالى: (جزاء بما كانوا يعملون) ضمير يعود على قوله تعالى: (والسابقون السابقون)، أي: يعود على الذين كانوا يعملون الصالحات في الدنيا من الرجال والنساء بأنّهم جوزوا على أعمالهم الصالحة ، ولا يعود ، كما هو واضح من السياق ، على الحور العين، بل الحور العين جُعِلَ التمتع بِهِنَّ من ضمن الجزاء الذي يقدم إلى هؤلاء السابقين من المؤمنين العاملين والمؤمنات العاملات ، وقد جاء في الحديث أنّ اهل الجنة ملوك فيها ، فكأنَّ كل رجل يدخل الجنة ملك يجلس بجنب زوجته الملكة ، وكأنّ كل امرأة تدخل الجنة ملكة تجلس بجنب زوجها الملك، ويُؤتى بالحور العين يرقصن ويغنين أمامهما وبين أيديهما، وكلاهما ينظر إليهنّ يتمتع بسماع غنائهنّ ومشاهدة رقصاتهنّ ، وبالنظر إلى جمال وجوههنّ والوان ثيابهنّ ، فاذا تصورنا هذا المشهد من مشاهد الجنة لا يكون

بعد ذلك عطف الحور العين على كؤوس الخمر وجعلهنّ مما يطاف بهنّ أمرًا غريبًا، بل هذا ما قيل به في قراءة الجر وهي قراءة متواترة كقراءة الرفع والمعنى: " ويطوف عليهم الولدان بالحور العين. وقد مر في الموضوع السابق جعل المرفوع في قوله تعالى: ﴿وحور عين﴾ مقطوعًا نحويًّا بإعرابه مبتدأ لخبر محذوف، والتقدير: ولهم حور عين. لكنه جاز عدم الأخذ بهذا الإعراب والتقدير، باعراب هذا المرفوع برغم رفعه معطوفًا على (أكواب) ولم يجر ويتبع المعطوف عليه من حيث اللفظ ، بل رفع تمييزًا له مما قبله ، ذلك أنّ الحور العين وإن جُعِلْنَ متاعًا معطوفًا على متاع الخمر بيد أنهنّ ذوات أرواح ومشاعر وعواطف حالهنَّ حال أهل الجنة من نساء الدنيا، فيكون السر في هذا الرفع رفعًا لشأنهن والقطع بلاغيًّا لا نحويًّا.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا، اللهم إهدنا وسددنا ، اللهم إنا نسألك الهدى والسداد، اللهم آمين.

الموعظة الثامنة والثلاثون : محاولات سرقة جثة رسول الله ﷺ

جرت خمس محاولات عبر التاريخ لسرقة جثة رسول الله (ﷺ) وسخّر الله ، سبحانه ، من ردها وخيَّب نوايا أصحابها ، إحداها كانت بمخطط من ملوك النصارى ، بوساطة اثنين من نصارى المغاربة ، وكان ذلك في عهد نور الدين الزنكي ، فقد رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشير إلى رجلين أشقرين ، ويقول له : أنقذني من هذين الرجلين ، فلم يأبه لما رأى في البداية ، ثم تكررت الرؤيا نفسها ، فجمع القضاة ، وأشاروا إليه بالتوجه إلى المدينة المنورة ، وحمل معه الأموال ، فعند وصوله إلى المسجد النبوي ، جمع الناس وأعطاهم الهدايا ، بعد أنْ دونت أسماؤهم ، فلم ير الرجلين ، وعندما سأل : هل بقي أحد لم يأخذ الصدقة ؟ قالوا : لا ، قال : تفكروا وتأمَّلوا ، فقالوا : لم يبق أحد إلّا رجلان من المغاربة ، وهما رجلان صالحان غنيان ، يكثران من الصدقة ، فانشرح صدره ، وأمر أنْ يُؤتى بهما

إليه ، فلما رآهما ، وجدهما نفس الرجلين اللذين رآهما في المنام ، فسألهما : من أين أنتما ؟ قالا : حجاج من بلاد المغرب ، قال : أصدقاني القول ، فصمما على ذلك ، فسأل عن منزلهما ، فتوجه إليه ، فعندما وصل إليه ودخله ، لم يجد فيه سوى أموال وكتب ، فلما رفع الحصير ، وجد نفقًا ممتدًا إلى الحجرة الشريفة ، موجهًا إلى ضريح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فارتاع الناس ، وبعد ضربهما اعترفا بمخطط ملوك النصارى الذي يرمي إلى سرقة جثة رسول الله (ﷺ) فأمر بقتلهما ، وأمر بحفر خندق حول الحجرة الشريفة ، يُصب فيه الرصاص المنصهر ، ففعلوا .

الموعظة التاسعة والثلاثون : (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)

أخبرنا الله سبحانه بأنَّ ملائكته تراقبنا ، ترانا ولا نراها ، وليس هذا الأمر غريبًا ، فمن الحقائق الفيزيائية أنَّ الأصوات التي نسمعها هي المحصور ترددها ما بين : عشرين ذبذبة في الثانية ، وعشرين ألف ذبذبة في الثانية ، وهذه الأصوات تصبح غير مسموعة من لدنَّا ، إذا قلّ ترددها عن القدر الأول ، أو زاد على القدر الثاني ، ومن الحقائق الفيزيائية أيضًا أنَّ الأجسام التي نراها هي المحصور طول موجتها ما بين ٣٨٠ نانو متر ، و ٧٨٠ نانو متر ، ولا نرى تلك الأجسام التي قلت طول موجتها عن المقدار الأول ، أو زادت على المقدار الثاني ، ومن الحقائق العلمية أيضًا أنَّ الجسم الذي يتحرك بسرعة الضوء لا يرى ، فليس غريبًا إذن أن لا نرى الملائكة : فقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، أنَّ الله خلق الجنَّ من نار ، وخلق الملائكة من نور ، والنور ضوء .

ومن الحقائق التي نعايشها أنَّ مختلف الصور والأصوات التي تصدرها محطات الإذاعات الإذاعية ، والقنوات الفضائية التلفزيونية في بلدنا وبلدان العالم ، تدور الآن حولنا ، وهي باستمرار أمام أعيننا ، لكنه مع ذلك لا نسمعها ولا نراها ، وهذا من رحمة الله بعباده ؛ لأنَّه سبحانه لو خلق لنا أذنين

نستطيع أن نسمع بهما كلّ ما هو موجود من الأصوات حولنا ، وخلق لنا عينين نستطيع أن نرى بهما كل ما هو موجود حولنا من صور، وهو قادر على ذلك ، لوجدنا أنفسنا وسط ضوضاء من الصخب ، تتعذر فيه معيشتنا ، وقد مكن الله ، سبحانه ، الإنسان ، من صنع أجهزة المذياع والتلفاز قادرة على التقاط هذه الصور والأصوات المحيطة بنا ، مع تمييز بعضها من بعض .

وقد وهب الله ، جل وعلا ، من الحيوانات كالكلاب والخيول آذانًا تسمع بها ما لا يسمعه الإنسان ، وأعينًا ترى بها ما لا يراه الإنسان ، ثبت هذا علميًّا وبالملاحظة .

في ضوء هذه الحقائق أصبحنا اليوم نفهم أكثر من ذي قبل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : إنَّ الموتى لَيُعَذبون في قبورهم ، حتى إنَّ البهائم لتسمع أصواتهم . رواه الطبراني في الكبير ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، وقوله صلى الله عليه وسلم : لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر . رواه مسلم

لأنَّه ، سبحانه ، لو جعلنا نسمع عذاب الموتى لفزعنا من سماعه ، وامتنعنا من دفن موتانا ؛ إذ لا تخلو مقبرة من قبور يُعذب فيها أصحابها ، وجاء في الحديث الصحيح أنَّ الكافر والعاصي يأتيه ساعة يُدفن : آتٍ قبيح الثياب منتن الريح ... في يده مرزبة ، لو ضُرِبَ بها جبل كان ترابًا ، فيضربه ... فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلّا الثقلين . أي : تسمعها البهائم إلّا الإنس والجن ، وفي رواية ، لو سمعها الناس لصعقوا ، أي : لماتوا من شدة صيحته .

وإذا كان الله ، سبحانه ، أخبرنا في كتابه ، وعن لسان نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، أنَّه جعل على كل إنسان ملائكة تسجل عليه حسناته ، وسيئاته ، فهذا لا يعني أنَّه ، جل وعلا ، محتاج إليهم ليعرف من خلالهم ما

يعمله عباده من خير وشر ، فالله ، جلت قدرته ، يسمع أقوالنا ويرى أعمالنا ويعلم بنياتنا ، بل هو يعلم بها قبل صدورها من الإنسان ، ولهذا كتب على جبينه وهو جنين في رحم أمه ، ما سيفعله من يوم ولادته إلى يموم مماته ، حتى إنَّه ، سبحانه ، قضى فيه حكمه ، أشقي من أهل النار ، أم سعيد من أهل الجنة

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (يُؤتى يوم القيامة بصُحُف مُخَتَّمة ، فتنصب بين يدي الله تعالى فيقول تبارك وتعالى : ألقوا هذه ، واقبلوا هذه ، فتقول الملائكة : وعزتك ما رأينا إلّا خيرًا ، فيقول الله ، عز وجل ، إنَّ هذا كان لغير وجهي ، وإنِّي لا أقبل إلّا ما ابتغي به وجهي) رواه البزار ، والطبراني ، والبيهقي .

فالملائكة قدمت هذه الصحف ، وختمتها على أنَّها كانت جميعها لوجه الله تعالى ، إلّا أنَّ الله ، سبحانه ، أخبرهم ، بأنّ منها ما كان غير ذلك ، فعلم الله ما لم يعلموا .

فإذا كانت هذه هي الحقيقة ، فما الحكمة إذن من خلق الملائكة وتكليفهم بمراقبتنا ؟ حصر بعض المفسرين هذه الحكمة في أمرين :

الأول : هو من أجل إكثار الشهداء على الإنسان ، وإقامة الحجة عليه يوم القيامة ، فالله يشهد عليه ، والملائكة ، والأرض ، والجوارح .

والثاني : هو أنَّ الله ، سبحانه خلق الملائكة ، وأخبر الإنسان بأنَّ عليه ملكين قريبين منه ، يسجل أحدهما سيئاته ، ويسجل الآخر حسناته ، رحمة بالإنسان ؛ من أجل أنَّه إذا علم أنّ هناك من يراقبه ؛ فإنَّه سيكون على حذر مما يعمل ، فيكون هذا حافزًا له يدفعه إلى اجتناب المعاصي ، ويخلق له الرغبة والاجتهاد في الطاعات

فلهذا السر جعل الله على الإنسان ملائكة تراقبه ، قال الله تعالى : (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ){ق : ١٨}

ما يتكلم بكلمة إلّا وبين يديه رقيب عتيد ، حافظ حاضر ، وقد وهب الله ملائكته ما يمكنهم من معرفة ما يقوم به الإنسان في السر والعلن ، سُئل سفيان : كيف تعرف الملائكة أنَّ العبد هَمَّ بمعصية ، أو بحسنة ؟ قال : إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك ، وإن هم بسيئة ، وجدوا من ريحًا منتنة ، أي : رائحة كريهة

والله ، جلت رحمته : لم يكلف ملائكته بتسجيل أعمال الإنسان فحسب : بل كلفهم أيضًا بحفظه ، فعن كعب الأحبار : لو تخلى لابن آدم كل سهل وحزن (جبل) لرأى على كل شيء من ذلك شياطين ، لولا أنَّ الله وكّل بكم ملائكة يذبّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذن لَتُخُطِّفتم . وقال مجاهد : ما من عبد إلّا وله ملك موكل ، يحفظه في نومه ، ويقظته من الجن والإنس ، والهوام المؤذية ، ما لم يأت قدر الله ، فإذا جاء القدر خلوا عنه

وعن أبي أمامة ، قال : ما من آدمي إلّا معه ملك موكل يذود عنه ، حتى يسلمه للذي قُدِّر له .

وهذا هو تفسير قوله تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ){الرعد : ١١}

والمراد بالمعقبات : الحفظة من الملائكة ، وإنَّما وصفوا بالمعقبات ، إمَّا لأجل أنَّ ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ، وبالعكس ، فقد جاء في الحديث الصحيح ، قوله صلى الله عليه وسلم : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، فيجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيصعد الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادي ؟ وهو أعلم بهم (وإنما سألهم عنهم رفعًا لقدرهم) فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم

يصلون : وإمَّا لأجل أنّهم يُعَقِّبون أعمال الإنسان ، ويتتبعونها بالحفظ والكتابة ، وكل من عمل عملاً ثم عاد إليه ، فقد عقَّبه .

فرسل الله تعلم وتكتب ، قال الله تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)[الزخرف : ٨٠}

وفال تعالى : (كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ {٩} وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {١٠} كِرَامًا كَاتِبِينَ {١١} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)[الانفطار : ٨-١٢}

قال الحسن رضي الله عنه : إنَّ الملائكة يجتنبون الإنسان في حالتين : عند غائطه ، أي : عندما يقضي حاجته ، وعند جماعه ، أي : عند اختلائه بزوجته ومباشرته لها .

وقال مجاهد : يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه ، وقال الضحاك : مجلسهما ، أي : مجلس الملكين ، تحت الشعر على الحنك ، أي : يقعد الملكان ما بين الشفة السفلى والذقن .

وقال أبو أمامة : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كاتب الحسنات على يمين الرجل ، وكاتب السيئات على يساره ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا ، وإذا عمل سيئة ، قال صاحب اليمين لصاحب اليسار : اتركه سبع ساعات ، لعله يسبح ، أو يستغفر .

ومما يشهد على الإنسان يوم القيامة جوارحه ، قال الله تعالى : (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ {١٩} حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٠} وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢١} وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ {٢٢} وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي

ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ {٢٣} فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ {٢٤}){فصلت : ١٩-٢٤}

عن أنس رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا تسألوني ممَّ ضحكتُ ؟ قالوا : ممَّ ضحكتَ يا رسول الله ؟ قال : عجبتُ من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، قال : يقول : يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمَني ؟ قال : فإنَّ لك ذلك ، قال : فإنِّي لا أقبل علي شاهدًا إلّا من نفسي ، قال : أوَ ليس كفى بي شهيدًا ، وبالملائكة الكرام ؟ قال : فَيُخْتَمُ على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، قال : فيقول لهنَّ بعدًا لكنَّ وسحقًا ، عنكنَّ كنتُ أجادل .

فحين لا يرضى الإنسان بشهادة الله والملائكة ، ويطلب أن يكون الشاهد من نفسه ، يُلجم فمه ويمنع من الكلام ، فتشرع تشهد عليه أذناه بما كان يسمع من الحرام ، وتشهد عليه عيناه بما كان يرى من الحرام ، وكذلك يشهد عليه فخذه وكفه ، بما كان يفعل بهما .

وقد بيَّن الله ، سبحانه ، أنَّ هؤلاء كانوا يرتكبون المحرمات ويعصون الله ، لأنَّهم كانوا يظنون أنَّ الله لا يراهم ، ولا يعلم بأفعالهم قال تعالى : (وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ){فصلت :٢٢}

من أجل ذلك ، من أجل أن لا نقع فيما وقعوا به ، أخبرنا الله ، جلت رحمته ، أنَّه أحاطنا بملائكته ، وأنَّها تعلم ما نعمل ، وهي معنا في حلِّنا وترحالنا ، تسجل كل ما يصدر منَّا ، وقد أخبرنا نبينا الكريم عنهم بأنَّهم لا يفارقوننا ، لا في ليل ولا في نهار ، حتى أوصانا ، عليه الصلاة والسلام ، بقوله : فاستحيوهم .

فإن لم يدفعنا الخوف إلى اجتناب المعاصي ، فليدفعنا إلى اجتنابها الحياء

المصادر والمراجع

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، حقق أُصوله، الدكتور-عبد الرزاق المهيدي، ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) إدارة الطباعة المنيرية، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت (د- ت).

-البداية والنهاية ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) اعتنى بهذه الطبعة ووثقها عبد الرحمن اللادقي ، ومحمد غازي بيضون ، الطبعة العاشرة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

-البرهان في توجيه متشابه القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني(ت : ٥٠٥هـ) تحقيق عبد القادر عطا ،الطبعة الأولى ن دار الكتب لعلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

-البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق أبي الفضل الدمياطي ، دارالحديث ، القاهرة ،١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، لابن ظاهر المغربي المالكي ، المتوفى ١٠٩٤هـ، ضبطه وصححه محمد عبد الخالق الزناتي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م

-فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان بن قيماز الذهبي (ت : ٧٨٤هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، لأبي علي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علقة ، بيت الأفكار الدولية (د-ت) .
-الترغيب والترهيب ، من الحديث الشريف ،للإمام الحافظ زكي الدين بن عبد القوي المنذري ، حققه أبو عبد الرحمن المكي ، الطبعة الأولى ،مكة المكرمة ، الرياض ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
- تفسير الجلالين، جلال المحلي وجلال الدين السيوطي، مكتبة الملاح للطبع والنشر، دمشق، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.
-تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م..
-جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
-الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٧٦م.
-دلائل النبوة ، لأبي نعيم الأصبهاني .
-دلائل النبوة ، للبيهقي .
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٢٧هـ) ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٦هـ = ٢٠٥م .
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٧م.
-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) وضع حواشيه، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-سنن أبي داود ، لأبي داود سلمان بن الأشعث السجستاني ، (ت : ٣٧٥هـ) اعتنى به بيت الأفكار الدولية (د-ت) .
- السيرة النبوية لابن هشام (ت : ٢١٣هـ) وضع حواشيه ، وخرج أحاديثه فؤاد بن علي حافظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
-صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (ت :٦٧٦هـ) المسمى : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، الطبعة الثانية عشرة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٢٨هـ) ، رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
-اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
-مختصر صحيح مسلم للمنذري : اعتنى به الدكتور الشيخ خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ١٤٢٨هـ، =٢٠٠٧م

-مختصر صحيح البخاري ، والمسمى : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدي ، اعتنى به الدكتور خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩هـ =٢٠٠٨م .
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، المطبعة البهية ١٣٥٣هـ= ١٩٣٤م – ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.
-الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

المحتويات

المواضيع	الصفحة
مقدمة	٤
الموعظة الأولى : ميزان التقوى لا ميزان النسب	٥
الموعظة الثانية : من إنسانيات هذا الدين	١٠
الموعظة الثالثة : (وإذا ما غضبوا هم يغفرون)	١٧
الموعظة الرابعة : من فضل الصلاة في السنة	٢٤
الموعظة الخامسة : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم)	٣٣
الموعظة السادسة : الدين المعاملة	٤١
الموعظة السابعة : وكونوا عباد الله إخوانًا	٤٧
الموعظة الثامنة : وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور	٥٠
الموعظة التاسعة : علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٥٦
الموعظة العاشرة : عثمان بن عفان رضي الله عنه	٦٢
الموعظة الحادية عشرة : عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦٦
الموعظة الثانية عشرة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٧٣

الموعظة الثالثة عشرة : ولادته صلى الله عليه وسلم	٨١
الموعظة الرابعة عشرة : فضل صلاة الجمعة	٨٨
الموعظة الخامسة عشرة : التائبون	٩٦
الموعظة السادسة عشرة : فريضة الصلاة	١٠٢
الموعظة السابعة عشرة : كتب عليكم الصيام	١٢٢
الموعظة الثامنة عشرة : المتمسك بدينه في هذا الزمان	١٢٨
الموعظة التاسعة عشرة : من بواكير السيرة النبوية	١٣٧
الموعظة العشرون : سلمان الفارسي رضي الله عنه	١٤٥
الموعظة الحادية والعشرون : من مناقب السيرة النبوية	١٥٠
الموعظة الثانية والعشرون : من معجزاته صلى الله عليه وسلم	١٦٦
الموعظة الثالثة والعشرون : هرقل وصورة محمد صلى الله عليه وسلم	١٩٣
الموعظة الرابعة والعشرون : علامات الساعة	١٩٦
الموعظة الخامسة والعشرون : ما بعد سكرات الموت	٢١٢
الموعظة السادسة والعشرون : القيامة وأيَّامها	٢١٦
الموعظة السابعة والعشرون : الجنة والنار	٢٢٢
الموعظة الثامنة والعشرون : ثقل لا إله إلّا الله في الميزان	٢٣١
الموعظة التاسعة والعشرون : فضل الخوف من الله ، والبكاء من خشية الله	٢٣٢
الموعظة الثلاثون : من مساوئ الأخلاق	٢٣٤
الموعظة الحادية والثلاثون : حق الفقراء على الأغنياء	٢٤٤
الموعظة الثانية والثلاثون : لا يُقبل العمل إلّا إذا ابتغي به وجه الله	٢٤٦
الموعظة الثالثة والثلاثون : من صلة الأرحام والإحسان إلى الجار	٢٤٨

الموعظة الرابعة والثلاثون : أجر الصبر على المصيبة	٢٥٢
الموعظة الخامسة والثلاثون : وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها	٢٥٦
الموعظة السادسة والثلاثون : الظلمة وحقوق الناس	٢٥٨
الموعظة السابعة والثلاثون : وحور عين	٢٦٢
الموعظة الثامنة والثلاثون : محاولات سرقة جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٦٥
الموعظة التاسعة والثلاثون : (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)	٢٦٦
المصادر والمراجع	٢٧٢

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيّارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كَرَمْلِيسْ ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

–حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ يرسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

–حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

–تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

–كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

–بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ إلى التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

–ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١–الله والتقدم المادي عند الإنسان . رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٦ لسنة ١٩٧٧م .

٢–اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣–فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤–إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥–مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦–دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧–بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وقد غيّرتُ عنوانه إلى : صيحاتي بأُمَّتي السَّبيَّة في ثماني قصائد إسلامية

٨–المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم

الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣-(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم . وقد دمجتُ هذا الكتاب في الكتاب السابق

١٤- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم

١٩–تقديم الجواب على شرطه في النحو العربي وشواهده في القرآن الكريم

٢٠–تأويل قوله تعالى : (وهمَّ بهالولا أن رأى برهان ربه).

٢١–دلالة (كاد–يكاد) في القرآن الكريم .

٢٢–نحويّاتي القرآنية .